أبو عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب

اللمحة البدرية في الدولة النصرية

دراسة وتحقيق الدكتور محمد مسعود جبران





د. محمد مسعود جبران

مؤلفاته

- الأستاذ محمد مسعود فشيكه (تقديم وتوثيق).
  ليبيا: مركز جهاد الليبيين. 1988.
- أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقّى من آثاره ووثائقه.
  ليبيا: مركز جهاد الليبيين. 1988.
- سليمان الباروني. آثاره. ليبيا. تونس: الدار العربية للكتاب. 1991.
- أحمد الفقيه حسن (الحفيد) حياته وأدبه.
  ليبيا. تونس: الدار العربية للكتاب. ط1. 1975.
  ليبيا: مركز جهاد الليبيين. ط2. 2000.
- فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب
  (المضامين والخصائص الأسلوبية). بيروت - لبنان: دار المدار الإسلامي. 2004.
- عليّ الفقيه حسن في جهوده العلمية والسياسية.
  ليبيا: مركز جهاد الليبيين. 2006.
- محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا طرابلس الغرب.
  ليبيا: مركز جهاد الليبيين. ط1. 1981. ط2. 1996.
  ط3. بيروت - لبنان: جمعية الدعوة الإسلامية. 2008.
- مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه.
  ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع. ط1. 1981.
  ط2. مع تحقيق ديوانه. مركز جهاد الليبيين. 2007.
- أديب العدوتين مالك بن المرحّل (دراسة تحليلية في أخباره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية). الإمارات العربية المتحدة: المجمع الثقافي.
- عبد الواحد بن الطوّاح من الأعلام المغمورين في القرن الثامن عشر.
  بيروت - لبنان: دار المدار الإسلامي. 2004.
- اللغة العربية قواعد وتدريبات ونصوص (بالاشتراك).
  بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة. 2004.
- محمد عبدالله السنّي ترجمته وتحقيق ما تبقى من آثاره.
  ليبيا: مركز جهاد الليبيين. 2006.
- أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي.
  بيروت - لبنان: دار المدار الإسلامي. 2009.

اللمحة البدريّة
في
الدولة النصريّة



اللمحة البدريّة في الدولة النصريّة

تأليف

أبي عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب

(713 ـ 776)

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد مسعود جبران

دار المدار الإسلامي

اللمحة البدرية في الدولة النصرية

تأليف: أبي عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب

دراسة وتحقيق: د. محمد مسعود جبران

الطبعة الأولى

آذار/مارس/الربيع 2009 إفرنجي

موضوع الكتاب تاريخ إسلامي

تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي

الحجم 17 × 24 سم

التجليد برش مع ردّه

ردمك **ISBN** 978-9959-29-433-3

(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2007/621

دار المدار الإسلامي

الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس.

هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 39 39 93 3 961 +

05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +

ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان

بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb

الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية

زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقال** 463 45 21 91 218 +

بريد إلكتروني: **oeabooks@yahoo.com**

الإهداء

إلى محبّي العلّامة الأديب محمد لسان الدين ابن الخطيب، وتراثه الأدبي والتاريخي الزاخر الخصيب أهدي عملي في تحقيق كتابه الطريف "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" تنويهاً بوطنه ومزاياه، وتخليداً لعبقريته وذكراه.

الدكتور محمد مسعود جبران



الرموز المستخدمة في الكتاب(*)

1 ـ تحق : تحقيق

2 ـ س : السنة

3 ـ ش : النسخة الخطية المراكشية التي اعتمد عليها الأستاذ محب الدين الخطيب في تحقيق اللمحة البدرية

4 ـ ط : النسخة الخطية التي كتبها الغساني (بفاس) (القرويين)، والنسخة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (256)

5 ـ ع : العدد

6 ـ ق : النسخة الخطيّة المتخذة أصلاً في تحقيقنا، وهي الموجودة بخزانة القرويين بفاس، والمكتوبة في حياة ابن الخطيب سنة (769هـ/ 1367)

7 ـ ك : النسخة الخطية بمكتبة الأسكوريال بمدريد، تحت رقم (1776) الغزيري

8 ـ لا ب : لا بلد

9 ـ لا ت : لا تاريخ

10 ـ لا مط : لا مطبعة

11 ـ م : النسخة المطبوعة من اللمحة البدرية بمصر بعناية الأستاذ محب الدين الخطيب سنة (1928م)

11 ـ مخط : مخطوط

12 ـ م.ن : المصدر أو المرجع نفسه

(*) مُرتَّبة بحسب الترتيب الألفبائي.



المقدِّمة

الحمدُ لله الكبير المُتعال الذي جعلَ الحقَّ في الأكوان النبراسَ، والعدلَ في الأَرض والسماء الأساس، والقائلِ في مُحكم نظم كتابه الكريم ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140]، وخصَّ نفسه دون خلقه بالكمال والدوام، ونَصَّ على ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، والصلاةُ والسلامُ الأكملان الأتمّان على سيِّدنا ومولانا محمد بن عبد الله مُؤسس الدولة الإسلامية التي سلَّمت بدعوتها وعدلها الإنسانيةُ، واستروحت بظلالها وأَفيائها طوالَ العصور والدهور أَنفاسُ البشريّة.

أَما بعدُ فإن كتابَ **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** من تأَليف علاَّمة الأَندلس الوزير، بل ذي الوزارتين محمد لسان الدين ابن الخطيب السلماني من أَشهر تآليفه وتصانيفه المنسوبة إليه نسبة حقيقية ومن آثاره التي حفظها اللَّهُ من الضياع، وسلمت بالرغم من المحن والفتن التي تعرَّض لها من طوارق الحدثان، وعيث أَبناء الزمان؛ فوصل منه إلى أهل العلم عددٌ من النسخ الخطيّة، منها ما حفظ في خزائن إسبانيا (الفردوس المفقود) ومنها ما صِينَ ورُعيَ في خزائن المغرب الأَقصى، وربّما يُفصح لسانُ الخزائن في الغرب الإسلامي، والقماطر العامرة في مشرقه - مستقبلاً - عن ذخائر مخطوطةِ غميسة، وفرائد جديدة لهذا الكتاب ولغيره من آثار ابن الخطيب، وسواه من علماء العربية والإسلام الأَفذاذ على مختلف أَقطارهم، وتنائي ديارهم؛ فيمتلئ وفاضُ المكتبات بالنفائس المفقودة، ويُفيد الخَلَفُ من ثمرات أَيادي السَّلَفُ الممدودة.

لقد شرفت المكتبة السلفية في مصر، لصاحبها الكاتب الإسلامي المجاهد محبِّ الدين الخطيب ـ بإصدار الطبعة الأولى لهذا الكتاب سنة (1347/ 1928) مع تقديم مختصر كتبه هذا العالم رحمه الله ـ عرَّف فيه بالمؤلف، ثم أثبت وصفاً موجزاً للكتاب ذكر فيه ـ أنه لا يوجد له ـ فيما علم ـ إلا نسختان «إحداهما (وهي أجودهما) موجودة في مكتبة الإسكوريال[1] بالأندلس، والثانية موجودة بالمغرب الأَقصى»[2]. ثم مضى في الوصف فقال: «فأمّا الأندلسية فاطّلعنا على صورتها الشمسية، وهي في 120 صفحة في كلٍّ صفحة 19 سطراً، وليس فيها تاريخ كتابتها، وهذه الصورة الشمسية محفوظة الآن في الخزانة التيمورية العامرة، وأمّا النسخةُ المراكشيّةُ فلم يشأْ صاحبها أن يعرّفنا باسمه، وصورتها الشمسية محفوظة في خزانتنا، وهي في 152 صفحة في كلٍّ صفحة 15 سطراً، وقد كتبها أحمد بن محمد بن علي العربي الأندلسي الأَصل، الفاسي الدار والمنشأ، العكّي النسب، وقد أنهكت الأَرضةُ ورق هذه النسخة، وذهبت بمكان التاريخ في آخرها». قال: الأستاذ محب الدين «وكنتُ عند الطبع أعارض بين النسختين»، أشار بذلك إلى النسخة المراكشية والنسخة الإسكوريالية، اللتين يسميهما أيضاً «الأَصلين».

وقد أَصحب الأُستاذ محبُّ الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ تلك المعارضة بوضع بعض الهوامش التوضيحية القليلة والمهمّة في الكتاب الذي نشره.

ثم تقادمَ الزمانُ على تلك الطبعة الخطيبية إصداراً ونشراً، إذ كان زمن ظهورها عن المكتبة السلفية ـ كما أَشرنا ـ سنة (1347/ 1928)، فَخَفَّت دار الآفاق الجديدة في بيروت إلى مُعاودة نشرها من جديد، في طبعة أُخرى سنة (1399/ 1978)[3] مهَّد لها الأستاذ أَحمد عاصي بترجمة للمؤلف لسان الدين ابن الخطيب أَوجز فيها ذِكر نشأَته وتعليمه وذِكر وظائفه ولمحة عن عصره، وإلماعة إلى أُخريات حياته وتاريخ وفاته، وأَشار ـ بعد ذلك ـ إلى بعض مؤلفاته ـ ثم نُشر

---

(1) ذكر الأستاذ محمد عبد الله عنان في تحقيقه كتاب **الإحاطة** أن نسخة **اللمحة** في الإسكوريال برقم 1776، الغزيري (ضمن المجلد الذي يحتوي كتاب رقم الحلل).

(2) راجع: **اللمحة البدرية** بتحقيق الأستاذ محبِّ الدين الخطيب.

(3) كما صدرت الطبعة الثالثة سنة (1400 هـ/ 1980).

الكتاب بعد ذلك كما نشره من قبلُ محبُّ الدين الخطيب دون أية إضافة، سوى إلحاق الفهارس المتصلة بالأَعلام التاريخية، والأعلام الجغرافية.

والحقُّ أنَّ هذه الطبعة لم تدَّعِ فيها دارُ الآفاق الجديدة ولا كاتب تلك النبذة أو من وضع ذينك الفهرسين أنّها نشرة محقَّقة؛ بل أَلمحت إِلى أَنَّها قامت على جهد الأُستاذ محب الدين(4).

وفي سنة (1425/ 2004) نشرت الدار الثقافية للنشر بمصر كتاب **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** لابن الخطيب، وذكرت أَنَّ (التحقيق والتعليق) فيه للدكتور محمد زينهم محمد عزب الذي كتبَ للطبعة مُقدّمةً مختصرةً، تحدَّث فيها بإيجاز عن حياة المؤلف ومصنفاته وظهور بني نصر ومملكة غرناطة وما إليها في ثماني صفحات تلتها صفحة لأَسماء ملوك بني نصر، أَما عدا ذلك فكلُّه منقول بالكامل عن النشرة الصادرة عن المكتبة السلفية لمحبِّ الدين الخطيب، باستثناء بعض الهوامش التاريخية التي يضيق بها ذرعاً علمُ أو فنُّ التحقيق العلمي الدقيق؛ لأَنّها تشغل القارئ عن المخطوط أَو الكتاب المُحقّق، وهي كثيرة في أَول الكتاب كانت تغني عنها الإحالات الدالّة. ومن المحمود أَنَّ هذه الهوامش المفتعلة قلّت وضؤلت في القسم الأخير من تحقيق الدكتور محمد زينهم، إذ اقتصر المحقّق فيها ـ غالباً ـ على ما جاء في حواشي الطبعة السلفية، لأنه لم يعد في تحقيقه ـ كما أسلفنا ـ إلى أيّة نسخة من المخطوطات الموجودة في المشرق والمغرب، وهذا من الغريب في أصول علم التحقيق. فلمخطوط اللمحة البدرية غير ما ذكره الأستاذ محب الدين من النسختين المراكشية والإسكوريالية، نسختان مخطوطتان بخزانة القرويين، ونسخة بخزانة الرباط، ونسخة حديثة بالمتحف البريطاني ـ كما دلَّ على ذلك الأستاذ محمد عبد الله عنان(5) بل هناك نسخ أخرى في الخزائن العامة والخاصة.

(4) من المؤسف أَنَّ دار الآفاق الجديدة في بيروت تخلّت عن ذلك التواضع، إذ أعادت طباعة الكتاب في طبعات أخرى دون أية زيادة أو إضافة إلى طبعة محبّ الدين الخطيب، سوى إثبات أن الكتاب من «تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة»، وذلك كما لا يَخفى مظهر تبجح وادعاء.

(5) **لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري**: 240.

ومن الغريب أيضاً أنَّ الدكتور زينهم لم يشر في تحقيقه إلى أنّه اعتمد على هوامش الطبعة السلفية، أو الحواشي المحبِّية التي كتبها فيها الأستاذ محبُ الدين الخطيب، بل رأيناه في الغالب، ينقلها كاملةً دون عزو إلى كاتبها الحقيقي، ودون تحوير أو إضافة لِما كتبه الأستاذ المذكور بل من الطريف المضحك أنَّ الدكتور زينهم في إطار نشره للكتب المطبوعة المحقّقة، ينقل في حواشيه الكثير من المعلومات التي أفادها محبُّ الدين الخطيب ـ وهو كما لا يَخفى من العلماء الأَجلاء ـ من صديقه العالم المغربي الشيخ محمد المكي الناصري، فجلب الدكتور زينهم تلك المعلومات بأعيانها ـ حسبما أوردها محبُّ الدين، وبدون أدنى تصرّف فأنزل نفسه ـ إزاءها ـ منزلة الصديق للشيخ محمد المكي الناصري[6]. وقد تجلّى عوار هذا النقل الأعمى حرفياً في قول محبِّ الدين «وأخبرني الفاضل السيّد محمد المكي الناصري أنَّ الجوف في اصطلاح المغاربة، الجهة المقابلة للقِبلة، أي الشمال»[7]. كذلك أثبت قول محبِّ الدين في التعقيب على عادة سلاطين المغرب في قراءة كتب الحديث: «لا يزال إلى اليوم من عادة سلاطين المغرب الأقصى أن تُقرأ في مجالسهم الكتب الستة في الحديث في رجب وشعبان ورمضان، وزادوا في هذه السنة عليها مسند السلطان محمد بن عبد الله العلوي من سلاطين المغرب السلفيين[8] أفادني ذلك الصديق الفاضل السيّد محمد المكي الناصري»[9]. فأورد الدكتور زينهم تلك الإفادات الخاصّة وأمثالها ـ كما هي ـ ودون عزو إلى كاتبها الحقيقي؛ ونحن على يقين تام، والدكتور زينهم أيضاً على هذا اليقين، أنَّ الكلام في تحقيقه منقول، لأنّه لم يكتب له أن يعرف الأُستاذ محمد المكي الناصري، بَلْهَ أن يصادقه وينقل عنه.

(6) شرفت بالتعرّف إليه حينما كان سفيراً لبلده المغرب الأقصى في مدينتي طرابلس الغرب في الستينيات، وفي بلده المغرب في التسعينيات في بيت صديقه الدكتور عباس الجراري، كما استمعت إلى بعض دروسه في التفسير في جامع السنّة بالرباط.

(7) راجع: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحق: محبّ الدين الخطيب، **واللمحة**، تحق: محمد زينهم: 18.

(8) منذ أكثر من أربعين سنة أخذت مجالس الملك الحسن الثاني ومجالس ولده محمد السادس طابع الدروس والمحاضرات فيما عُرف بالدروس الحسنية التي يلقيها في حضرة السلطان كبار العلماء في العالم الإسلامي.

(9) راجع: **اللمحة البدرية**، بتحقيق محبّ الدين الخطيب وتحق: د. زينهم: 45.

وإنما الذي أوقعه في هذا الخلط الشائن، مظهر التسرّع والعجلة وحبُّ التكثر بالتحقيق والتعليق الذي تلبّس به نتاجه[10] فيما يسميه «التحقيق».

كما يُؤخذ على الدكتور زينهم أنه لم يدلّ قارئ عمله أو تحقيقه على أسماء بحور الشعر الواردة في سياقات النصّ المحقّق، وهي كثيرة، ومُحقق مثل هذه النصوص الأدبية والتاريخية التراثية مدعوٌّ ـ كما هو معلوم ـ إلى ضرورة استقراء الأشعار، وتسمية بحورها وأوزانها، كما أنّه مُطالبٌ بأشياء أخرى تجاهلها الدكتور في عمله. فما أحراه بالعودة إلى الأصول المقرّرة والمعتمدة في تحقيق النصوص التراثية.

وقد أردف الدكتور زينهم تحقيقه بالكشّاف العام المتضمّن أسماء الأعلام والأماكن الجغرافية والبطون والقبائل، وفهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة (وحقّه التقديم لا التأخير في ثبت الفهارس) وأسماء الكتب الواردة في النصّ والأشعار ومصادر ومراجع التحقيق، وحقّ العنوان أن يُكتب هكذا «مصادر التحقيق ومراجعه»، وكلُّ ذلك يُحسب للدكتور زينهم، وإن كان هذا مما يقوم به الحاسوب أو فنّيو المطابع، لكن يؤخذ عليه باعتباره محققاً أنه لم يُعنَ بكلِّ أسفٍ بترتيبها وفقَ طريقة مُعيّنة من الطرق المُتَّبعة لدى شوامخ المحققين، كما لم يُعنَ باتباع طريقتهم في وصف المخطوط أو المخطوطات المعتمدة عنده، وبيان عمله في التحقيق، مما أكّد أنّه اعتمد اعتماداً كاملاً على ما جاء في تحقيق الأُستاذ محبِّ الدين، واستأنس مع ذلك بالطبعات البيروتية، وكان حرياً به أن يرجع ـ على الأقل ـ إلى النسخ المتوفّرة في القاهرة، والموجودة ـ كما أسلفنا ـ في مكتبة أحمد تيمور باشا بدار الكتب الوطنية، أو مكتبة الأُستاذ محبِّ الدين الخطيب، لدى ولده قصيّ، فقد نصّ الأستاذ محبُّ الدين على أنّه يمتلك نسخة خطيّة.

أما هذا التحقيق الذي ننهض به، ونخفُّ إليه لكتاب **اللمحة البدرية في الدولة**

(10) وقفتُ على بحث للأستاذ الباحث المغربي عبد العزيز الساوري في العدد (4) من «ندوات كلية الآداب جامعة عبد الملك السعدي»، تحت عنوان **كتاب أسماء شيوخ مالك بن أنس** لأبي عبد الله محمد الأزدي الأونبي الأندلسي، تحق: د. محمد زينهم محمد عزب، اشتد فيه باللوم والتعنيف على هذا المحقق الذي عُرف بالتسرع والعجلة.

النصرية فهو يقوم على نسخ مخطوطَين قديمين للكتاب وقراءتهما لم يُعرفا من لدن المحققين أو الدارسين السابقين ولم يُهْتَدَ إليهما من قبلُ:

الأول: مخطوط أندلسي، كُتب ـ كما سيأتي بيانه ـ في حياة المؤلف محمد لسان الدين ابن الخطيب نفسه، بل فرغ من نسخه وتداوله قبل وفاته بسبع سنوات أي قبل عام (776/ 1375). قال ناسخه: «كمل والحمد لله، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً، بتاريخ ليلة الثلاثاء الحادي وعشرين لشهر ربيع الثاني عام تسعة وستين وسبعمائة»[11].

والآخر: مخطوط فاسي مغربي، نُسخ في مدينة فاس بعد قرنين كاملين من كتابة المخطوط الأندلسي السابق، أي في سنة (990هـ) وبالتحديد بعد مرور إحدى وعشرين ومئتي سنة من نسخ المخطوط المذكور، ومن مزيّة هذا المخطوط الفاسي، أنّه على الرغم من تأخره فإن ناسخه إبراهيم بن محمد بن الوزير الشهير بالغساني نسخه بيده من نسخة بخط مؤلف الكتاب ـ كما جاء في الورقة الأخيرة من المخطوط.

ومعنى ذلك أنَّ هذين المخطوطين المعتمدين في تحقيقنا للكتاب الأندلسي والمغربي، معدودان ـ بلا ريب ـ من النسخ الأُمهات ـ حسب أعراف أهل التحقيق.

وما من ريب في أنَّ هذا التحقيق الذي أُقدّمه للقراء اليوم، يحظى ـ بالرغم من صدور الطبعات المصرية والبيروتية السابقة ـ بمشروعيّة إصداره وإظهاره لعدّة أسباب أرى وجاهتها العلمية:

الأول: ما ذكرناه من أنَّ النصَّ المحقَّق بالنسختين الأندلسية والفاسية يمثل من حيث القيمة التاريخية النسخة «الأُمّ» وهذا وحده يشفع إلى ضرورة العناية بها وإعادة نشرها وتحقيقها؛ لأنها أعلى رتبة من (ك) و(ش) المعدودتين من النسخ الثانوية.

الثاني: ما ذكرناه أيضاً وما سوف يقف عليه القارئ الطَبِنُ في مساقات التحقيق ضمن المتن والحواشي من خلل ونقص وضعف، مما تلبَّست به الطبعات السابقة، وجاءت هذه الطبعة لرأب صدعه، وسدِّ نقصه وخلله.

(11) مخط (ق): 56.

الثالث: ما اتسم به جهدنا في هذه الطبعة من الدراسة التحليلية للمؤلِّف والمؤلَّف وهي الدراسة التي لم تتوسع فيها الطبعات السابقة من هذا الكتاب، فقد مهَّدنا لتحقيقنا هذا المخطوط النادر بفصل دراسي موسَّع، تناولنا فيه ـ بعد هذه المُقدِّمة التوضيحية المؤصلة، ترجمة المؤلف محمد لسان الدين ابن الخطيب: ولادته ومسقط رأسه وأوليته وتحصيله العلمي، ونبذاً من أحوال عصره، وشيوخه ووظائفه الرسمية، وآثاره العلمية، ثم ذكرنا لمحة عن هذا الكتاب موضوعه وسبب تأليفه وتاريخه، وعرضنا بعد ذلك عملنا فيه في المتن والحواشي، وانتهى بنا المطاف إلى إثبات النص المحقق **اللمحة البدرية في الدولة النصريّة**، وأملنا أن يحقِّق هذا العمل المأمول منه من النفع بين المصادر التاريخية والأدبية المعتبرة ضمن التراث الإسلامي والأندلسي.

ولا أُخفي ما بذلته في هذه الدراسة والتحقيق من جهد، أعانني عليه ما أفدته من دراساتي السابقة في شخصية ابن الخطيب، وتحقيقاتي لبعض آثاره، والمتمثلة في أطروحتي «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب[12] المضامين والخصائص الأُسلوبية» وتحقيقي نصوصه التي لم تشتمل عليها كتبه، مثل «رتيمة المودِّع وتعلَّة القلب المتصدّع»[13] و«استنزال اللطف الموجود من أسر الوجود»[14] وسبع رسائل أُخرى، والمنشورة جميعها ضمن كتابي **أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي**[15].

ومن الإنصاف والوفاء أن أُشيد ـ في هذا المقام ـ باليد السخيّة التي أمدتني بمصوّرة هذا المخطوط النادر، وآثرتني بتحقيقه ودراسته، يد العالم الأُستاذ الدكتور علي لغزيوي محافظ خزانة القرويين بفاس، وأُستاذ الدراسات العليا بها، الذي كان هذا المخطوط النفيس وجادةً من وجاداته، وكشفاً من كشوفاته المتميزة، وكم تمنيت أنَّ لو ساعدت ظروفه الخاصّة على تشاركنا في تحقيقه وإثرائه بومضات علمه وفهمه مع ما ذكرناه من سابق فضله.

---

(12) من إصدار دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

(13) نُشر نصّ هذه الوصيّة في ع3، س2006، من **مجلة كلية الآداب** بطرابلس.

(14) نُشر النص في **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، ع21، س2004.

(15) من إصدار دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009.

كما أُشيدُ وأُنوّه باليد الكريمة لصديقي الباحث الأصيل، والعالم النبيل الأُستاذ عمار محمد جحيدر الذي تفضل مشكوراً، ونهض بعبء تصوير المخطوط الفاسي الذي اشتملت عليه الخزانة العامة بالرباط، وبذل فيه جزءاً من نفيس وقته الثمين، كذلك أرفع تقديري إلى دار المدار الإسلامي العامرة التي تفضّلت فأصدرت هذا الكتاب ضمن أعمالها العلميّة القيّمة، والحمدُ لله رب العالمين حمداً يليق بعظيم أفضاله، وكريم منّه ونواله.

أ.د. محمد مسعود جبران
رئيس قسم اللغة العربية
في كلية الدعوة الإسلامية
طرابلس الغرب في 2006/5/23

الدراسة



ترجمةُ المؤلِّف

شَهِدَ العلماء وأهل الأدب والتاريخيون ـ في القديم والحديث ـ لابن الخطيب الأندلسي، بالبروز وعُلوّ القيمة الفكرية والذهنية التي تسنّمها في العلوم والفنون المختلفة التي أتقنها، وأسهم فيها بالتأليف والتصنيف، كما شهد له كبار الأعلام من المنصفين بالنبوغ في المنظوم والمنثور؛ فعدَّه وليُّ الله عبد الرحمن بن خلدون (732/ 808) «آية من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والأدب، لا يساجل مداه، ولا يهتدى فيها بمثل هداه»[1]. بل بالغ إسماعيل بن الأحمر في نثير جُمانه في وصفه ووصف نتاجه المعرفي المتنوع والغزير فحلّاه ـ على الإطلاق ـ بقوله: «إنه كاتب الأرض إلى يوم العرض»[2].

ومن الحق إن أقوال الكتّاب القدامى والمحدثين وأحكامهم، أجمعت على أن ابن الخطيب كان بمواهبه المختلفة، وطاقاته العلمية والبحثية المتعدّدة، وبفضل ذكائه واجتهاده، مع ما خصّه الله به من سعة الذرع في الإدراك واللغة والخيال، والدقّة البالغة في التصوير، ظاهرةً متميّزة، وقدرة خلّاقة في العلوم والآداب، وإمكانية متفردة بفضل غزارة النتاج في شتّى الفنون[3]، وهذا ما حدا بالدكتور

---

(1) **العبر** 7: 959، **ابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**: 167.

(2) **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**: 243.

(3) راجع على سبيل التمثيل لا الحصر: عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي** 6: 506 ـ 507، محمد أبو بكر التطواني، **ابن الخطيب من خلال كتبه** 1: 26، محمد عبد الله عنان، **لسان** =

أحمد أمين إلى التسليم له بأنه كان خلاصة الفكر الإسلامي العلمي والأدبي في الأندلس. حيث قال: «فالذي يظهر لنا أنَّ الثقافة الأندلسية من أولها في الأندلس إلى آخرها، قد صُفّيت وتقطرت في لسان الدين ابن الخطيب في تعدد مناحيه، وسعة علمه، وكثرة إنتاجه، ولعل هذا المعنى هو الذي شعر به المقّري فألّف في كتابه **نفح الطيب** وفيه كل ثقافة الأندلس، وسمّاه باسمه كأنما هو هي»[4]. والحقُّ أن لسان الدين ابن الخطيب لم يكن على هذا الوصف الدقيق في تحصيل العلم والمشاركة في فروعه المتنوعة فحسب، بل كان أيضاً شخصية فذّة ومرموقة في الرئاسة والحكم، وأحسبنا لا نغالي إذا قلنا إنه كان ـ في زمنه أو عصره ـ الحاكم الفعلي المطلق، أو على رأي عبد الرحمن بن خلدون «المستبد»[5] في قصر الحمراء بغرناطة في حالتي السلم والحرب[6].

ولد هذا العبقري الأندلسي، مؤلف هذا الكتاب **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** أبو عبد الله محمد لسان الدين ابن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب[7]، في مسقط رأسه «لوشة»[8] التي يسميها لقربها من غرناطة عاصمة

= **الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري**، محمد كرد علي. **كنوز الأجداد**: 332. محمد كمال شبانة، «المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب». **مجلة دعوة الحق**، ع8. 1966. حسن الوراكلي. **لسان الدين في آثار الدارسين**.

(4) **ظهر الإسلام** 3: 224 ـ 225.

(5) **ابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**: 91.

(6) راجع تفصيل ذلك في محمد عبد الله عنان. **لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري**، موسى العربي. **الفلسفة السياسية عند لسان الدين ابن الخطيب**، عبد العزيز بن عبد الله. **الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب**، محمد مسعود جبران. في **آثار لسان الدين ابن الخطيب** 1: المدخل العام.

(7) للتوسع في معرفة ترجمة ابن الخطيب وحياته، راجع: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، **ونفاضة الجراب** لابن الخطيب. **ابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً** لابن خلدون. **جذوة الاقتباس** لابن القاضي. **نفح الطيب** للمقري. **الاستقصاء** للسلاوي الناصري. **الدرر الكامنة**، مخط. **إدراك الأماني من كتاب الأغاني**، **والكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**، وابن الخطيب من خلال كتبه، **درّة الحجال في أسماء الرجال**، **وسلوة الأنفاس**.

(8) قال في هذا اللباب في القسم الثاني «وهو بلدنا لوشة».

الدولة النصرية «بنت غرناطة»[9]، إذ لا تبعد عنها إلا بمسافة لا تتجاوز خمسة وخمسين كيلومتراً[10].

وكان ميلاده فيها ـ كما حدّده ـ في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث عشر وسبعمائة، الموافق السادس عشر من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف، (713/ 1313)[11] على عهد الدولة النصرية آخر الدول الإسلامية في الأندلس، وهي التي أرّخ لملوكها ورجالاتها والبارزين فيها في هذا الكتاب وغيره[12].

وكان ابن الخطيب ـ رحمه الله ـ يعتد في مواضع كثيرة من كتبه وآثاره بأوليته وسلفه البارزين، إذ يخبرنا كما تخبرنا المراجع القديمة والحديثة في بيت توارث النعمة والعلم والفضل والرئاسة والمجد هو بيت بني الخطيب السلماني ذي الأصول والأجذام العربية التي تُنمى إلى اليمن[13] وكان هذا البيت يُسمَّى في القديم ببيت بني وزير لصلة هذا البيت قديماً بالوزارة والرئاسة والحكم، ويُسمَّى في عهده ببني الخطيب لصلته في الحديث بالكتابة والفِقه والخِطابة والعلم[14]، وهو ما غرس في لسان الدين بذور الطموح الذي لا ينتهي عند حدٍّ في التلبس بالعلم والحكم على حدٍّ سواء، فجمع في شخصيته الطموحة ما تفرّق في سلفه عبر القرون.

---

(9) **الإحاطة في أخبار غرناطة**: 4: 438.

(10) م. ن 4: 438، **الحلل السندسية** 1: 189، **اللمحة البدرية**: 28.

(11) **الإحاطة** 4: 634. وراجع: **إدراك الأماني من كتاب الأغاني** و**الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب** وكلاهما لعبد القادر السلوي الأندلسي. **الأعلام** لخير الدين الزركلي. **بلاغة العرب في الأندلس** لأحمد ضيف. **درة الحجال في أسماء الرجال** لأحمد القاضي.

(12) راجع كتاب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، و**أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، **خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف**، و**طرفة العصر**.

(13) **الإحاطة** 4: 438، **جذوة الاقتباس** 1: 308، **الدرر الكامنة** 4: 88.

(14) **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب** 1: 42 ـ 43. وراجع: محمد عبد الله عنان، **لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري**، وعبد الكبير الفهري الفاسي، «ابن الخطيب السلماني»، **مجلة دعوة الحق**، ع7، س1959، **منوعات ابن الخطيب** للحسن السائح، **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان** لابن الأحمر.

وما من ريب في أن والده عبد الله ابن الخطيب الذي كان من المقربين من السلطان النصري أبي الحجاج يوسف[15] وكان كما وصفه مترجمنا «رجل إخاء وازم، تروق أنوار خلاله الباهرة، وتضيء مجالس الملوك من صورتيه الباطنة والظاهرة، ذكاء يتوقّد، وطلاقة يحسد نورها الفرقد، وكانت له في الأدب فريضة، وفي النادرة العذبة منادم عريضة»[16] كان المهتم بتربيته ورعايته وتهذيبه والرقي به، ليكون على الوصف الذي عرف به فيما بعدُ.

يحدثنا مترجمنا ومن أرَّخ له أن هذا الوالد اختار له المهاد المهيئ للتنشئة الصالحة الواعدة، وأنّه انتخب له من المربين والشيوخ والمعلمين المتميزين في الإقراء والتدريس بغرناطة، ما شهد له أهل العلم بالقدرة والكفاءة، فحفظ القرآن الكريم بشيخه أبي عبد الله بن عبد المولى العوّاد، وشيخه أبي الحسن القيجاطي[17] حفظاً وقفنا على أثره الرائع في رسائله الإبداعية التي حفظها كتابه **ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب**[18] وغيره، ثم تدرّج على عادة الأندلسيين في التلقي والأخذ عن شيوخ العلم علوم الآلة والمقاصد وعلوم الأوائل حسب الترتيب المعمول به عندهم، وقد كان من شيوخه المشهود لهم بالتقدّم أبو عبد الله ابن مرزوق وابن شيرين ومحمد بن محمد بن أحمد المقري جدّ صاحب **نفح الطيب** وأبو عثمان بن ليون وأبو عبد الله بن بكر وأبو القاسم بن جزي، وشيخه يحيى بن هذيل[19].

وقد ذكر ابن الخطيب في هذا الكتاب الذي نحققه شيخه البعيد التأثير في حياته العلمية والعملية أبا الحسن علي بن الجيّاب وشيخه الإمام العلاّمة أبا عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري وشيخه الأديب أبا القاسم محمد بن أحمد

---

(15) م.ن 1: 43.

(16) **الإحاطة** 4: 439.

(17) **الإحاطة** 4: 457، **نفح الطيب** 8: 22.

(18) راجع: **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب** (المضامين والخصائص الأسلوبية) وفيه تحليل لرسائل هذا الكتاب وآثار أخرى لابن الخطيب. [صادر عن المدار الإسلامي، بيروت، 2004].

(19) راجع: **نفح الطيب** 7: 275، **الإحاطة** 2: 129، **الكتيبة الكامنة** 86: 127 ـ 166، محمد عبد الله عنان، **لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري**، وأبو بكر التطواني، **لسان الدين بن الخطيب، من خلال كتبه**.

السبتي الحسني صاحب **رفع الحجب المستورة** والذي لا خلاف فيه أن مترجمنا أفاد من هؤلاء الشيوخ وغيرهم الذين أشار إلى أنهم بلغوا الثلاثين شيخاً[20] أو يزيد، ومن الكتب التي قرأها عنهم علماً وفهماً، وخبرةً وبصراً بالمسائل العلمية، ومجريات الأمور، مما انعكس جميعاً في آثاره. قال الأستاذ أحمد ضيف: «وقد اغترف من كلِّ بحر قطرة، وكتب في كثير من الفنون المختلفة بين علمية وأدبية، واطلع على أكثر ما كتب في العلوم والفنون، ولا سيما كتب التاريخ، ويحسبه بعض العلماء من المؤرخين الكبار؛ فكان عقله خزانة علوم وآداب، وكان عالماً وفقيهاً وشاعراً وكاتباً، ولكنه لم يختصّ بفنّ ولم يتفوق في شيء كتفوقه في الأدب، حتى كان من أئمته»[21].

ومن المعروف أن دخوله في الحياة العملية في قصر الحمراء، بدأ فعلياً بعد ذلك التحصيل المعرفي وأيضاً بعد استشهاد أبيه وأخيه الأكبر في معركة «طريف» التي تُعرف أيضاً بمعركة «سلادو» سنة (741/ 1341)[22] حيث حفظ له السلطان أبو الحجاج يوسف النصري مكانة أبيه وولاءه لدولته، كما حفظ له علمه وأدبه، وشهادة شيخه أبي الحسن الجيّاب فيه[23] فأدخل إلى ديوان العلامة أو ديوان الإنشاء في سنة (749/ 1349) وظلَّ كاتباً متقدماً فيه إلى أن هلك شيخه ابن الجيّاب في الطاعون الجارف عام (749/ 1348)[24] وما زال هذا اللوذعي يتدرع بمواهبه وذكائه وحسن سمته إلى أن سمّاه السلطان في آخر أيامه وزيراً، وأوكل إليه مهمة رعاية ابنه وولي عهده من بعده الأمير محمد الغني بالله، وكان عهدئذٍ صغير السن فرعاه، ولم يخفر ذمة أبيه فيه إلى أن هلك أبو الحجاج عام (755/ 1354)[25]،

---

(20) **الإحاطة** 4: 438، **نفح الطيب** 7: 116 ـ 391، 8: 4 ـ 58، **ابن الخطيب من خلال كتبه** 1: 94، **جذوة الاقتباس** 1: 309، **الدرر الكامنة** 4: 88.

(21) **بلاغة العرب في الأندلس**: 242.

(22) **الإحاطة** 4: 442، **المعرب المبين لما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين**: 89 ـ 90.

(23) **الإحاطة** 4: 442 ـ 443.

(24) **الإحاطة** 4: 125 ـ 146، **الكتيبة الكامنة**: 183، **نثير فرائد الجمان**: 125، **نفح الطيب** 7: 352، **درّة الحجال** 3: 234.

(25) راجع هذا الكتاب: **اللمحة البدرية**، **ويوسف الأول ابن الأحمر**: 241.

فكتب في تعيينه ومبايعته الظهير، وجرّد من نفسه حساماً بتاراً، ومذوداً قوالاً في نصرة الأمير، والعناية بأمره وأمر الدولة النصريّة؛ فبقي وزيراً ممكَّناً ومتقدماً، متمتعاً بالنفوذ المطلق في حمراء غرناطة[26]، إلى أن نشبت فتنة ثورة أخي السلطان المسمّى إسماعيل عليه في سنة (760/ 1359)[27] بمساعدة والدته وصهره البرميحو، وهي الفتنة التي ترتب عليها لجوء سلطانه محمد الغني بالله إلى وادي آش في البدء، ثم إلى مملكة بني مَرين في المغرب الأقصى[28].

وعلى الرغم من أنَّ ابن الخطيب ـ الذي تخلَّف بفعل المفاجأة عن سلطانه الهارب ـ ظلَّ في بداية عهد إسماعيل بن يوسف النصري ـ الذي وصفه في هذا الكتاب بالضعف وعدم الصلاحية للحكم والملك ـ مرعيّاً مكرّماً معتمداً عليه في تسيير الدولة لخبرته ودهائه؛ فإنه سرعان ما لقي من الثائرين الموتورين التضييق والكبس، والخوف والريبة؛ مما دفعهم إلى الزجّ به في السجن، وحبس حريته زمناً[29]، انتهى خلاله خبره إلى السلطان أبي سالم المريني المحتثيِّ من المملكة النصرية بغرناطة، فتشفع له، وعمل على فك سراحه، وليكون ذلك فاتحة ليلحق هذا الوزير الأسير بسلطانه محمد الغني بالله في وادي آش؛ وليحلاّ بعد ذلك مع الحاشية والأهل ضيوفاً عليه مكرمين في المغرب[30] وقد أنشد مترجمنا عند وصوله إلى قصر السلطان أبي سالم في مدينة «فاس» قصيدته الرائية البديعة الرائعة في حفل شهده الوزراء والكبراء، وأهل الأدب والعلماء، وهي التي مطلعها[31]:

سلا هل لديها من مخبّرة ذكرُ وهل أعشب الوادي ونمَّ به الزهرُ

---

(26) الإحاطة 4: 443، أعمال الأعلام 2: 310.

(27) أعمال الأعلام: 306 ـ 307، الإحاطة 4: 443، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى 4: 8.

(28) أعمال الأعلام: 306 ـ 307، الإحاطة 4: 443، الاستقصا 4: 8.

(29) أعمال الأعلام 2: 311، الإحاطة 4: 443 ـ 444. وراجع: لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري، ومجلة كلية الآداب بتطوان، عدد خاص بندوة ابن الخطيب، ع2، س2، 1987.

(30) الإحاطة 1: 26، فنون النثر 1: 52 ـ 53.

(31) راجع: القصيدة في أعمال الأعلام 2: 312، ديوان لسان الدين 1: 414.

فانتشى الجميع لروعة تصويرها، وبراعة تعبيرها، وعرفت عند المَرينيين مكانته، وبولغ في تكريمه، واستجيب لمطالبه ورغائبه على النحو الذي فصّله في **نفاضة الجراب**[32].

وعندما تبدّلت الظروف السياسية في غرناطة، وقتل السلطان المنتزي الضعيف إسماعيل بيد الثوار الذين قادهم ابن عمه، وعاد السلطان اللاجئ محمد الغني بالله في سنة (763/ 1361) إلى مملكته ودار حكمه في قصر حمراء غرناطة[33]، طلب من السلطان المَريني أبي سالم أن يسمح له بعودة وزيره لسان الدين ابن الخطيب ليلتحق به في غرناطة؛ فأذن له بذلك ورجع مُعَززاً من السلطانين، وبالغ محمد الغني بالله النصري في إكرامه، وإعلاءِ مكانه، رعياً لأياديه ووفائه ونصرته، وأطلق يده من جديد في الحكم بعد أن قلّده أعلى مناصب الدولة في غرناطة؛ منصب «ذي الوزارتين» فعلا نجمه، وارتفعت رايته[34] وخضع الكبراء والأحضياء لرئاسته، وصار لتقدّمه وسمو مرتبته محسداً؛ إذ آلت إليه آليات الحكم والسطوة في الحرب والعلم دون منازع، وقد رأى ابن خلدون قوة مكانة صديقه ابن الخطيب في هذا الطور عند حلوله بغرناطة، ونزوله بقصر سلطانها النصري سنة (764/ 1362) فوصفه بأنّه كان مستبداً بالدولة، متحكماً في سائر أحوالها[35].

وبعد سنة من تاريخ نزول ابن خلدون في بلاط غرناطة فرغ ابن الخطيب من تأليف هذا الكتاب «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» أظهر فيه تقديره لسلاطينها وقدّمه لسلطانه تقرباً وزلفى واستمالة لدوام عطفه.

والذي لا مرية فيه أن هذا الدنو من السلطان أو هذا الاستبداد والتحكم في سائر أمور الدولة النصرية ـ حسب رأي ابن خلدون ـ وحكمه على عهد ذي الوزارتين ابن الخطيب في هذا العهد، قد أثار عليه ـ دون شك ـ ثائرة أعدائه، وحفائظ خصومه المتطلعين إلى مناصبه وصلاحياته في السلطة ونيل القرب من

(32) **نفاضة الجراب** 2: 379.
(33) م.ن: 3: 117 ـ 118، **الإحاطة** 4: 445، **أعمال الأعلام** 2: 214.
(34) **أعمال الأعلام** 2: 314 ـ 315، **الإحاطة في أخبار غرناطة** 4: 445 ـ 446.
(35) **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**: 91.

السلطان، وتولّي المناصب والخطط، فأجمعوا أمرهم على الكيد له، بالرغم من أياديه الكريمة عليهم، وخيلوا لسلطانه أن ابن الخطيب يسعى بأساليب خفيّة، ومؤامرات كيدية مع الدولة المرينية وسلطانها الجديد عبد العزيز المريني إلى الإطاحة به، وتولّي مقاليد قصر الحمراء بنفسه(36)، وحاكوا بذلك نسيج التهمة السياسية ضده، وذهب فريق آخر من هؤلاء الخصوم إلى نسج خيوط تهمة أخرى دينية؛ فقالوا إنّه صار بتصوّفه الفلسفي الذي أودع نظرياته في كتابه «روضة التعريف بالحب الشريف» من القائلين بالوحدة والحلول والخارجين عن الشرع الإسلامي الحنيف(37)، فتكونت بذلك تهمتان تكفي الواحدة منهما لقتله وتصفية جسده وإبادته، ويبدو أنَّ السلطان محمد الغني بالله كان ضعيفاً شديد الخوف والحذر بعد فتنة ثورة أخيه التي كلفته الهجرة إلى المغرب مُدّة ثلاث سنوات (760/ 763)(38) فأصاخ السمع للوشاة، وتحوّل حبُّه وتقديره لراعيه القديم إلى حقد وشكّ وكراهية، وقد لمس ابن الخطيب ذلك كله من السلطان والحاشية(39)؛ ففرَّ بطريقة ذكية وخفية إلى تلمسان في البدء، ثم التحق في سنة (773/ 1371) بالسلطان عبد العزيز في المغرب الذي حماه ورعاه إلى حين وفاته(40).

ولكن تغيُّر الأحوال وتبدلها المفاجئ في المغرب بعد موت السلطان عبد العزيز، وتصيّر خصمه سليمان بن داوْد نافذاً في مجريات السياسة المرينية بالمغرب سهّل أمر وصول خصومه الغرناطيين إليه، وساعد على قرب محنته، ودنوّ أجله، إذ استجاب البلاط المريني لحقد البلاط الغرناطي(41)؛ فامتحن

---

(36) **أعمال الأعلام** 2: 31.

(37) م. ن. 2: 319، **الإحاطة** 4: 446.

(38) أحمد مختار العبادي، **حياة ابن الخطيب المغربية**، **مجلة البينة**، سنة 1962. **الاستقصا** 4: 20.

(39) **أعمال الأعلام** 2: 217، **لسان الدين ابن الخطيب وتراثه الفكري**: 147 ـ 148، **فنون النثر الأدبي** 1: 58 ـ 59.

(40) **أعمال الأعلام** 2: 319، **الاستقصا** 4: 48.

(41) **مجلة كلية الآداب** بتطوان، ع2، س2، د. عبد الهادي التازي، **ابن الخطيب سفيراً ولاجئاً سياسياً**، **نفح الطيب**، الجزء الرابع.

بالحبس والسجن ثم ابتلي بمحاكمة شكلية ظالمة، تولّى كِبْرَها تلميذه محمد بن يوسف بن زمرك وزير الغني بالله الذي جاء من غرناطة موفداً من سلطانه ليحاكمه، ويتأكّد من موته، وقد قتل ابن الخطيب ـ بعد هذه المحاكمة الظالمة الجائرة ـ خنقاً بأيدي أعوان سليمان بن داود وجماعة غرناطة، ثم دفن، وأخرج شلوه من جديد وأحرق شعره، واسودت بشرته ووضع في قبره في مقبرة باب المحروق بفاس في عام (776/ 1375)[42].

ورحم الله لسان الدين ابن الخطيب الذي قال في كتابه «أعمال الأعلام» ذاكراً السياسة وأدواءها وحسائفها القاتلة بقوله «وهذه البضاعة في سوق الملك ليست بمستغربة؛ فمن عُوفي فليحمد الله»[43].

مؤلفاته وآثاره العلمية:

على الرغم من كثرة أعمال لسان الدين في السياسة، وفي تسيير مهام الدولة في السلم والحرب ضد ممالك النصارى، واهتمامه بأعماله وشؤونه الخاصّة، فقد اشتغل بالتأليف والتصنيف وصل إلينا الكثير منها، وضاع بعضها الآخر بسبب الحروب والفتن والمكائد من خصومه والحاقدين عليه، ونورد هنا أسماء هذه الكتب مرتّبة على الطريقة الألفبائية:

1 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة.

2 ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.

3 ـ الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم (التاج) من الجواهر.

4 ـ الألفية في أصول الفقه.

5 ـ الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة.

6 ـ بستان الدول.

---

(42) **ألف سنة من الوفيات**: 25 ـ 127 ـ 216، **جذوة الاقتباس** 1: 311، **أزهار الرياض** 1: 229، **الإعلام بمن حلّ مراكش** 3: 353 ـ 361، **السلوة** 3: 188.

(43) **أعمال الأعلام**.

7 ـ التاج المحلّى في مساجلة القدح المعلّى.
8 ـ جيش التوشيح.
9 ـ خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف.
10 ـ رقم الحلل في نظم الدول.
11 ـ روضة التعريف بالحب الشريف.
12 ـ ريحانة الكتَّاب ونجعة المنتاب.
13 ـ السحر والشعر.
14 ـ الصَّيِّب والجَهام والماضي والكَهام.
15 ـ طرفة العصر في دولة بني نصر.
16 ـ عائد الصلة.
17 ـ عمل من طبَّ لمن حبَّ.
18 ـ الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه من أعلام المائة الثامنة.
19 ـ كناسة الدكان بعد انتقال السكان.
20 ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية.
21 ـ المختصر في الطريقة الفقهية.
22 ـ المسائل الطبّية.
23 ـ معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار.
24 ـ المفاضلة بين مالقة وسلا.
25 ـ نفاضة الجراب.
26 ـ النفاية بعد الكفاية.
27 ـ اليوسفي في علم الطب.

«اللمحة البدريّة في الدولة النصريّة»

لا مُشاحّة في أنَّ ما كتبه ذو الوزارتين المؤرخ الباقعة ابن الخطيب في كتابه **اللمحة البدرية** يُعدّ من أهم المصادر وأوثقها في التأريخ لحياة الدولة النصرية، وسير أمرائها وسلاطينها الذين تعاقبوا على حكم غرناطة وقصر الحمراء فيها منذ نشأتها إلى آخر حياة هذا الوزير المؤرخ، فقد اعتمد في كتابته التأريخية والتراجمية على كتب التاريخ الموثوق بها، وعلى وثائق ومستندات معتمدة، كما عاد في كتاباته إلى شواهد مكتوبة وأُخرى منحوتة، وإلى روايات شفهية من السلاطين والكتّاب والقضاة والأدباء، وإلى سماعات ومرويات من الخاصة والعامة، زيادة على ما اطلع عليه، وشاهده معاينة في ظل دولة بني الأحمر، ومجريات تصاريف الأحداث على البلاد والعباد فيها؛ فهو بحق مؤرخ الدولة المستظل بأفيائها واللائذ بأعتابها، والذائق مع سلفه من عذبها وعذابها؛ وقد أصاب ابن الخطيب كبد الحقيقة حينما وصف نفسه، وما حرّره وحبّره في أحوال بني الأحمر أو بني نصر بقوله «إذ كنت جهينة أخبارهم، وقطب مدارهم، وزمام دارهم»[44].

وقد أرخ ابن الخطيب في هذا الكتاب لسلاطين دولة بني نصر أو بني الأحمر في غرناطة من لدن أولهم مؤسس الدولة أبي عبد الله محمد بن يوسف إلى عهد سلطانه محمد الخامس أو محمد الغني بالله الذي اغتيل ابن الخطيب ـ كما تقدَّم ـ في عهده وبأمره ويستفاد من مساقات الأخبار في هذا المخطوط أنَّ المؤلف لم يكتب كتاب **اللمحة البدرية** على الرغم من صغر حجمه ـ كاملاً في فترة زمنية واحدة ومحدّدة، وإنما كتبه في فترات متباعدة إلى حدّ ما ـ حسب ظرفه القلق والمأزوم؛ فقد ابتدأه ـ كما جاء في الترجمة التي كتبها للسلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر ـ قبل سنة (763/ 1316)[45] حيث قد أشار فيها إلى انصراف عمر بن الوزير بن عبد الله الياباني خلالها إلى مدينة سجلماسة بلد أبيه، وهي السنة التي كان يحرّر فيها هذه الترجمة، قال «وهو الآن بها على تاريخ الفراغ من هذا التقييد، وهو غرّة جمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة»[46].

(44) مخط (ق) الورقة: 1.

(45) مخط (ق) الورقة: 49.

(46) م.ن. الورقة: 51.

ومن المعلوم أن هذه السنة نفسها التي عاد فيها سلطانه من مهجره في المغرب المرينية إلى عاصمة ملكه، وسدّة الحكم فيها حمراء غرناطة، بعد انفراط عقد المنتزين الثائرين عليه من قرابته، ولم يفرغ ابن الخطيب من تحرير **اللمحة** وتحبيرها إلا في سنة (765/ 1363)[47] كما تقدمت الإشارة.

وقد تميَّز هذا الكتاب التراجمي بما تميَّزت به كتب تراجمه الطولية والعرضية المفقودة والموجودة مثل **عائد الصلة** و**طرفة العصر في أخبار بني نصر** و**الإحاطة في أخبار غرناطة** و**أعمال الأعلام** و**التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى** و**الإكليل الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر** وغيرها[48] حسبما فصَّلناه في كتابنا **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب**[49] فرأينا ميله إلى التأصيل في تراجمه من خلال:

1 ـ المنهجية.

2 ـ الإضافات والتأملات.

3 ـ الوصف الدقيق الحي للمترجم بهم.

4 ـ التوثيق.

5 ـ إثراء التراجم بمظاهر النقد الأدبي.

فكتاب اللمحة البدرية ـ على الرغم من صغر حجمه وطبيعة مادته المقصورة على ذكر غرناطة وما إليها وتراجم سلاطينها والإيماء إلى أعيانها ـ ظهر فيه هذا التأصيل الذي يسلكه ضمن أهم أعماله التاريخية والتراجمية، بل ضمن الأعمال التاريخية الإسلامية المهمة فقد اتَّبع فيه منهجية محدّدة وصارمة، إذ قسّمه كما سنرى خمسة أقسام:

---

(47) مخط (ق) الورقة: 56.

(48) راجع ما كتبه الدكتور محمد زنيبر، **ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي**، ود. أحمد مختار العبادي، **لسان الدين وكتاباته التاريخية**، ود. محمد كمال شبانة، **المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب**.

(49) هي في الأصل رسالة جامعية نلت بها دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس بالرباط تحت إشراف الأستاذ الدكتور عباس الجراري، ونوقشت في مدرج الإدريسي بتاريخ 13/ 11/ 1997 من لجنة علمية مكوّنة من الدكتور محمد بن شريفة وعلي لغزيوي وثريا لهي.

القسم الأول: في ذكر المدينة «غرناطة» وما يتبعها.

القسم الثاني: فيما يرجع إلى هذه المدينة وأقاليمها.

القسم الثالث: فيمن تولاه من السلاطين والأمراء.

القسم الرابع: في عوائد أهلها وتقاليدهم.

القسم الخامس: في تتابع الدول فيها.

ثم إنه أمدَّ تراجمه بالإضافات المهمة من قراءاته وسماعاته، وبالتأملات الذكية من انطباعاته ونظراته. ولا يختلف اثنان في قدرته ـ باعتباره أبرز أُدباء الأندلس ومؤرخيها ـ في وصفه الدقيق الحي للمترجم بهم، فكلُّ شخصية عنده متميّزة بخصائصها المائزة، مع توثيق أخبارها وأحوالها من المظان المعتمدة والمختلفة ـ كما ألمعنا، ولئن لم يتوسع ابن الخطيب في إثراء تراجم شخصياته من السلاطين بمظاهر النقد الأدبي ـ ضرورة أنهم في الغالب رجال حكم وسياسة، لا رجال أدب وذائقة فنيّة، فإنّه لم يغفل الذين عالجوا هذه الصناعة منهم بلمحات ونظرات نقدية، على نحو ما جاء في حديثه عن شعر أمير المسلمين محمد بن محمد بن يوسف بن نصر إذ وصفه بقوله «وهو نمط منحط بالنسبة إلى أعلام الشعراء، مستطرف من الملوك أمثاله والأُمراء»[50] أو حكمه النقدي على أمير المسلمين محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ثالث الملوك النصريين فقد قال «كان شعره مستطرفاً من مثله، لا بل يفضل به الكثير ممن ينتحل من الملوك الشعر»[51] والرائع في هذا الكتاب المصدر تواضع مؤلفه به الذي تمثَّل في قوله: «فإن كانت الإجادة فهو القصد، أو كانت الأخرى، بذل الجهد، وحصلت البراءة من التقصير ولله الحمد».

(50) مخط (ق) الورقة: 17.

(51) م.ن. الورقة: 23.



المخطوطات المعتمدة في التحقيق

وعملنا فيها

اعتمدنا في تحقيق هذا المخطوط ـ كما تقدَّمت الإشارة ـ على نسختين رئيستين؛ هما مخطوط خزانة القرويين بفاس، ومخطوط الخزانة العامة بالرباط. كما استأنسنا في التحقيق بجهد الأُستاذ محبّ الدين الخطيب في نشر هذا الكتاب، والذي اعتمد فيه ـ كما ذكر ـ على مخطوط خزانة الإسكوريال، ومخطوط مراكش، حسبما جاء في تقديمه للكتاب الذي تولّى نشره في المكتبة السلفية سنة (1347/ 1928) والذي اعتمدت عليه الطبعات اللاحقة لطبعة دار الآفاق البيروتية، والدار الثقافية للنشر بمصر.

1 ـ تقع المخطوطة الأندلسية «الأُمّ» والمعدودة من نوادر وذخائر خزانة القرويين العامرة بفاس، والمصنفة تحت رقم (80/ 1491) في حدود سبع وخمسين ورقة من الحجم المتوسط، وقد جاءت معظم أوراقها سليمة إلا في بعضها التي أصابتها الرطوبة، وأكلتها الأرضة مثل الورقة الأولى والثامنة والتاسعة والثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين وبعض الأوراق الأخرى وبخاصة الورقة الأخيرة.

وتحتوي كل ورقة من أوراقها على تسعة عشر سطراً، يضم السطر الواحد غالباً تسع أو عشر كلمات، باستثناء الورقتين الأولى التي تضمّنت العنوان واسم المؤلف وبعض الإفادات، والأخيرة التي تضمنت سطورها كلمات أقلّ؛ وجلُّ

المخطوطة مكتوب بخط أندلسي مليح واضح ومتناسق ومتساوٍ في الخط، خلا بعض الكلمات المجعولة للعناوين واللافتة إلى أسماء الأعلام والبلدان؛ فإنها تكتب بخط مشابه ولكنه غليظ، يتميز بالكبر عن سائر الخط في الورقة.

كتب في الورقة الأولى من هذه المخطوطة عنوانها **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تأليف الرئيس أبي عبد الله محمد الخطيب ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وفي أسفل الورقة تحبيسها من أمير المؤمنين «مولانا الإمام أبي العباس المنصور على خزانة الدولة المرينية الشريفة، قبلي جامع القرويين من فاس المحروسة» وفي هذا التحبيس على الخزانة وطلبة العلم ما يفيد شرطهم ألا يخرج المخطوط عن حرم الخزانة المتخذ للمطالعة.

وفي أعلى الورقة بجانب العنوان إِعلام بمن طالعها من العلماء وهما: سيدي محمد بن الرياحي وعلي المكناسي.

ثم ابتدأت المخطوطة بالبسملة، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله، تلا ذلك عبارة «قال الشيخ الإمام الهمام العلاّمة أعجوبة الزمان الرئيس أبو عبد الله الخطيب رحمه الله تعالى، وعفا عنه»[1] مكتوبة بخط مغربي معتاد، جاء بعده متن الكتاب مبدوءاً بالحمدلة، وانتهى بقول المؤلف «وهذا الكتاب عيون ونكت، ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتاب نفاضة الجراب من تأليفنا، والله يحسن العقبى في الآخرة والأولى؛ فإليه الرجعى لا إلّه إلا هو»[2].

تبعه قول الناسخ الدالّ على زمن الكتابة والنسخ وأنّه تم في أخريات حياة ابن الخطيب، بل قبل وفاته بسبع سنوات قال «كمل والحمد لله، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، بتاريخ ليلة الثلاثاء الحادي وعشرين لشهر ربيع الثاني عام تسعة وستين وسبعمائة»[3].

ومن المعروف أن الفراغ من تأليف هذا الكتاب ـ كما سيرد في تحقيق نصّه ـ

(1) مخط (ق) الورقة: 1.
(2) م.ن. الورقة: 1.
(3) مخط (ق) الورقة: 56.

كان «آخر محرم/ فاتح عام خمسة وستين وسبع مائة»[4] ومؤدى ذلك أن انتساخ المخطوطة التي اعتمدناها في هذا التحقيق أُمّاً أو أصلاً، انتسخت بعد أربع سنوات فقط من تاريخ الفراغ من كتابة مخطوطة المؤلف الذي توفي ـ كما سبقت الإشارة ـ في عام (776 ـ 1375) وهذا ما أعطاها قيمتها المادية والتاريخية، بالرغم من وجود بعض السقط الذي نبهنا إليه في مكانه من المتن والهوامش.

2 ـ أما المخطوطة الفاسية التي كتبها إبراهيم بن محمد الشهير بالغساني، التي تلي المخطوطة (ق) من حيث القيمة التاريخية، وتفضلها من الناحية العلمية ـ لما سنذكره ـ فهي مصوّرة من مشمولات الخزانة العامة بالرباط، والمصنفة فيها تحت رقم (256) فتعدُّ نسخة تامّة مكتوبة بالخط الأندلسي الواضح الجلي، تقع في حدود ثماني عشرة ومائة ورقة (118) تشتمل كل ورقة منها على اثني عشر سطراً وكلُّ سطر يضم غالباً سبع كلمات تقريباً، وجلُّ أوراقها، بل كلها قد أضرت بوسطها الأرضة، وأوجدت فيها خروماً ولكنها بالرغم من ذلك لم تمس المكتوب إلا بالقليل وقد كتب في الورقة الأولى عنوان الكتاب **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** واسم المؤلف ابن الخطيب ثم دوِّنت بعض القيودات الأخرى، وكتب في الورقة الأخيرة من كلمة خاتمة الكتاب «إليه الرجعى لا إلّه إلا هو، انتهى بحمد الله، وحسن عونه، وصلى الله على سيّدنا محمد». ثم ذكر اسم ناسخه وتاريخ النسخ ومكانه.

وتميّزت هذه النسخة الخطية بأنها ـ على الرغم من تأخر تاريخها عن النسخة (ق) بأنها منسوخة عن نسخة المؤلف وبأنها جاءت كاملة تامّة ـ كما أسلفنا ـ كما أنها تفردت في أكثر من خمسة مواضع بزيادات وإضافات لم تشتمل عليها النسخ الأخرى جميعاً، وقد رمزنا إلى هذه النسخة الخطية بالحرف (ط) المرموز به إلى مكان وجودها الرباط.

وقد تجلّى عملنا في تحقيق نصّ هذا الكتاب التاريخي المهم في الخطوات التالية:

(4) م.ن. الورقة: 56.

1 - نسخ المخطوطة «الأم» التي رمزنا إليها - كما تقدّم - بـ «ق» واتخاذها أصلاً معولاً عليه في التحقيق لقدمها وكمالها.

2 - مقابلة هذه المخطوطة - للتوثيق والتأصيل بالنسخة الخطية الفاسيّة التي كتبها الغساني في القرن العاشر الهجري والمرموز لها بـ «ف» ثم الاستئناس بالنصّ الذي حققه الأستاذ محبّ الدين الخطيب (م) على النسختين الإسكوريالية والمراكشية.

3 - وضع الهوامش اللازمة والحواشي الموضحة لمتن الكتاب والتي جمعنا فيها بين مظهرين:

1 - المقابلة بين النسخ.

2 - التخريجات والتعليقات.

فقد التزمنا أصول التحقيق العلمي في المقابلة بين النسخ، حينما اعتمدنا النسخة الخطية (ق) الموجودة ضمن مخطوطات خزانة القرويين بفاس، أُمّاً وأصلاً، لمزاياها، وقابلناها استئناساً بالنسخة (ف) الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، والنسخة (ك) أي نسخة الإسكوريال، والنسخة (ش) أعني النسخة المراكشية، والأخيرتان هما اللتان اتخذهما الأستاذ محبُ الدين الخطيب أصلين في طبعته المصرية الأولى للكتاب، والتي رمزنا إليها كما أسلفنا في رموز الكتاب بـ «م».

والتخريجات التي جعلناها للإحالات والتعليقات وشرح الألفاظ الغامضة والتراجم المختصرة، وعدنا في إثرائها إلى الكثير من المراجع التاريخية واللغوية المهمة، وآثرنا في الهوامش جميعاً الاختصار والبعد عن مظهر التزيد الذي يزاحم النصّ المحقق.

ومن لوازم التحقيق الضرورية التي رأينا أهميتها في هذا التحقيق، أن نضع الفهارس والكشّافات اللازمة، فأثبتنا فهارس الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أولاً، ثم فهارس الأمثال والأشعار، وأسماء الكتب الواردة في النصِّ المحقَّق، وأسماء الأعلام والمواضع والأماكن.

التحقيق



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه قال الشيخ الإمام الهمام العلاّمة، أعجوبة الزمان الرئيس أبو عبد الله محمد ابن الخطيب ـ رحمه الله تعالى ـ الحمدُ لله الذي جعلَ الأزمنة كالأفلاكِ، ودولَ الأملاك كأنجُم الأحلاك، تطلعها من المشارق نيّرة، وتلعب بها مستقيمة أو متحيّرة، ثم تذهب بها عائرة[1] متغيّرة، السابق عجل، وطبع الوجود مرتجل، والحيُّ من الموت وَجِل، والدهرُ لا معتذر ولا خجل، بينما ترى الدست عظيم الزحام والموكب شديد الالتحام، والوزعة تشير، والأبواب يقرعها البشير، والسرور قد شمل الأهل والعشير، والأطراف تلثمها[2] الأشراف، والطاعة يشهرها الاعتراف، والأموال يحوطها العدل، أو يبيعها الإسراف، والرايات تُعقد، والأعطيات تنقد، إذْ[3] رأيت الأبواب مهجورة، والدسوت لا مؤملة ولا مَزُورة، والحركات قد سكنت، وأيدي الإدالة قد تمكنت، فكأن لم يسمر سامر[4] ولا نهى ناهٍ ولا أمر آمر، ما أشبه الليلة بالبارحة، والغادية بالرائحة إنما ﴿مَثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: 45] فالويل لمن لم يترك[5] حسنة تنفعه أو ذكراً جميلاً يرفعه[6]؛ فلقد عاش عيشة البهيمة النهيمة[7] وأضاع جواهر عمره الرفيعة القِيمة، في السبل غير المستقيمة، وبذر أمانته ـ سبحانه ـ في

---

(1) العائرة: متردّدة أو مفسدة، وكتبت في (ش): غائرة.

(2) في (م): يلثمها.

(3) في (م): إذا.

(4) تلميح إلى قول الشاعر عمرو بن الحارث الجرهمي القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس لم يسمر بمكة سامر

(5) في (م): فالويل لمن يترك.

(6) في (م): أو ذكراً جميلاً يرقعه، وكذلك في (ط).

(7) البهيمة النهيمة: الدابة كثيرة الأكل.

المساقط[8] العقيمة، وطوبى لمن عرف المصير وغافص[9] الزمن[10] القصير في اكتساب محمدة تبقى بعده شهاباً، وتخليد منقبة تفيده ثناءً وثواباً، فالذكر الجميل كلّما تخلّد استدعى الرحمة وطلبها، واستدنى المغفرة واستجلبها، فلمثله فليعمل العاملون، وغايته فليتأمل الآملون، ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169].

والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله الذي شرح حقارة الدنيا على الله وبيّن، وحدَّ[11] البلاغ منها وبيّن[12]، وحفظ[13] الكلمة وليّن، وحسَّن الدار الآخرة وزيّن، وخفّض[14] أمرَ هذه الدار الغرور وهيّن[15]، وقال ﷺ[16] «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»[17] كيلا تتشبث بها يد، ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾ [الحشر: 18].

والرضا عن[18] آله الذين جازوا على جسرها الممدود ومرّوا، ولقوا الله وهم لم يغترّوا، فكانوا إذا عاهدوا بَرُّوا، وإذا سمعوا اللغو فرّوا[19]، وإذا تُليت عليهم آيات الله خرّوا[20]، وكانوا عن[21] حدود الله لا يبرحون، وبسوى مواهبه الباقية لا يفرحون، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

أما بعد فإنَّ في تاريخ الدول عبرةً لأولي النهى، وذكرى لمن غفل عن الله

---

(8) في (م): المساخط.

(9) غافصه: فاجأه، وأخذ الشيء مغافصة: أخذه معازّة.

(10) في (م): الزمان.

(11) في (م): وحدّد وكتبت في (ك): وحدّ.

(12) في (م) و(ط): وعيّن.

(13) في (م): وخفض.

(14) في هامش (ش): بخط حديث «وحقّر».

(15) وهيّن: سهّل وخفّف، والهيِّنْ: الحقير، قال تعالى ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

(16) في (م): صلاة الله وسلامه عليه وفي (ط): صلوات الله وسلامه عليه.

(17) الترمذي، **زهد**: 4، **قيامة**: 26، النسائي، **جنائز**: 3، ابن ماجه، **زهد**: 31، ولفظه فيها «لو أكثرتم ذكر هادم اللذات».

(18) في (م): علي.

(19) تلميح إلى الآية القرآنية ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

(20) تلميح إلى الآية القرآنية ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا﴾ [**السجدة**: 15].

(21) في (م): على.

وسها، لتحوّل الأحوال وتصيير الرسوم[22] إلى الزوال، وتلاعب زعازع الأهوال، بالنفوس والأموال، إلى إمتاع المجالسة وإتحاف المؤانسة، عند الملابسة، لا سيما التاريخ الذي لم يُهتد لضمه لديوان، لقلّة عيان، أو تأخر زمان، فالنفوس إليه متطلعة، وباجتلاء أبنائه متولعة لذلك ما جلبتُ في هذا الكتاب ذكر (ملوك الدول النصرية[23] على نسق، واطلعتُ منهم في ليل الخبر بُذورَ غسق، إذ كنتُ جهينة أخبارهم[24] وقطب مدارهم، وزمام دارهم[25] فذكرت نبذاً من أخبار وطنهم الذي سكنوه، وأفقهم الذي حسنّوه، بسيرهم الحميدة وزينوه، ومن دال[26] به قبلهم من أمير، أو ذي حسب شهير[27]، ثم تعاقبهم بحسب الزمان، وسعة الإمكان، ومن اختصَّ بهم من قاضٍ وكاتب ووزير، أو كان على عهدهم من ملك كبير، أو حادث يليق بتخليد أو تسطير، وسميته بـ **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** فإن كانت الإجادة فهو القصد، أو كانت الأُخرى بُذل الجهد، وحصلت البراءة من التقصير ولله الحمد، وها أنا أبتدي، وبالله أهتدي، وعفوه يتغمّد[28] ما خطته يدي.

وينقسم حسبما يُذكر:

القسم الأول: في ذكر المدينة التي اقتعد هذا الملك سريرها، وأحكم تدبيرها[29].

---

(22) في (م): الرسول.

(23) أتى المؤلف باللفظ هنا على صيغة الجمع «الدول» يقصد السلاطين والمراد الدولة النصرية أو دولة بني الأحمر.

(24) تلميح إلى المثل العربي «وعند جهينة الخبر اليقين».

(25) «قطب مدارهم، وزمام دارهم» كناية عن أهميته بالنسبة لهم، وأنه المقدّم فيهم فهو كبش القوام.

(26) دال به: دال الدهر دولاً ودولة انتقل من حال إلى حال. ودالت الأيام بكذا، ودالت له الدولة والثوب: بلي.

(27) في (ط): سقط من قوله «حسنوه» إلى «ذي حسب شهير».

(28) يتغمّد: يغمر، تقول تغمّد الله فلاناً برحمته، غمره بها.

(29) يقصد غرناطة، وقصر الدولة فيها ومقر سلاطينهم يسميه ابن الخطيب في **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** «حمراء غرناطة» إما نسبة للدولة النصرية التي تعرف أيضاً بدولة بني الأحمر أو للون الغالب على أسوار هذا القصر.

القسم الثاني: فيما يرجع إليها من الأقاليم والأقطار على الإيجاز والاختصار[30].

القسم الثالث: فيمن دال بها من أمير، وسلطان شهير.

القسم الرابع: في عوائد أهلها وأوصافهم على تباين أصنافهم.

القسم الخامس: في نسق الدول، واتصال الأواخر منها بالأول، وما يخصُّ كلّ دولة من الألقاب، والأذيال المستطرفة والأعقاب.

(30) وقد فصّل المؤلف القول في الأقاليم والأقطار إلى حد ما في كتابه، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، راجع ذلك في الجزء الأول بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ـ رحمه الله ـ.

القسم الأول

في ذكر المدينة التي اقتعد هذا الملك سريرها وأحكم تدبيرها

قال المؤلف: هي غرناطة وأغرناطة اسم أعجمي، مدينة كورة ألبيرة[1] وتُسمَّى سَنَام[2] الأندلس[3] وألبيرة - التي انتقل منها الملك إليها عام أربعمائة من الهجرة الكريمة، على نحو فرسخ وثلث فرسخ[4] ولها من الشهرة بنفسها وأعلامها ما هو معلوم[5].

وأغرناطة من معمور الإقليم الخامس[6] يبتدئ من بلاد يأجوج[7]، ثم يمرُّ على خراسان، ثم يمرُّ بسواحل الشام، ثم على كثير من بلاد الأندلس إلى البحر المحيط الغربي[8] فهي قريبة من الاعتدال، شامية في أكثر الأحوال، بينها وبين دار

---

(1) ألبيرة: مدينة رومانية قديمة بالأندلس وكانت عاصمة الولاية قبل غرناطة.

(2) السنام: كتل من الشحم محدّبة على ظهر البعير، ومن كلّ شيء أعلاه.

(3) الأندلس: هكذا عرّب الفاتحون الاسم، وينطق قبلهم «أندلوشيا».

(4) الفرسخ: مسافة قدرها ثلاثة أميال، والميل ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع.

(5) راجع ما كتبه المؤلف مفصلاً عنها في كتابه **الإحاطة**.

(6) راجع في تحديد هذا الإقليم، **الإحاطة**: 1، كما ورد تحديده في مقدمة **معجم البلدان** لياقوت.

(7) بلاد ياجوج: يريد بلاد الصين.

(8) يقصد المحيط الأطلسي أو المحيط الأطلنطي غرب الأندلس، إسبانيا حالياً.

الملك الأول قرطبة[9] - أعادها الله[10] - تسعون ميلاً[11] وهي منها بين شرق وقبلة، والبحر الشامي بين غرب وقبلة على أربعة بُرد[12]، والجبال بين شرق وقبلة، والبراجيلات[13] بين شرق وجوف[14] والكنبانية[15] بين جوف وغرب، فهي بمكان جوار الساحل[16] ممارة بالسمك والبواكر[17] طية للتجار[18]، ركاب لجهاد البحر[19] ولمكان استقبال[20]، مقصودة بالفواكه المتأخرة اللحاق، متماسكة في الجدُوب[21]، معللة بالمذخرات[22] ولمكان استدبار الكنبانية واضطبان[23] البراجلات[24] بحر من بحار الحنطة[25] ومعدن من معادن الحبوب المفضّلة[26]، ولمكان جبل الثلج شُلير[27]

---

(9) قرطبة: معناها الذهب أو المكان المرتفع وهي عاصمة الدولة الأموية والحضارة الإسلامية وفيها مدينة الزهراء.

(10) سقطت قرطبة في أيدى النصارى عام (634/1236) ضمن حملة الاسترداد التي قادها ملكا ليون وقشتالة.

(11) الميل - كما تقدّم - يقدّر بثلاثة أو أربعة آلاف ذراع.

(12) البرد: جمع بريد، ويقدّر باثني عشر ميلا.

(13) البراجيلات: الأراضي المقفرة الخشنة الجرداء وفي (ط) البراجلات.

(14) أخبر الأستاذ محمد المكي الناصري محب الدين الخطيب أنّ الجوف في اصطلاح المغاربة الجهة المقابلة للقبلة أي الشمال.

(15) الكنبانية: السهل من الأرض والممهّد منها، واللفظة كثيرة الدوران في **آثار لسان الدين ابن الخطيب**.

(16) كتبت في (ق): مكان الساحل وصححت في الهامش جوار الساحل.

(17) ممارة: من امتار لأهله أو لنفسه جمع الميرة، وهي الطعام يجمع للنفر أو الإدخار.

(18) طيّة للتجار: الطيّة هي الجهة أو الناحية البعيدة، فهي مقصد التجار.

(19) الرّكاب في الأصل للسرج ما توضع فيه الرجل، واستخدم هنا مجازاً.

(20) في (ط) و(ك) و(ش) و(م): ولمكان استقبال الجبال وكذلك في **الإحاطة**.

(21) أي في أيام الجدب والقحط وفي (ط): الحروب.

(22) معللة بالمذخرات: أي خصّت بالخيرات الوفيرة من علل فلان: سقى سقيا بعد سقي وجنى الثمرة مرّة بعد أخرى.

(23) الاضطبان: جعل الشيء تحت الإبط، أراد أن المزراع والبساتين تحت إبط المدينة.

(24) البراجلات: جمع برجيلة ويراد بها القرية العامرة أو المزرعة المونقة وذكر الأستاذ عنان أنها مُحرّفة عن الإسبانية وتعني الأراضي الخشنة المقفرة.

(25) الحنطة: القمح، يريد بذلك أنها مغرس من مغارس الحنطة المترامية.

(26) أي من أصناف الحبوب الممتازة.

(27) جبل شلير أو جبال سييرانفادا المشرفة على مدينة غرناطة، ومعنى جبل شلير: جبل الشمس.

الشهير في جبال السفرة[28] اطّردت[29] بها المياه، وصحَّ الهواء، وتعدّدت البساتين والجنّات والتف الدوحُ، وكثرت الأعشاب (الطيبة والعقاقير الدوائية، ومن فضائلها أنَّ أرضها لا تعدم زريعة ولا ريعاً أيام العام، وفي عمالتها المعادن الجوهرية من الذهب والفضة والرَّصاص والحديد والتوتيا والمقرشيا)[30] والازورد، وبجبالها وبطاحها الأندراسيون[31] والسنبل والجنطايا[32] وبشعرائها القرمز، إلى غلّة الحرير الذي فضلت به تجراً وقنية هذه الكورة[33] فلا يشاركها في ذلك إلا البلاد العراقية، مُقصّرة عنه رقة ولدونة وعتاقة.

وفحصها الأفيحُ ـ المشبّه بالغوطة[34] ـ حديث الركاب وسحر الليالي، قد دَحَاه الله في بسيط تخترقه الجداول والأنهار، وتتزاحم به القرى والجنّات، في أحسن الوضع، وأجمل[35] البناء، ذَرْع أربعين ميلاً، تحدق الهضاب والجبال المتطامنة منه بشكل ثلثي دائرة؛ فعُدّت المدينة منه فيما يلي المركز مسندة[36] إلى أطواد سامية، وهضاب عالية، ومناظر مشرقة.

ويشتمل شكل هذه المدينة العظيمة ـ وما يرجع إليها من أرباضها ـ على جبال خمسة، وسهل فسيح الساحة، بعيد الأقطار، متراكب العمارة، لا يتخلله خراب ولا بياض على حدّ ما عليه كُور النخل[37] قد ضم من النسيم ما لا يحيط

---

(28) تمّ وصف هذا الجبل في **الإحاطة** بالقول «أحد مشاهير جبال الأرض».

(29) في (م): أطرت بها المياه، وفي **الإحاطة** اضطردت.

(30) ما بين الهلالين مكتوب في مخط (ق) وساقط من محط (ك) و(ش) ومن النسخ المطبوعة في مصر وبيروت. والمرقشيا كتبت في **الإحاطة** «المرقشينة».

(31) الأندراسيون: يبدو أنّه جنس من نباتات الأدوية، ولم يذكره المؤلف في **الإحاطة**. في (م): الأندراسيون وكتب الازورد في **الإحاطة** «اللازورد».

(32) في (ش): الجيطانا، والجنطيانا، وأضاف المؤلفُ في **الإحاطة** أعشاباً أخرى.

(33) الكورة: الصقع والبقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال، الجمع كُور.

(34) الغوطة: يقصد غوطة دمشق قال ياقوت فيها «والغوطة كلّها أشجار وأنهار متصلة». 6: 304.

(35) في (م): أجمل.

(36) في (م): مستندة.

(37) كُور النخل: الكور في العربية مجمرة الحداد والرّحْلُ أو الرحل بأداته، الجمع أكوار وكيران وموضع الزنابير، والكُوْر: الجماعة الكثيرة من الإبل والبقر.

به إلا من كتب الحركات وأحصى الأنفاس، إلى الجسور المحكمة، والمساجد العتيقة، والأسواق المنتظمة، يشقُّ البلد النهر الشهير المسمَّى بهدّارة آتياً من جهة الشرق، ويجتمع بخارجها بوادي شنجل الآتي من قبليّها؛ فيشقُّ الفحصَ الأفيح ولا يزال يعظم مَدُّه بما ينضاف إليه من فضول السقي، ومواقع الأنهار بأحوازها، إلى أن يمرَّ بأشبيلية[38] وقد صار نيلاً عظيماً.

ومدينة الحمراء، دار الملك مُطلّة على معمورها في سمت القبلة؛ تشرف عليه منها الشرفات البيض، والأبراج السامية، والمعاقل المنيعة، والقصور الرفيعة، تُغْشي العيون، وتُبهر العقول، وتنحدر من فضول مياهها، وأفياض حرائرها[39] وبركها في سفحه جداول تُسمع على البعد أهزاجها.

ويحفُّ بسور المدينة البساتين العريضة المستخلصة، والأدواح الملتفّة، فيصير من ذلك خلف سياج، تلوح نجوم الشرفات البيض أثناء خضرائه[40]، فلا تعرى جهة من جهاته عن الجنات والكروم والبساتين.

وأما ما حازه السهل من جوفيه[41] فمنى[42] عظيمة الخطر، متناهية القيم، تضيق حدّة من عدا أهل الملك على[43] الوفاء بأثمانها، منها ما يُغلُّ في السنة شطر الألف من الذهب على خمول أثمان الخضر بهذه المدينة، يختصُّ منها بمستخلص السلطان ما يناهز ثلاثين مُنية، ويحيط بها، ويتصل بأذيالها من العقار الثمين الذي لا يعرف الحمام[44] ولا يفارق الريع ما ينتهي المرجع العملي منه إلى نحو خمسة وعشرين ديناراً من الذهب لعهدنا هذا[45] وفيه من مستخلص السلطان ما تضيق عنه بيوت الأموال ذرعاً وغبطة وانتظاماً، يرجح[46] إلى دور ناجمة،

(38) أشبيلية: مدينة أندلسية كبرى تُعرف بمدينة الفن، وهي دار الملك والحكم لأسرة بني عبَّاد.
(39) في (م): حوائرها.
(40) في (ط): أثناء خضرائها.
(41) أي في الجهة الشمالية.
(42) المنى: جمع منية، ويراد بها الدارة أو البيت الجميل الملحق به حديقة.
(43) في (م): عن.
(44) في (م): الجمام.
(45) أي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وفي (ط): لهذا العهد.
(46) في (م): يرجع. وكذلك في (ط).

وبروج سامية، وبيادر فسيحة، وهضاب[47] للحمائم والدواجن ماثلة، منها في حمى البلدة وطوق سورها من مستخلص السلطان ما ينيف على العشرين، بها الجُمُل الضخمة من الرجال[48] والفحول الفارهة من الحيوان، للإثارة وعلاج الفلاحة، وفي كثير منها الحصون والأرحاء[49] والمساجد ويتخلل هذا المتاع الغبيط[50] الذي هو لباب الفلاحة، وعين هذه المدرة[51] الطيبة منائر[52] القرى والبلاد التي بأيدي الرعية، مجاورة لحدود ما ذكر بلاد عريضة، وقرى آهلة، منها: ما انبسط وتمدّن فاشترك فيه الألوف من الخلق، وتعدّدت منه[53] الأشكال، ومنه[54] ما انفرد بمالك واحد أو اثنين فصاعداً، وتنيف أسماؤها على ثلاثمائة، تنصب في نحو خمسين منها منابر الجمعات، وتمدُّ الأكف البيض، وترفع الأصوات[55]، الفصيحة لله، ويشتمل سور هذه المدينة وما وراءه من الأرحاء الطاحنة بالماء المَعِين على أزيد من مائة وثلاثين رحى.

فصل

واختلف المؤرخون في خبر افتتاحها؛ فقال ابن القوطية[56] إن يليان[57] الذي ندبَ العربَ إلى غزو الأندلس طلباً بوتره من ملكها لُذريق بما هو معلوم[58] قال

---

(47) في (م): وقصاب.

(48) يريد الأعداد الضخمة من الرجال، إذ الجمل: الجماعة من الناس.

(49) الأرحاء: جمع رحى، وهي الأداة التي يطحن بها وتجمع على أرحاء ورُحيّ وأرحية.

(50) الغبيط: الكثير من الزرع الذي يغبط عليه أهله.

(51) المدرة: الطينة وتطلق على القرية.

(52) في (ط) و(م): سائر.

(53) في (م): فيه.

(54) في (م): ومنها.

(55) في (ش): الألسن.

(56) في (ش): القويطية وهو خطأ، وابن القوطية هو أبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية نسبة إلى سارة القوطية، توفي عام (367هـ)، وله كتاب **تاريخ افتتاح الأندلس**.

(57) في (م) وبقية النسخ «بليان» بالمفردة وهو خطأ والصواب يليان بالمثناة.

(58) راجع كتب التاريخ الكثيرة، ومؤدى هذا المعلوم أن لذريق الطاغية اغتصب بنت يليان حينما كانت تعلم آداب القصور والخدمة والسلوك في قصر لذريق.

لطارق بن زياد مفتتحها عندما كُسر جيش الروم على وادي لكّة، وقتل لُذريق، واستولى على محلّته[59] قد قضضت جيش الروم، ودوّخت حاميتهم، وصيّرت الرعب في قلوبهم، فأصمد لبيضتهم[60]، وهؤلاء أدلاء من أصحابي[61]؛ ففرّق جيوشك بينهم في البلدان، واعمد إلى طليطلة بمعظمهم، واشغل القوم عن النظر في أمورهم، والاجتماع إلى أولي رأيهم، ففرّق طارق جيوشه من استجة[62]؛ فبعث معنياً الرومي[63] مولى الوليد إلى قرطبة، وبعث جيشاً آخر إلى مالقة، وأرسل جيشاً آخر إلى غرناطة مدينة ألبيرة[64]، وسار هو في معظم الناس إلى كورة جيّان يريد طليطلة؛ فمضى الجيش إلى مالقة فافتتحها، ثم لحق بجيش غرناطة؛ مُحاصراً مدينتها، ثم فتحاها عَنوة، وألفوا بها يهوداً ضَمُّوهم إلى قصبتها (وصار لهم ذلك سنّة متبعة متى وجدوا بمدينة يهوداً يضمّونهم إلى قصبتها)[65]، مع طائفة من المسلمين يسدُّونها.

وقال معاوية بن هشام[66] وغيره: إن فتح ما ذكر تأخَّر إلى دخول موسى بن نُصير في سنة ثلاث وتسعين، فوجَّه ابنه عبدَ الله[67] في جيش إلى جهة تدمير[68] فافتتحها، ثم مضى إلى ألبيرة فافتتحها، ثم توجّه إلى مالقة.

(59) المحلّة: جماعة بيوت الناس والمنزل والجماعة الحاملة السلاح.

(60) بيضة القوم: حوزتهم وحماهم، وفلان بيضة البلد إذا عرف بالسيادة.

(61) في (ط): من صحبي.

(62) استجة: من القواعد القديمة الحصينة في الأندلس، وهي في جنوبي غربي قرطبة.

(63) معنياً الرومي، ويسمّى أيضاً مغثياً الرومي.

(64) ألبيرة: مدينة رمانية قديمة، وهي من المدن الكبيرة بعد الفتح الإسلامي، ثم عفت ودخلت في مشمولات غرناطة.

(65) ما بين القوسين مثبت في مخط الإسكوريال وفي الأصل. أما مخط (ش) فإنه يخلو من هذه الزيادة.

(66) معاوية بن هشام، من كتّاب **قرطبة وأدبائها**، له كتاب **دولة بني مروان بالأندلس**.

(67) في (ط) و(م): عبد الأعلى.

(68) في (م): إلى جهة تدمير، وتدمير، هي مقاطعة من المقاطعات الشرقية، سميت باسم حاميها الأمير تيودمير، ثم سميت بعد ذلك التاريخ ولاية مرسية.

فصل

فلمَّا استقر الفتح، وبلغ حيث بلغ من التخوم، سكنت العرب الأقطار، وتبوأت الديار، ثم دخلت بعد ذلك العربُ الشاميون مع الأمير بلج بن بشر القشيري في عشرة آلاف فارس من أعلام أهل الشام، وتسمّى الطالعة البلجية: فالداخلون مع موسى وطارق يُسمّون بالأندلس في الرسوم والحظوظ والإقطاعات بالبلديين، والداخلون مع بشر[69] يُسمّون بالشاميين، واختص بكورة ألبيرة وهي التي أوقعوا عليها[70] اسم دمشق جند دمشق، وبكورة جيَّان[71] جند قنسرين، وبأشبيلية جند حمص، وسواها من الكور بهذه النسبة، ونزلت بهذه الكورة الألبيرية من أعلام العرب الذين بها إلى هذا العهد بيوتهم جملة من القبائل: منهم بيوتات من قيس عيلان، ومن عبس بن بغيض[72] ومن أشجع بن ريث[73] ومن باهلة، ومن سُليم بن منصور، ومن جديلة، ومن كلاب بن ربيعة ومن عُقيل بن كعب، ومن هلال بن عامر، ونمير بن عامر، ومن سَلول، ومن ثقيف، ومن غافق بن الشاهد[74]، ابن عك[75]، ومن الأنصار وهم بنو الأوس والخزرج، ومن غسَّان، ومن الأزد بن الغوث، ومن بجيلة، ومن خثعم، ومن كنده، ومن السكاسك، ومن تُجيب، ومن خزام[76] بن عُدي، ومن خولان بن عمرو، ومن المعافر بن يَعْفُر، ومن مذحج، ومن حكم، ومن حضرموت، ومن جُعفى ومن

---

(69) في (م): مع بلج بن بشر.

(70) أي سموها اسم دمشق وفي (م): اسم دمشق، جند دمشق.

(71) جيّان: من مدن الإسلام المعروفة في العهد الإسلامي، تقع شمالي مدينة غرناطة وشرق مدينة قرطبة.

(72) بغيض هو جد قبيلة عبس بن ذبيان بن بغيض.

(73) وفي مخط (ك) ومخط (ش): أشجع بن ريب، قال الأستاذ محبُّ الدين وفيه نظر من وجهين: الأول أن صواب «يب»: «ريث»، والثاني أن ريثاً أخو أشجع لا أبوه، وهما وُلدا عطفان (انظر: كتاب **الاشتقاق** لابن دريد، ص167).

(74) في (ك) و(ش): الشاهك، وصححه محبُّ الدينَ ابن الشاهد كما ورد في **تاج العروس**، مادة «غفق وهو ابن عك بن عدنان بن الأزد».

(75) في (ك) و(ش) و(م): ومن عك، وما ذكرناه الصواب كما في **التاج**.

(76) في (م): ومن جذام، كما جاء في (ك) و(ش).

سعد العشيرة، ومن همذان، ومن حِمْيَر، ومن شرْعَب، ومن ذي رُعين، ومن ذي أصبح، ومن يحصب بن مالك، ومن كلب بن وَبَرة، ومن جُهينة، إلى كثيرين[77].

(77) في كتاب **الإحاطة** 1: 135 ـ 136، مزيد إضافة أعقبه بقوله: «وكفى بهذا شاهداً على الأصالة ودليلاً على العروبية». ولا يَخفى ما في هذا التعقيب من تأثرية.

القسم الثاني

فيما يرجع إليها من الأقاليم والأقطار
على الإيجاز والاختصار

قالوا: يرجع إلى هذا الوطن الشريف من الأقاليم ثلاثة وثلاثون إقليماً، منها: إقليم أونيل، وإقليم الفحص[1] وإقليم تاجرة الجبل، وحصن مسَّنيط (وهو بلدنا لَوْشة) قال ابن حمامة في تاريخه[2] «لوشة من ألبيرة غرباً وقبلة من قرطبة على نهر شنيل[3] بنيت عام ثمانين ومائتين زمن عبد الله بن محمد جدّ الناصر، قاله عريب في كتابه[4] وهي بلد جليل، كثير الخصب، متدفّق المياه، كثير الحصون والقرى، جامع للمرافق»، وإقليم برجيلة قيس[5]، وفيه من لوزنة، وحصن لوشة[6] وإقليم برتجيلة[7] أبي جرير، وهي حصن بكور، وإقليم برجيلة البنبول[8] وفيه حصن منتشافر، وإقليم قلعة يحصب بين غرب وجوف من ألبيرة على عشرين

---

(1) الفحص في اصطلاح الأندلسيين كل مكان يسكن ويزرع في السهل والجبل ذكره ياقوت الحموي.

(2) ابن حمامة هو ـ كما ذكر ابن الخطيب في **الإحاطة** 1 :298 محمد بن أيوب بن غالب.

(3) النهر الذي تشرف عليه غرناطة ويُسمّى أيضاً نهر سنجيل وكان غاصاً بالمياه.

(4) وكتب في (ك): عريف.

(5) واحدة البراجيلات المتقدّمة، وستأتي منسوبة إلى أندرة.

(6) في (ش): «وحصن بالش» وكذلك في (ط).

(7) في (ط) و(م) و(ك) و(ش): وإقليم برجيلة.

(8) في (ك): (النبيول).

ميلاً، وإقليم باغه، وبه المدينة الشهيرة[9]، وهذان الإقليمان استولى عليهما العدوُّ على عهدنا، عقب الكائنة بطريف[10] فعظم فيها الفجع، وإقليم مشيلية، وإقليم القنداق وهو أيضاً مما تقدّم التغلب عليه - جبره الله - وإقليم قنب قيس، وإقليم قنب اليمن، وإقليم الأشر، وفيه حصن نَوالش، وإقليم شلوبانية[11] وفيه المعقل العظيم بشاطئ البحر فيه للسلطان قصور نبيهة، وبساتين عظيمة، وإقليم المنكَّب، وفيه المدينة العتيقة، ذات الآثار العجيبة، وإقليم بشرة بني حسَّان، وفيه حسن بَرجة والعذراء والقُليعة، وحصن شبالش ودلاية، وبهذا الإقليم غَبْط كثير، وعمران عظيم[12] وهو معدن من معادن الحرير، وإقليم فريرة[13] وفيه حصن أرجبة والأنخرون، وحصن أندرش وهو جليل المجبى، عظيم المزيّة[14]، وإقليم أرش قيس، وفيه مرشانة ومندوڤير، وحصن بلذود، وإقليم أرش اليمن وفيه مدينة المريّة معقل الإسلام ذات القصبة الشهيرة، والجباية الغزيرة، والبساتين النضيرة، والذمم الخطيرة، ويرجع إليها من الحصون بشرقيّها وغربيها عددٌ كثير كطبرنش، وهي بلد كبير، فيه المساجد والحمّام، وأرش[15] اليمانية وفيه جلينالة ووانجة[16]، وإقليم أرش اليمنيين فيه مدينة بني سام بن مهلهل، وهي مدينة وادي آش إحدى قواعد الإسلام ذات القصبة الشهيرة، والجباية الغزيرة، والبساتين النضيرة[17] لا نظير لها سقياً ومنعة ونضارة، ويرجع إليها من الحصون النبيهة الجليلة جملة، وإقليم أرش

---

(9) يقصد مدينة باغه Priego الحصينة الواقعة شمال لوشة في ولاية جيّان.

(10) الكائنة بطريف: يشير بذلك إلى واقعة بل معركة طريف في سنة (741/1340) وطريف مدينة سميت باسم طريف بن مالك أحد المجاهدين المسلمين. وأول من اجتاز البحر المتوسط لفتح الأندلس. والكائنة المذكورة كانت بين أبي الحسن المريني والفونسو الحادي عشر قرب نهر سلادو.

(11) كذا في (ق) وجميع النسخ.

(12) تقدّم الغبط. ويقصد به الزروع والغراس الكثيرة التي يغبط عليها أصحابها.

(13) في (م) و(ش): «بْريرة».

(14) في (ط) و(م) و(ك) و(ش): المئونة.

(15) في (ط) و(م): وإقليم أرش.

(16) في (م): وواسجة.

(17) من قوله «ذات القصبة الشهيرة»، إلى قوله «النضيرة» زيادة في (ط).

اليماني، فيه القُليعة ومنت رُوي وفيه مدينة[18] فنيانة، وهي كلُّها غزيرة السقيا والثمار، وإقليم فزارة، وإقليم بني أوس، وإقليم بني أُمية، وإقليم فُرنش وفيه حصن الصخيرة، وإقليم دور، وإقليم الفحص خمسة أقاليم: همذان، الفخار، وانبلاط، وقلوبش، والكنابس[19] ذكر ذلك أبو القاسم الملاّحي[20] وغيره وأغفل أكثر مما أثبت، وجلالة هذه المدينة أعظم[21].

وهذه الأقاليم منها ما استمرَّت إلى الآن شهرته بما دُعي به، ومنها ما عمَّ الجهل به على عادة الدهر مُبلي الأسماء والمسمّيات، وماحي الأعلام والسمات والبقاء لله؛ ومن أراد استيفاء فضائل هذه البقعة فعليه بكتابنا المسمَّى بـ **الإحاطة**[22].

---

(18) في (م): فيه مدينة. وكذلك في (ظ).

(19) م.ن: والكنابس.

(20) أبو القاسم الملاحي: هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي، أحد مؤرخي الأندلس وكتّابها له كتاب **تاريخ ألبيرة**.

(21) راجع تفاصيل جلالة هذه المدينة «غرناطة» في: **الإحاطة في أخبار غرناطة** لابن الخطيب. **غرناطة في ظل بني الأحمر** (دراسة حضارية) للدكتور يوسف شكري فرحات. **مسجد قرطبة وقصر الحمراء** للدكتور عبد العزيز الدولاتي. **وأوراق أندلسية** للدكتور عبد العاطي الورفلي، ندوة **البحث في التراث الغرناطي حصيلة وآفاق**، جامعة محمد الأول، رقم 23.

(22) كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة**، من أهم تآليف لسان الدين ابن الخطيب، وقد كتبه للانتصار لبلده غرناطة قبل (761هـ) وأتمه سنة (767)، نشر منه محمد عبد الله عنان أربع مجلدات بتحقيقه، ونشر صديقنا الدكتور عبد السلام شقور جزءاً آخر منه، وقد وظف المؤلف من أجله إمكانياته وقدراته ليفي هذه المدينة العظيمة حقها فكتب في تاريخها والرجال الأصلاء والطارئين عليها كتابات وافية ودقيقة خلّدت المدينة ورجالها.



القسم الثالث

فيمن دال بها من أمير وسلطان شهير

قال المؤلف: أول[1] من سكن هذه المدينة سكنى استبداد، وصيّرها دار ملك ومقرَّ إِمرة الحاجب المنصور أبو مثنى زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي[2] لما تغلّب جيش البربر مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة، واستولوا على الكثير من كور الأندلس، عام ثلاثة وأربعمائة فما بعدها، وظهر على طوائف الأندلسيين، واشتهر أمره وبَعُدَ صيته، ثم أجاز البحر إلى بلد قومه بأفريقية بعد أن ملك بغرناطة سبع سنين، واستخلف عليها ابن أخيه حبوس بن ماكسن، وكان حازماً داهية؛ فتوسّع النظر إلى أن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة؛ فولي بعده ابنه الحاجب المظفر باديس؛ فاتسع النظر، وتوفي عام خمسة وستين وأربعمائة؛ فولي بعده حفيده عبد الله بن بُلقّين بن باديس، إلى أن خلع في عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة[3]، وتصيَّر أمرها إلى مُلك الأمراء من لمتونة لما ملكوا أمر المسلمين بالأندلس[4].

---

(1) في (م) و(ط): وأول.

(2) راجع أخباره وآثاره في: **الإحاطة** 1:513.

(3) **الإحاطة** 1:140 ـ 148 ـ 149.

(4) راجع: **الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى** للناصري، **المغرب عبر التاريخ** للدكتور إبراهيم حركات.

فصل

وتصيَّر الأمر بها إلى الأمير يوسف بن تاشفين ثم إلى ولده من بعده[5]؛ فتناوب إمارتها جملة من أبناء ملوك لمتونة وأمرائها وقرابتهم، كالأمير أبي الحسن بن الحاج ومجوز وأخيه موسى والأمير أبي يحيى بن بكر بن إبراهيم والأمير أبي الطاهر تميم والأمير أبي محمد بن مَزْدلي والأمير أبي بكر بن أبي محمد وأبي طلحة الزبير بن عمر وعثمان بن يدر[6] وعلي بن غانية إلى أن انقرض أمرهم منها عام أربعين وخمسمائة، وتصيَّر الأمر بها إلى مُلك بني عبد المؤمن المتسمّين بالموحدين[7].

فصل

فوليها الأمير أبو محمد عبد المؤمن بن علي وأنباه[8] وقرابته كالسَّيد أبي سعيد عثمان بن الخليفة[9] والسيد أبي إسحاق[10] والسيّد أبي إبراهيم والسيّد أبي عبد الله، إلى أن انقرض أمرهم، واختل ملكهم، فقام عليهم بالأندلس الأمير المتوكل على الله أبو عبد الله محمد[11] بن يوسف بن هود الجذامي عام ستة وعشرين وستمائة، ثم اضطرب أمره، ولم ينشب أن ثار عليه هذا البيت من بني نصر، ملوكها إلى الآن - رحم الله من درج منهم، وأعان من خلفهم بإحسان[12].

---

(5) يقصد ولده علي بن يوسف بن تاشفين.

(6) في (م): يدّو، وفي (ش): يزيد.

(7) **الدولة الموحدية، الاستقصا، المغرب عبر التاريخ** 1:233، **روض القرطاس** 2:113 - 115، **المن بالإمامة**: 203، **والدولة الموحدية بالمغرب** للدكتور عبد الله علي علاّم.

(8) في (م): وأنباؤه، وفي (ك) و(ش) وكذلك في (ط) أما في (ق): وابناه.

(9) في (م): زيادة بعد لفظة الخليفة هي والسيد أبي إسحاق بن الخليفة.

(10) في (ط): والسيد أبي إسحاق بن الخليفة.

(11) في (ط): ساقطة.

(12) ولا يخفى هنا مظهر تقرّب ابن الخطيب وتزلفه لسلطانه محمد الغني بالله الذي اختاره إبان تأليف هذا الكتاب ليعود إلى مملكة غرناطة، ويتولى فيها أرفع المناصب، بل ليطلق يده - اعتماداً عليه - في شؤونها ومؤسساتها.

فصل

وجمع الله ما أسأره العدو[13] من الأندلس بعد الخضم والقضم[14] على قوم من خيار الأُمة من سكان الموسطة القرطبية، ممن الجهادُ شأنهم والفلحُ معاشهم، والنجدةُ شهرتهم، وإلى سعد بن عبادة سيّد أنصار رسول الله ﷺ نسبتُهم، يُعرفون ببني نصر، رقعوا الخروق[15]، وشعبوا الثأي[16]، وزجّوا الأيام بين أطماع وهُدنة، ومنعة وانحياز، ومدافعة وجهاد[17].

وقد صنّف الناس لهم ـ في اتصال نسبهم بقيس بن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ غير ما تصنيف[18] فأولهم الغالبُ بالله أميرُ المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري من ولد أمير الأنصار سعد بن عُبادة، ملك مدينة غرناطة في رمضان من عام خمسة وثلاثين وستمائة إلى أن توفي عام أحد وسبعين وستمائة، وَوُلّي بعده ولده وسميُّه السلطان ـ ثاني ملوكهم وعظيمها ـ أبو عبد الله، وطالت مدتُه إلى أن توفي عام أحد وسبعمائة، وَوُلّي بعده ولده وسميُّه أبو عبد الله محمد، وخلع بعد[19] الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، وتوفي في شوال عام أحد عشر وسبعمائة، وولي بعده خالعه أخوه نصر أبو الجيوش، وارتبك أمره، وطلب الأمر ابن ابن عم أبيه السلطان أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل صنو الأمير الغالب بالله أول ملوكهم؛ فتغلب على دار الإمارة في ثاني ذي قعدة[20] من عام

(13) أسأره: أبقاه، والسؤر: بقية الشيء.
(14) الخضم: الأكل بجميع الفم أو بأقصى الأضراس. والقضم: الأكل أو الكسر بأطراف الأسنان.
(15) في (م): الخرق. وكذلك في (ط).
(16) شعبوا الثأي: الثأي: الخرم أو أثر الجرح وشعبوا بمعنى رأبوا.
(17) في (م) زيادة لفظة: وجهاد وموافقة وكذلك في (ط).
(18) يظهر أن ابن الخطيب اطلع على هذه الآثار والمصنفات من خلال منصبه في الدولة النصرية.
(19) في (م): يوم وكذلك في (ط).
(20) في (م): في ثاني ذي قعدة وكذلك في (ط).

ثلاثة عشر وسبعمائة، وانتقل نصر مخلوعاً إلى مدينة وادي آش، وتوفي عام اثنين وعشرين وسبعمائة، وتمادى ملك السلطان أبي الوليد إلى السادس والعشرين[21] من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، ووثب عليه ابن عمه في طائفة من قرابته، فقتلوه ببابه، وخاب فيما أملوه سعيُهم[22] فقتلوا كلُّهم يومئذٍ، وتولّى أمره ولده محمد، واستمرَّ إلى ذي حجة من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، وقتل بظاهر جبل الفتح بأيدي جنده من المغاربة[23] وتولّى الأمر بعده أخوه أبو الحجاج يوسف، ودام ملكه إلى يوم عيد الفطر من عام خمسة وخمسين وسبعمائة، وترامى عليه في صلاته ممرور بمدية في يده فقتله، وقدّم لأمره الأكبر من أولاده[24] وخيرة قومه، وأفضل الملوك من أهل بيته إلى ليلة الثامن والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة، وثار به أخوه بتدبير ابن عم[25] لهما، عقد له أبوهما على بعض بناته وَفَرَّ، ولحق بوادي آش إلى أن استقر منها بالمغرب، وتمادى ملك أخيه إسماعيل إلى أُخريات شعبان من عام أحد وستين وسبعمائة، وسطا به ابن العمّ المذكور فقتله بدار ملكه، وفتك به فتكةً شنعاءَ، وألحق به أخاً صغيراً له، واستولى على الملك، وانتقل به إلى فرع آخر[26].

هذا ذكر[27] الملوك على سبيل الاختصار، ليكون كالبرنامج لِما عسى أن ينبسط فيه الألماع من ذكرهم بحول الله وقوته.

---

(21) في م.ن: إلى الثالث والعشرين من رجب، وهو خطأ.

(22) في (ش): «وخاب فيما أمله فقُتلوا» وكذلك في (ط).

(23) لعله أشار بذلك إلى الجنس المغربي أو فرقة منه التي استقرّت بالأندلس حسب المعاهدة والاتفاقية بين الدولة النصرية والدولة المرينية تحت إمرة ما سمي «شيخ الغزاة».

(24) في (ش) و(ط): «أكبر ولديه» وذكر لسان الدين في إحاطته 1: 40 «وولي الأمر بعده محمد أكبر بنيه، وأفضل ذويه».

(25) يقصد أخاه إسماعيل وابن عمهما أبا عبد الله محمد بن إسماعيل.

(26) راجع تفاصيل ذلك في: **الإحاطة** 1: 43، **ولسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري** للأستاذ محمد عنان، والبحوث التي شارك بها أصحابها في **ندوة ابن الخطيب**، ع2، س2، 1408/1987، **ولسان الدين ابن الخطيب في آثار الدارسين** للدكتور حسن الوراكلي.

(27) في (م): هذا ذكر الملوك وكذلك في (ط) وهو الأصوب.

فصل

ويتفرع أعلام هذا البيت لمن تشوّف إلى ذلك من أعقابهم حسبما يذكر ـ إن شاء الله ـ[28].

ولد نصر ـ رحمه الله ـ ولدين: يوسف ومحمداً ببلدهم أرجونة ـ أعادها الله ـ وهم يومئذٍ مرؤوسون بسواهم؛ فلنبدأ بيوسف منهما[29] ـ فإذا استقصينا ما بلغ إليه العلم من عقبه عطفنا على أخيه من غير أن نذكر إلا الأعلام، وأهل الشورة[30] فولد يوسف ـ أحد الأخوين ـ أربعة نفر: محمداً أمير الأندلس أول ملوكهم، وإسماعيل صنوه المستقر بمالقة من قبله، وفرجاً ويوسف ونصراً[31] فأما محمد[32] فهو منهم أمير المسلمين الغالب بالله؛ فأعقب من الذكور محمداً وفرجاً ويوسف ونصراً؛ فأما محمد فهو منهم وليُّ الأمر من بعده، وفرج ويوسف ونصر وهو الوالي بعد أخيه وأبيه، وكلُّهم لم يعقب.

وأمّا إسماعيل أحد الأربعة الإخوة من أولاد يوسف وهو المدعو بصنو[33] أمير المسلمين، المستقر عن أمر أخيه بمالقة فأعقب فرجاً ومحمداً ونصراً[34]، فرج منهما هو المستقر بمالقة، بعده المسمّى بالرئيس أبي سعيد المتصيّر الملك إلى ولده، وأعقب ولدين: إسماعيل أمير المسلمين الذي نقل الملك إلى فرعه ـ على حياته ـ ومحمد أخاه فأعقب السلطان أبو الوليد منهما أربعة من الذكور أولهم محمد الأمير من بعده وهلك ولم يعقب، وفرج ولم يملك، وتوفي مغتالاً

(28) عبارة إن شاء الله غير موجودة في (ط).

(29) في (م): فلنبدأ بيوسف ـ رحمه الله ـ.

(30) في (ط) و(م): وأهل الشهرة، وكثيراً ما يستخدم ابن الخطيب أهل الشورة، ويعني بهم أهل المشورة والتجربة والتميّز.

(31) في (ط) و(م) لم يذكر نصر. وكذلك لم يذكر في الأصلين اللذين اعتمد عليهما محبُّ الدين الخطيب.

(32) في (م) اعتماداً على (ك) و(ش) جاءت هذه الزيادة التي خلت منهما النسخة (ق) «فأما محمد منهم أمير المسلمين الغالب بالله؛ فأعقب من الذكور أربعة: محمداً وفرجاً ويوسف ونصراً».

(33) في (م) اعتماداً على الأصلين، وهو المدعو أمير المسلمين، دون لفظ «بصنو».

(34) ونصراً، انفردت بذكرها النسخة (ط).

بأمر أخيه، وأعقب ولداً اسمه إسماعيل هو الآن بالمغرب مشكور الحالة[35] وإسماعيل[36] واعتقل مدّة، ثم استقر الآن بالمغرب وهو من فضلاء البيت وخيارهم أهل العفاف والعافية، ويوسف[37] وهو الأمير بعد أخيه، وأعقب ثلاثة من الذكور: محمداً أمير الأندلس من بعده، المتفق على فضله وطهارته، وثار به أخوه؛ فانتقل إلى المغرب في خبر طويل، ينظر في موضعه، وله الآن بُنيّ اسمه يوسف - والله يجبره ويجبر به - وأخوه إسماعيل الوالي بعده قتل، وقيس أخوه ولم يعقبا.

وأما محمد ثاني ولد[38] الرئيس أبي سعيد فأعقب أولاداً، منهم: يوسف وفرج ومحمد وإسماعيل؛ فأمّا يوسف منهم فهو الآن قد أسنَّ بالمغرب تحت عُلالة جراية وله ابن يباشر خدمة السلطان، وأما فرج فَحجَّ ثم هلك بالمغرب، وأما محمد فهو أيضاً بالباب المريني[39] حميد الحلالة[40]، متصف بعقل وحشمة مشتغلٌ بالصيد، وإضراء الجوارح تحت ستر ونعمة.

وأما إسماعيل فهلك في بعض النزوات[41] بالمغرب، وتخلّف ابناً اسمه محمد هو المتصيّر إليه ملك الأندلس اليوم غلاماً[42] من غير وراثة، مصنوعاً له غريب الحال في باب الحال[43]، وتأتي الأمر.

وتخلّص تفريع[44] إسماعيل بن يوسف من الأربعة الإخوة، وأما

---

(35) في (ك): مستور الحالة.

(36) أحد أبناء السلطان أبي الوليد الثلاثة.

(37) كتب في هذا الموضع، وهو يوسف ثم وضعت على اللفظين علامة المحو. وفي (م) والأصلين يوسف وحدها مثبتة.

(38) في (ط) و(م): ولدي.

(39) يشير إلى الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، وعاصمتها مدينة فاس.

(40) في (م) و(ط): الحالة.

(41) النزوات: جمع نزوة من نزا الفحل نزواً ونُزواً ونزواناً: وثب وفلان نزّاء إلى الشر مندفع إليه. وفي النسخة (ط): الغزوات.

(42) في (م) و(ط): غلاباً.

(43) في (ك) و(ش) و(م): الحظ وأيضاً في (ط).

(44) أي فروع إسماعيل، وفي (ش): «ترفيع».

إسماعيل[45] بن يوسف أخو الرئيس أبي سعيد؛ فأعقب إسماعيل المدعوَّ بالرئيس أبي الوليد صاحب الجزيرة، وأعقب هذا الرئيس أولاداً ثلاثة: محمداً وعليّاً وفرجاً وهم الفاتكون بالسلطان ابن عمهم ببابه، استأصلهم القتل وأولادهم، وتخطّى منهم ولداً لمحمد وثانياً لفرج هما بقيد الحياة، وعلى رسم مثلهم، وانتهى هذا الفرع من الأربعة.

وأما يوسف بن يوسف بن نصر[46] رابع الإخوة، وهو المدعوُّ[47] بصاحب منكّب؛ فأعقب محمداً ثم أعقب محمدٌ يوسف، وأعقب يوسف محمداً المستقرَّ الآن بالمغرب، معظّم القدر، موشح[48] للعظيمة، توجَّه في خدمة الأمر المريني بأسطول المغرب إلى تونس؛ فافتتحها، وحسن فيها أثره، وهو اليوم ببابهم، أعرضُ قومه نعمة، وأشهرهم رتبة، وأما فرج من الإخوة فاستشهد في بعض غزوات الشرق عن غير عقب.

وأما محمد أحمد ولدي الجدّ نصر فأولد ثلاثة نفر: يوسف الرئيس المنبز بعندريل[49]، وإسماعيل المنبز بالرئيس العجمي[50] وأحمد المنبز بالرئيس الفجَلب[51].

فأما يوسف منهم فأولد ثلاثة نفر: عليّاً المعروف بالعروس، ويوسف ونصراً، فولد يوسف المنتزي بوادي آش المتغلّب عليها والمقتول صبراً، وأما إسماعيل من الثلاثة فأولد إبراهيم ومحمداً وعلياً، ولد منهم محمد ثلاثة إسماعيل وفرجاً ومحمداً، وليس فيهم من أعقب، وأما أحمد المنبز بالفجَلب[52] فولد أربعة

---

(45) في (م) زيادة فقد ذكر فيها: «وأما محمد وهو أحد ولدي إسماعيل» وفي (ط): «وأما محمد منهم وهو أحد ولدي نصر، فأعقب إسماعيل بن يوسف».
(46) في (ط): «وأما يوسف بن نصر رابع الأخوة».
(47) في (ط): وهو المعروف.
(48) في (م): مرشح، وأيضاً في (ط).
(49) في (م): بقندريل، وأيضاً في النسخة (ط).
(50) في (م): الفحمي، في (ط): اللخمي.
(51) كذا ضبط اللفظ في جميع النسخ. وفي النسخة (ط): المجلب أو المخلب.
(52) في (ط): المجلب أو المخلب.

نفر: إسماعيل نصراً المعروف بصاحب بسطة ثم الجزيرة، وأما نصر فلم يعقب، وأما فرج فأعقب ثلاثة، وأما عليّ رابع أولاد الرئيس المنبز بالفجّلب[53]، وهو الرئيس أبو الحسن صاحب الجيش فتخلّف منهم رجلاً من الولد[54] ظهر منهم رجلان عليٌّ سميُّه، وصاحب[55] خططه، مضعوف قد أسنَّ من غير عقب، وأخاه[56] أحمد مثله تخلّف ثلاثة من الولد في خدمة ابن عمهم بالأندلس، ومقيمين للرسم، وقد حصل القصد من ذكر أُولي النباهة من هذا البيت لما عسى أن يجرّه ذكر، أو يدعو إِليه تاريخ أو خبر.

(53) في (ط): المجلب أو المخلب.
(54) في (م): فتخلّف جملة من الولد. وكذلك في (ط).
(55) في (م): وصاحب بعض خططه وكذلك في (ط).
(56) كذا في (ق) و(ك) و(ش).

القسم الرابع

في عوائد أهل هذه المدينة وأوصافهم على اختلاف أصنافهم

من كتاب **الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن من تاريخ غرناطة**[1] قال: أحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنحلُ فيهم معدومة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إِمام دار الهجرة جارية[2]، وطاعتهم للأُمراء مُحكمة، وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة، وصورهم حسنة، معتدلةٌ أُنوفهم، بيضٌ ألوانُهم، مُسودَّة ـ غالباً ـ شعورهم، متوسطة قدودهم، فصيحةٌ ألسنتهم، عربيةٌ لغاتهم، يتخللها عُرف كثير، وتغلبُ عليها الإمالة، وأخلاقهم أبيَّة في معاني المنازعات، وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر[3] والمهاجرة كثير[4].

---

(1) هذا الكتاب ـ كما رجح محمد عنان ـ مختصر من كتاب **الإحاطة** لمؤلفه.

(2) الإمام مالك بن أنس الأصبحي صاحب المذهب الفقهي المشهور ولد سنة (93هـ) وتوفي عام (179هـ) وله كتاب **المُوَطّأ** وقد ساد مذهبه في ديار الغرب الإسلامي الذي انتقل إليه من خلال تلاميذه المغاربة الذين أخذوا عنه مثل عليّ بن زياد الطرابلسي وعدد من فقهاء الأندلس.
لا شكَّ أن ذلك من باب التغليب على الحياة العقدية في الأندلس، أما من باب التحقيق فقد عرفت الأندلس الكثير من المذاهب الاجتهادية الفقهية مثل المذهب الحنفي والشافعي والإباضي والأوزاعي والمذهب الظاهري.

(3) البربر: جنس بشري واسع الانتشار في شمالي أفريقيا وفي وسطها، وينقسم هذا الجنس إلى البربر البدو ويسمون البتر والبربر الحضر ويسمون البرانس؛ [هكذا يعبّر ابن خلدون ـ المحقق].

(4) في (م): وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، وأيضاً في (ط).

ولباسهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبغ[5] شتاء، تتفاضل أجناس البزز[6] منه بتفاضل الجدات[7] والمقادير، والكتّان والحرير والقطن والمرعزّي والأردية الأفريقية والمقاطع التونسيّة والمآزر المشفوعة صيفاً؛ فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنَّهم الأزهار المفتَّحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة.

وجندهم صنفان: أندلسي وبربري.

الأندلسي منه يقوده رئيس من القرابة أو أحضياء الدولة، وزيُهم في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ الدروع، وتعليق الترسة، وجفاء البيضات، واتخاذ عراض الأسنّة، وبشاعة قرابيس[8] السروج، واستركاب جملة الرايات خلفهم: كلّ منهم بسِمة تخصّ سلاحَه، وشهرة يعرف بها، ثم عدلوا الآن عن هذا الزي إلى الجواشن المختصرة، والبيضات المرهفة[9] والسروج العربية، واليلب للمطية[10] والأسل اللطيفة.

والبربري منه ترجع قبائله المرينية والزيانية والتجانية والعجيسية والعرب المغربية إلى أقطاب ورؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم[11] وقطب لعرفائهم من كبار القبائل المرينية، يَمتُّ إلى ملك المغرب بنسب.

والعمائمُ تقلُّ في زِيّ أهل هذه الحضرة إلا ما شذَّ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم، والجند الغربي منهم.

---

(5) يُعرف بهذا الاسم إلى اليوم وهو الجُوخ النفيس المصنوع من الصوف بأصباغ مختلفة.

(6) البزز: جمع بزّة ويراد بها الهيئة والشارة والبزز نوع من الثياب وقد وردت في (ش) خطأ «النزر».

(7) الجدات: أراد باللفظ (الجُدّاد) أصل القماش وكل ما تعقد بعضه في بعض من الخيوط. ويظهر أن في اللفظ تحريفاً.

(8) القرابيس: جمع القربوس وهو حنو السرج، وهما قربوسان.

(9) في (م): المذهبة.

(10) اليلب: جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة.

(11) في (م): إلى رئيس رؤسائهم، وفي (ط): يرجع إلى رئيس على رؤسائهم.

وسلاحُ جمهورهم العِصيُّ الطويلة المثناة بعصي صغار ذات عُرىً في أوساطها، تدفع بالأنامل عند قذفها تسمَّى بالأمداس[12]، وقسي الأفرنجة[13] يُحملون على التدرّب بها على الأيام.

ومبانيهم متوسطة، وأعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد، والغناء بمدينتهم فاشٍ حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث.

وقوتهم الغالب البُرُّ الطيب عامة، وربما اقتات في فصل الشتاء الضَّعَفة والفَعَلة[14] الذرة العذبة مثل أصناف القطاني[15] الطيبة، وفواكههم رغدة، والعنب بحر لإنافة[16] كرومه التي ينالها الخراج على أربعة عشر ألفاً لهذا العهد.

وفواكههم اليابسة عامة العام متعدّدة؛ يدخرون العنب سليماً من الفساد إلى ثلثي العام، إلى غيره من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز، إلى غير ذلك مما لا ينقطع[17] إلا بفضل يزهد[18] في استعماله.

وصرفهم فضّة خالصة، وذهب إبريز طيب محفوظ، لا تفضل سكتهم سكة[19].

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حلال[20] العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحص[21] بأولادهم وعيالهم، معولين على شهامتهم، وأسلحتهم على كبت[22] عدوهم، واتصال أبصارهم بحدود أرضه.

---

(12) في (ط): الأمراس.
(13) في (م): الفرنجة، وكذلك في (ط).
(14) يشير بذلك إلى طبقة الفقراء والعمال.
(15) القطاني: جمع مفردته القطنيّة وهي ما يذخر في البيت من الحبوب مثل العدس.
(16) الإنافة: الكثرة والوفرة.
(17) في (م): مما لا ينقطع مدده. وفي (ط): مما ينقطع مدده.
(18) في (ش): «يزهر» ولا معنى له في السياق.
(19) السكة: تعني عند القدامى ما يعنيه عندنا مصطلح العملة.
(20) الحلال: جمع حلة وهو منزل القوم، وجماعة البيوت ومجتمع الناس.
(21) في (م): الفحوص، وأيضاً في (ط).
(22) في (م): كثب.

وحَلْيُهم في القلائد والدمالج والخلاخل[23] والشنوف الذهب الخالص إلى هذا العهد في أُولي الجدة[24] واللجين في كثير من آلات الرجلين فيمن عداهم.

والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد ونفيس الجوهر كثيرٌ فيمن ترفّع من طبقاتهم المستندة إلى ظلّ دولة، أو أعرق أصالة موفورة.

وحريمهم حريم جميل، موصوف باعتدال السحن[25] وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب الشذا، وخفّة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المجاورة، إلا أنَّ الطول يندر فيهن، وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبَّغات، والتنافس في الذهبيات والديباجيات[26]، والتماجن في أشكال الحَلْي إلى غاية بعيدة.

(23) في (م): الخلاخيل، وأيضاً في (ط).
(24) يقصد الأغنياء وذوي اليسار.
(25) في (م): السمن، والسحن جمع سحنة يراد بها اللون، وفي (ط): السمن.
(26) في (م): والديباجات.

القسم الخامس

في نسق الدول واتصال الأواخر منها بالأُول

أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي[1] الأنصاري سلطان الأندلس، ودائلها، وجذم الأُمراء النصريين بها، يلقب بالغالب بالله.

نشأ بأرجونة من كنبانية قرطبة، أطيب البلاد مَدَرة[2] وأوفرها غلّة في ظلِّ نعمة وعلاج فلاحة، وبين يدي نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك أن نبض له شريان طلب الملك، وانطوت أفكاره على تأميل الأمر والرياسة، ورآه مرتادو[3] أكفاء الدول أهلاً؛ فقدحوا رغبته، وأثاروا طمعه.

حالــه

كان هذا السلطان آية من آيات الله في السذاجة[4] والسلامة والجهورية[5]،

---

(1) في (ك): «قيس بن عقيل الخزرجي».

(2) مدرة: القطعة من الطين اللزج المتماسك، وأهل المدر سكان البيوت المبنية.

(3) في (م): مرتادو.

(4) السذاجة: لفظة كثيرة الدوران في نثر ابن الخطيب، ويعني بها النقاء إذ الساذج الخالص غير المشوب.

(5) الجهورية: ارتفاع الصوت والشهرة وحسن المنظر.

جندياً ثغرياً[6] شهماً أيّداً[7]، عظيم التجلّد، رافضاً للدعة والراحة، مؤثراً للقشف[8] والاجتزاء باليسير، متبلغاً بالقليل، بعيداً من التصنع، جافي السلاح، شديد الحزم، هو بالإقدام[9]، عظيم التشمير، محتقراً للعظيمة، مقرباً لصنفه، مصطنعاً لأهل بيته، فظاً في طلب حقّه، مباشراً للحرب بنفسه، تتغالى الحكاة في موقع سلاحه، وزنة دبوسه[10] يخصف النعل، ويلبس الخشن، ويؤثر التبدّي[11] ويستشعر الجدَّ في أموره، وسُعد بيوم الجمعة إذا كان فيه تملكه مدينة جيَّان، ثم حضرة الملك غرناطة، وقيل ويوم قيامه، فشرع به الصدقة الجارية على ضعفاء أهل الحضرة وزمناهم[12] إلى اليوم.

وتملك أشبيلية وقرطبة برهة يسيرة، ثم خرجتا عن نظره في خبر طويل؛ ولمّا تمَّ له تملك الحضرة اضطر إلى المال؛ فعظم على العمال ضغطه، وابتنى حصن الحمراء[13] وجلب له الماء وسكنه، وباشر بنفسه الحسبانات[14] فتوفَّر ماله، وغصَّت بالصامت خزائنه، وعقد السلم الكبيرة[15]، وتهنأ أمره، وأمكنه الاستعداد، فأفعم الأهواء[16] وملأ بطن الجبل المتصل بمعقله حبوباً مختلفة، وخزائن دوره مالاً وسلاحاً، وأواريَه[17] ظهراً وكراعاً[18] فوجد فائدة استعداده، ولجأ إلى ما ادّخره من عتاده.

---

(6) يشير بذلك إلى شجاعته ومرابطته، وأنّه مجاهد من الذين كانوا يحمون الثغور.
(7) أيداً: أي قوياً صلباً.
(8) القشف: التقشف والخشونة.
(9) في (م): مرهوب الإقدام. وكذلك في (ط).
(10) في (م): وزنة دبوزه. وأيضاً في (ط).
(11) التبدّي: أي إيثار الظهور بأحوال البادية والبداة.
(12) الزمنى: المرضى والعجزة.
(13) أي الحصن الذي يحيط بقصر الحمراء بغرناطة.
(14) أي الحسابات، ومراقبة المال العام أو ميزانية الدولة.
(15) في (م): الكبير، وكذلك في (ط).
(16) في (م): الأهراء.
(17) جمع آري، وهو مأوى الدابة ومحبسها، أو ما يعرف بالإصطبل.
(18) الظهر الدابة للركوب والحمل والكراع اسم يجمع الخيل والسلاح.

سيرتـــه

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالعدوة وإفريقية[19] فخطب لهم زماناً يسيراً، وتوصّل بسبب ذلك إلى إمداد منهم بمال وإعانة، ولقبل ما افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد، حاذياً حَذوَ سميّه ابن هود[20] للهج العامّة في وقته بتقلّد تلك الدعوة «من بالعراق لقد أبعدت مرماك»[21] إلى أن نزع عن ذلك كلّه[22] وكان يعقد للناس مجلساً عاماً يومين في كلِّ أُسبوع، ترتفع إليه الظلامات، ويشافه[23] طلاّب الحاجات، وينشده الشعراء، ويدخل[24] إليه الوفود، ويشاور أرباب النصائح في مجلس يحضر به أعيان الحضرة، وقضاة الجماعة، وأولو الرتب النبيهة في الخدمة، يفتتح بقراءة أحاديث من الصحيحين، ويختم بأعشار من القرآن العظيم[25] ثم ينتقل إلى مجلس خاص ينظر فيه في أُموره، فيصيِّر كلَّ قصّة[26] إلى من يليق به النظر فيها، ويواكل في العشيّات خاصة من قرابتهم[27] ومن يليهم من نبهاء القواد.

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور: محمداً وليَّ عهده، وأمير المسلمين على إثره، والأميرين فرجاً ويوسف، توفيا على حياته.

(19) العدوة يقصد بها العدوة المغربية، وإفريقية: تونس.
(20) هو محمد بن يوسف بن هود المكنى المتوكل، وقد ترجم له ابن الخطيب في **الإحاطة**.
(21) عجز بيت من الشعر كنى به عن البعد بين المشرق والمغرب وصدره: «سهمٌ أصاب وراميه بذي سلم».
(22) أي ترك الدعاء والولاء، الذي تملّق به العامة والخلافة العباسية.
(23) في (م): يشافهه. وكذلك في (ط).
(24) في (م): وتدخل.
(25) أعشار القرآن الكريم: جمع عشر. وفي (ط) بأعشار من القرآن.
(26) القصة: الحديث والأمر والخبر.
(27) في (م): قرابته. وأيضاً في (ط).

وزراؤه

وزَرَ له جماعة من الوزراء الجلّة، منهم الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صنانيد[28]، زعيم قاعدة جيّان، وهو الذي أمكنه من ناصيتها[29] ومنهم علي بن إبراهيم الشيباني من وجوه أهل غرناطة، أزدي النسب، فاضل متخصّص، ثم ابنه محمد بعده من أُولي الدماثة والوقار. ومنهم القائد الرئيس أبو عبد الله محمد بن محمد بن الرميمي، ولأبيه الظهور بمدينة المرية، ومنهم أبو يحيى بن الكاتب من أرباب[30] حضرته، وأرباب النعم، واستوزر غيرهم ممن لم تنهض به الشهرة، ولم تنفسح له المدّة.

كُتّابه[31]

كتب له جلّة، كالكاتب المحدّث الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن هيضم[32] الرعيني، شهر بنسبه، والكاتب الشهير أبي بكر بن خطّاب، والكاتب أبي عمر يوسف بن محمد بن محمد بن سعيد اليحصبي اللوشي.

قضاته[33]

وُلّي له قضاء الجماعة جملة، منهم: القاضي الشهير[34] النظار أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري من جلّة الأندلس[35] بيتاً ومنصباً، ثم الفقيه الجليل القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الجليل بن غالب الأنصاري الخزرجي، ثم الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن

---

(28) كذا كتبت في جميع النسخ.
(29) الناصية: مُقدّم الشعر، وأمكنه من ناصيتها كناية عن تمكينه من حكمها.
(30) في (م): من أهل، وكذلك في (ط).
(31) في النسخة (ق) الأصل كتب هنا سهواً قضاته.
(32) في (ط): هضيم.
(33) في النسخة (ق) الأصل كتب هنا سهواً كتابه، وفي (ط) والنسخ الأخرى كتبت العناوين صحيحة في هذا الموضع والموضع السابق.
(34) في (ط): القاضي العالم الشهير.
(35) في (ط): من جلة أهل الأندلس.

إبراهيم بن عبد السلام التميمي، وهذا الرجل عمُّ أخي والدي لأُمه، أحد قضاة العدل، ثم القاضي العدل أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي، حفيد القاضي أبي الفضل عياض، من أهل الورع والجزالة[36] والتصميم في الحقّ، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم القاضي الحسيب أبو عبد الله بن أضحى، وبيته شهير، ولم تطل مدته، ثم القاضي العالم أبو القاسم عبد الله[37] بن أبي عامر بن يحيى[38] بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، ثم القاضي أبو بكر محمد بن فتح بن علي الأشبيلي الملقَّب بالأشبرون، وهو آخر[39].

الملوك على عهده

بوطن المغرب، ثم بمراكش: المأمون إدريس من بني عبد المؤمن بن علي مزاحماً يحيى[40] بن الناصر بن المنصور منهم فاراً أمامه، معتصماً بالجبل، ولما توفي المأمون ولي ولده الرشيد في أول سنة ثلاثين وستمائة، وهو أبو محمد عبد الواحد، وخاطبه مبايعاً وداعياً ومتاحفاً ووصله إمداده، وتوفي عن عشر من السنين.

وَوُلِّي أخوه أبو الحسن علي بن إدريس الملقَّب بالسعيد، وقُتل بظاهر تلمسان سنة ست وأربعين وستمائة، وولي أبو حفص عمر بن إسحاق[41] المرتضى إلى أن قتله إدريس الواثق أبو دبوس في أوائل عام خمسة وستين[42]، وولي بعده يسيراً، واستولى على مراكش ملك بني مرين فتعاقب منهم على عهده ملوك جلّة، منهم: الأمير عثمان وأخوه[43] حمو وأخوهما أبو يحيى[44] بنو عبد الحق بن

(36) الورع: التقى، والجزالة: جودة الرأي وعظمه وأحكامه.
(37) في (ط): أبو عامر عبد الله.
(38) في (ش): «أبي عامر يحيى».
(39) في (م): وهو آخر قضاته. وكذلك في (ط).
(40) في (م): مزاحماً ليحيى.
(41) في (م): عمر بن أبي إسحاق.
(42) راجع: **الاستقصا** 1: 258، **والمغرب عبر التاريخ** 1: 293.
(43) في (ط): كالأمير عثمان وأخيه.
(44) في (ط): أبي يحيى.

محيو، واستقر الملك في أبي أملاكهم أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ بن محيو إلى آخر أيامه.

وبتلمسان: يغمراسن بن زيّان أول ملوكهم، وتقدمته امرأةُ أخيه قبله، ولكن يغمراسن حاز الشهرة، واستحق الذكر.

وبتونس: الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وقد مرَّ ذكره، وخاطبه السلطان، والتمس رفده، وحصل على إعانته، ولما توفي، وُلِّي ولده[45] أبو عبد الله المستنصر بالله، واستمرت أيامه مساوقة[46] إلى أيام السلطان[47] إلى أن توفي بعده على أيام ولده عام أربعة وسبعين وستمائة.

ومن ملوك النصارى بقشتالة: فراندة بن ألفونش بن شانجة الأنبرطور، وفرانده هذا هو الطاغية الذي ملك قرطبة وأشبيلية، ولما هلك ولي بعده ألفونش ولده ثلاثاً وثلاثين سنة، واستمر ملكه مدّة ولايته وصدراً من دولة ولده بعده.

وبرغن[48]: جايمش بن بيطرة بن ألفونش قُمْط[49] برشلونة، وجايمش هذا هو الذي أخذ مدينة بلنسية[50] وصيّرها دار ملكه من يد أبي جميل زيّان[51] ابن مردنيش.

بعض أخباره

قام بدعوته ابن خالد جدّ بني خالد بغرناطة، واستدعاه وهو بجيّان؛ فبادر إليها في أُخريات رمضان من عام خمسة وثلاثين وستمائة، بعد أن بعث إليه الملأ من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مشيختهم أبي بكر بن الكاتب، وأبي جعفر

(45) في (م): ولده بعده.
(46) مساوقة: متزامنة ومتتابعة.
(47) أي أمير المسلمين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد النصري.
(48) كتبت في (ط) و(م): وبرغون، وكتبها ناسخ (ق) كذلك إلا في هذا الموضع.
(49) قُمط: يبدو أنه لقب من ألقاب ملوك النصارى في الأندلس.
(50) بلنسية: في شرق الأندلس ولأهلها حسن زي وكرم طباع.
(51) راجع: **الإحاطة في أخبار غرناطة** 1: 175 وما بعدها.

التيرولي، قال ابن عِذاري[52]: أقبل وما زيُّه بفاخر، ونزل عشيَّ اليوم الذي وصل فيه بخارج غرناطة على أن يدخلها من الغد، ثم بدا له فدخلها غروب الشمس آخذاً بالحزم، وحدَّث أبو محمد البسطي[53] قال: «عاينته يوم دخوله، عليه شاية ملف[54] مضلعة، أكتافها ممزّقة، وعندما نزل بباب جامع القصبة كان مؤذن المغرب في الحيعلة، وإمامه يومئذٍ أبو المجد المرادي، ولم يحضر الإمام فدفع الأشياخ السلطان إلى المحراب؛ فصلّى بهم على هيئته تلك بفاتحة الكتاب و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: 1] في الأولى، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] في الثانية ثم دخل قصر باديس، والشمع بين يديه»[55].

وفي سنة ثلاث وأربعين صالح طاغية الروم، وعقد معه السلم الممتدة الأمد، وأوقع قبلُ بالعدوّ الراتب تجاه باب حضرته المتحصّن بحصن بليَلُش على بريد من الحضرة، وكان الفتح به[56] عظيماً، ثم حالفه الصنع بما يضيق المجال عن استيفائه.

وفي حدود اثنين وستين وستمائة عقد البيعة لولي عهده، واستدعى القبائل للجهاد.

مولده: عام أحد وتسعين وخمسمائة بأرجونة في عام الأرك[57].

وفاته: في منتصف جمادى الثانية من عام أحد وسبعين وستمائة.

ورد عليه ـ وقد أسنَّ ـ جملة من كبار الزعماء يقودون جيشاً خشيناً[58] من أتباعهم؛ فبرز إلى لقائهم بظاهرة الحضرة، ولما كرَّ آيباً إلى قصره سقط ببعض

---

(52) ابن عذاري، هو ابن عذاري المراكشي صاحب كتاب **البيان المغرب في أخبار المغرب**.

(53) أبو محمد البسطي نسبة إلى مدينة بسطة بالأندلس، ولم يدلنا ابن الخطيب على اسم المصدر الذي أخذ منه من آثار البسطي.

(54) يقصد ملابس متواضعة رثة، وصوّب عنان لفظة شاية بشاشية، **الإحاطة** 2: 99.

(55) كما يبدو ـ إلى هنا انتهى ما حدّث به أبو محمد البسطي.

(56) في (م): وكان الفتح باباً عظيماً.

(57) عام الأرك: يشير بذلك العام إلى السنة التي احتدمت فيها معركة الأرك (591/ 1194).

(58) في (م): خشناً.

طريقه وقاءَ مرَّة خضراء، وأُركب ورَدَفَه بعض كبار مماليكه يدعى بصابر[59] الكبير، وكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الثانية المذكورة، ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام السبيكة، وعلى قبره اليوم منقوشاً في الرخام «هذا قبر السلطان الأعلى، عزِّ الإسلام، جمال الأنام، فخر الليالي والأيام، غياث الأمة، غيث الرحمة، قطب الملّة، نور الشريعة، حامي السنّة، سيف الحقّ، كافل الخلق، أسد الهيجاء، حمام الأعداء[60]، قوام الأُمور، ضابط الثغور، كاسر الجيوش، قامع الطغاة، قاهر الكفرة والبغاة، أمير المؤمنين علم المهتدين، قدوة المتقين، عصمة الدين، شرف الملوك والسلاطين، الغالب بالله، المجاهد في سبيل الله[61]، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري، رفعه الله إلى أعلى عليين، وألحقه بالذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين وُلد ـ رضي الله عنه وآتاه رحمةً من لدنه ـ عام أحد وتسعين وخمسمائة، وكانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لشهر جمادى الآخرة عام أحد وسبعين وستمائة؛ فسبحان من لا يفنى سلطانه، ولا يبيد مُلكه ولا ينقضي زمانه، لا إلّه إلا هو الرحمن الرحيم [البسيط]:

هذا محل العلا والمجد والكرمِ ... قبر الإمام الهمام الطاهر العَلَمِ

للّه ما ضمَّ هذا اللحد من شرف ... جمّ ومن شيم علوية الهممِ

فالبأس والجود ما تحوي صفائحه ... لا بأسُ عنترة ولا ندى هرمِ

مغنى الكرامة والرضوان يعمره ... فخر الملوك الكريم الذات والشيمِ

مقامه في كلا يومي ندىً ووغى ... كالغيث في المحل أو كالليث في الأجمِ

مآثر تُليت آثارها سوراً ... تُقرُّ بالحقّ فيها جملة الأُممِ

كأنّه لم يسر في جحفل لجب ... تضيق عنه بلاد العرب والعجمِ

ولم يغادِ العدى منه ببادرة ... يفترُّ منها الهدى عن ثغر مبتسمِ

---

(59) في (م) و(ط): يدعى صابراً.

(60) الحمام: في اللغة الموت.

(61) في (ط): في سبيل الله أمير المسلمين.

ولـم يُـجـهِّـز لـهـم خـيـلاً مـضـمَّـرة ... لا تـشـرب الـمـاء إلا مـن قـلـيـب دمِ
ولـم يـقـم حـكـم عـدل فـي مـسـايـسـة ... تـأوي رعـيـتـه مـنـه إلـى حـرمِ
مـن كـان يـجـهـل مـا أولاه مـن نـعـم ... ومـا حـمـاه لـديـن الـلَّـه مـن حُـرمِ
فـتـلـك آثـاره فـي كـلّ مـكـرمـة ... أبـدى وأوضـح مـن نـار عـلـى عـلـمِ
لا زال تـهـمـي عـلـى قـبـر تـضـمَّـنـه ... سـحـائـب الـرحـمـة الـوكّـافـة الـديـمِ

أمير المسلمين محمد بن محمد بن يوسف بن نصر
وَلَدُ المترجم به، ثاني الملوك من بني نصر، وعظيمهم وأساس أمرهم، وفحل جماعتهم[62]

حاله

من كتاب **طرفة العصر** من تأليفنا[63]، كان هذا السلطان أوحد الملوك جلالة وصرامة وحزماً، ممهّد الدولة الذي وضع ألقاب خدمتها، وقدَّر مراتبها، واستجاد أبطالها، وأقام رسوم الملك فيها، واستدرّ جبايتها، مستظهراً على ذلك بسعة الذرع، وأصالة السياسة، ورصانة العقل، وشدَّة الأسر، ووفور الدهاء، وطول الحنكة، وتملُّؤ التجربة، مليح الصورة، تام الخلق، بعيد الهمّة، كريم الخلُق، عظيم الصبر، كثير الأناة.

قام بالأمر بعد أبيه، وباشره مباشرة الوزير أيام حياته؛ فجرى على سنن من اصطناع[64] أجناسه، ومداراة عدّوه، وإجراء صدقاته، وأربى عليه بخلال: منها براعة الخط، وحسن التوقيع، وإيثار العلماء؛ من الأطباء والمنجمين والحكماء والكتَّاب والشعراء، وقرض الأبيات من الشعر، وكثرة المُلح، وحرارة النادرة.

وطما عليه بحر من الفتنة لأول أمره، وتكاثر المنتزون عليه والثوار،

---

(62) يقصد عظيمهم وقائدهم.
(63) يشير بذلك إلى كتابه **طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر** وهو كتاب غير **اللمحة البدرية** مفقود.
(64) في (ط): فجرى على سننه من اصطناع أجناسه.

وارتجت الأندلس فثبت لزلزالها، رابط الجأش، ثابت المركز، وبذل من الاحتيال والدهاء المكنوفين بجميل الصبر ما أظفره بخلو جوّه، وطال عمره، وبعُد صيته، واشتهر في الآفاق ذكره، وعظمت غزواته، وسيمرُّ ما يدلُّ على جلالة قدره، وعلوّ سلطانه.

شعره وتوقيعه

وقفت على كثير من شعره، وهو نمط منحط بالنسبة إلى أعلام الشعراء، ومستطرف من الملوك أمثاله والأمراء؛ فمن ذلك قوله يخاطب وزيره[65] [المتقارب]:

تذكر عزيز ليال مضت ... وإعطاءنا المال بالراحتينِ

وقد قصدتنا ملوك الجهات ... ومالوا إلينا من العدوتينِ

وإذ سأل السلم منا اللعين ... فلم يحظَ إلا بخُفَّيْ حُنَيْنِ

وألفيت بخط جدّي الأقرب[66] ما نصُّه «من شعر مولاي أمير المسلمين أبي عبد الله بن أمير المسلمين الغالب بالله من أبيات في الفخر [الكامل]:

أأمد عيني للذي أنا كاره ... من صاحبي إنّي لَغَيْنُ الظالمِ

لي زاجرٌ من نفس حرٍّ حنرت[67] ... كرماً إباحة محرم من حالمِ

وتوقيعه يشذُّ عن الإحصاء كثرة، وبأيدي الناس منه كثير، مثلما وقّع به على رقعة شخص كان يطلب التصريف في بعض الشهادة[68] المخزنية، ويلجُّ فيها [الوافر]:

يموتُ على الشهادةِ وَهْوَ حَيٌّ ... إلَهي لا تُمتهُ على الشهاده

(65) ستأتي الإشارة إليه عند حديث ابن الخطيب على وزرائه، والوزير هو: أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني.

(66) جدّ محمد لسان الدين الأقرب هو سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني.

(67) في (م): حضرت.

(68) في (م): الشهادات.

وأطال الخط عند لفظ «إلّهي» إشعاراً بالضراعة عند الدعاء والجد.

وما وقَّعَ به لمشتكي ضرر الجندي المنزّل بدارة، وقد قذفه بالتعرض لزوجه «يُخرَج[69] النازل النازل، ولا يعوَّض بشيء من المنازل».

بنـوه

ثلاثة: وليُّ عهده وسميُّه الآتي ذكره ـ بحول الله ـ وفرج تاليه المغتالُ أيام أخيه المذكور، ونصر الأمير بعد أخيه المخلوع على يده.

وزراؤه

كان وزيرُه الوزير الجليل الفاضل أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني، منسوب إلى بلدة دانية الشرق، وبيته معدود في بيوتات الأشراف من أهل صُقيع الشرق، أخلق الناس[70]، زعموا ـ بوزارة هذا السلطان، لتقارب الشبه في السن والصورة، وفضل الذات، إلى متانة الدين، وصحة الطبع وجمال الرواء، أغنى، وحسنت وساطته، ورفعت إليه الممادح، وطرزت[71] باسمه الأوضاع، واتصلت أيامه إِلى تمام أيام مستوزره، ثم صدراً من أيام ولي عهده.

كُتّابــه

تولّى له خطة الخطابة[72] والرياسة العليا لقلم الإنشاء جملة، منهم: كاتب أبيه وابن كاتبه[73] أبو بكر بن يوسف اللوشي اليحصبي، ثم الأخوان أبو علي الحسن والحسين ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اليحصبي اللوشي[74]، سبَق الحسنُ وتلاه الحسين، كانا توأمين، وعلى أحسن سنن من فضل الإِخوة، وكرم

(69) في (م): يخرج هذا النازل.
(70) أي أجدر الناس وأحقهم.
(71) في (ط): وطررت.
(72) في (م) و(ط): الكتابة، والصواب ما أثبتناه فالخطابة خطة وسيأتي الكلام على الكتابة التي هي قلم الإنشاء.
(73) في (ط): ومن كتَّابه.
(74) في (ط): اللوشي اليحصبي.

النفس، وبضاعتهما في الأدب متوسطة العرض، ووفاتهما متفاوتة[75]، ولهذا البيت اللوشي ببني نصر اختصاص لجوار وسابقة.

ثم كتب له أبو القاسم محمد بن عابد[76] الأنصاري أحد الشيوخ وبقية الصدور الأُدباء، أقام كاتباً عنه مدّة إلى أن أبرمه[77] انحطاطه في هوى نفسه، وإيثار[78] المعاقرة، حتى لزعموا أنه قاءَ يوماً بين يديه، فأخّره عن رتبته، وأقامه في عداد كتّابه وتحت رفده، وفي ذلك قال من قصيدة [الطويل]:

أفي عادة الإِنصاف والعدل أن أجفى   لِأن زعموا أنّي تحيّنتها صرفا

وتولّى له كتابة الإنشاء الفقيه المحدّث الأصيل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي الوزير لولده؛ فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته

تولّى له خطة القضاء قاضي أبيه أبو بكر محمد بن فتح[79] بن علي الأشبيلي الملقّب بالأشيرون، بعد أن تقلّد له قبل خطة[80] السوق[81] فلقي سكراناً من الجند قد أفرط في القحة[82]، واشتدّ في العربدة، وحمل على الناس فأفرجوا عنه؛ فاعترضه بنفسه، وقبض عليه، واستبصر في حدّه، وبالغ[83] في نَكاله، واشتهر ذلك عنه؛ فجمع أمر الشرطة وخطة السوق، ثم وُلّي القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصرامة، إلى أن هلك[84]؛ فتولّى خطة القضاء بعده الفقيه الفاضل القاضي العدل أبو عبد الله محمد بن محمد بن هشام من أهل ألش بحكاية غبطت السلكان

(75) في (م): متقاربة، وكذلك في (ط).
(76) في (ط): العابد.
(77) أبرمه: يقصد غيَّره ولواه أو من برم من بالشيء برماً سئمه وضجر به، فهو برمٌ.
(78) في (م): وإيثاره، وكذلك في (ط).
(79) لم يكتب ابن فتح في (ط).
(80) في (ط): قبل ذلك خطة السوق.
(81) والمراد بخطة السوق، خطة الحسبة والإشراف عليه.
(82) القحة: نعته بسوء الخلق والوقاحة والبذاءة.
(83) في (ط): وتابع.
(84) السطران الأخيران لم يُكتبا في المتن في (ط) وإنما كُتبا في الحاشية.

به، ودلّته على محلّه من العدل والفضل؛ فاتصلت أيام قضائه إلى تمام أيام مستقضيه ـ رحمهما الله تعالى ـ.

جهـــاده

باشر ـ رحمه الله ـ الوقائع؛ فانجلت ظلماتها عن صبح نصره، وطُرّرت[85] مواقفها بطرر جلادته وصبره، ففي شهر محرم من عام خمسة وتسعين وستمائة ـ على تفئة هلاك طاغية الروم[86] شانجة[87] بن أدفونش ـ عاجل الكفر لحين الدهشة فحشد أهل الأندلس، واستنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، وتحرَّك في جيش، يجرُّ الشوك والمدر[88] ونازل مدينة «قيجاطة» ففتحها الله على يديه، وتملَّك بسببها جملة من الحصون الراجعة إليها، وكان الفتح بذلك عظيماً، وأسكنها جيشاً من المسلمين، وطائفة من الحامية فأشرقت العدو بريقه[89].

وفي صائفة[90] عام تسعة وتسعين نازل القبذاق[91] وأخذ بمخنقها، وأضرم القتال حولها، وهدَّ النقبُ طائفة من سورها بين يدي القتال؛ فدخلها عُنوة، واعتصم أهلها بمعقلها الشهير، وأحيط بهم فخذلوا، وزلزل الله أقدامهم؛ فتملكها على حكمه، وهي من جلالة الوضع، وشهرة المنعة، وخصب الساحة، وطيب الماء والوصول إلى أفلاذ فؤاد الكفر، والاطلاع على عوراته، بحيث شهر، فكان تيسير فتحها من غرائب الوجود[92]، وشواهد اللطف وذلك في صلاة الظهر من

(85) طرّرت: من الطرّة وهي العلامة السلطانية أو السمة الملوكية التي تكتب أعلى الرسائل السلطانية أو الرسمية، ويقال لها أيضاً الطغراء.

(86) على تفئة هلاك طاغية الروم: من فأى رأسه فلقه، انفأى: انشق، تفأى الشيء: تصدّع وانشق.

(87) **الإحاطة** 1: 561، 564.

(88) الشوك معروف والمدر: الطين اللزج المتماسك، وربما كان يتخذ ذلك في الحروب عهدئذ.

(89) كناية عن شدّة معاناته، وكثرة عذاباته.

(90) في (ط): وفي طالعة.

(91) القبذاق: مدينة أندلسية قديمة تتبع ولاية قرطبة، وفي (ط): نازل مدينة القبذاق.

(92) في (ط): من غرائب الوجوه.

يوم الأحد الثامن لشهر شوّال عام تسعة وتسعين وستمائة، وأسكن بها رابطة من المسلمين، وباشر العمل في خندقها بيده ـ رحمه الله ـ.

من كان على عهده من الملوك

من ملوك المسلمين بالمغرب: السلطان الجليل الصالح المجاهد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحقّ، وكان ملكاً صالحاً ظاهر السذاجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح لقومه، شارعاً أبواب الدّولة[93] عليه منهم؛ أشبه بالشيوخ منه بالملوك في احتمال اللغط، والإغضاء عن الجفوة، والنداء بالكُنية، وهو الذي استولى على ملك الموحدين واجتث شجرتهم من فوق الأرض، وورث سلطانهم، واجتاز إلى الأندلس كما تقدَّم مرات ثلاثاً أو أزيد منها، وغزا العدوَّ، وجرت بينه وبين السلطان المترجم به أُمور بين سلم ومناصبة[94] وعتب وإعتاب[95] وتوفي بالجزيرة الخضراء في عنفوان وحشة بينه وبين هذا السلطان في محرّم من عام خمسة وثمانين وستمائة.

وَوُلّي بعده السلطان المعظم البعيد الهمّة القويّ العزمة، أبو يعقوب يوسف، وجاز إلى الأندلس على عهده، واجتمع به بظاهر مربلة[96] وتجدّد العهدُ، وتأكّد الودّ، ثم عادت الوحشة المفضية إلى تغلّب العدوّ على جزيرة طريف، فرضة الجهاد[97] الأدنى[98]، واستمرت أيام السلطان أبي يعقوب إلى آخر مدّة السلطان المذكور، ومدّة ولده من بعده.

وبتلمسان: السلطان أبو يحيى يعمور[99] بن زيان بن ثابت بن محمد بن عبدوش[100] بن طاع الله بن علي بن يمل، وهو أوحد زمانه جُرأة وشهامة، ودهاء

(93) في (م): الدالّة، وكذلك في (ط).
(94) أي مناصبة العداء، وإظهار الرغبة في الحرب.
(95) العتب: اللوم والعذل، والأعتاب: طلب العفو والمسامحة.
(96) مربلة: تقع هذه المدينة غرب مالقة وعلى مسافة 60 كم منها Marbello.
(97) في (م): فرضة المجاز.
(98) في (ط): فرضة المجاز الأدنى.
(99) في (ط): يغمراسن.
(100) في (ط) و(م): بندوسن، وتوطن أفريقية الأمير.

وجزالة وحزماً، مواقفه في الحرب شهيرة، وكانت بينه وبين بني مَرين وقائع كان عليه فيها الظهور، وربما ندرت[101] الممانعة، ـ وعلى ذلك ـ فقويُّ الشكيمة، ظاهر المنعة.

ثم وُلِّي بعده ولده عثمان إلى تمام مدّة السلطان المترجم به، وبعضاً من دولة ولده.

وبوطن إفريقية الأمير الخليفة أبو عبد الله ابن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص، الملقب بالمستنصر[102] المثل المضروب في البأو[103] والأنفة، وعظم الجبروتية[104] وبعد الصيت، إلى أن هَلكَ سنة أربع وسبعين وستمائة، ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحاق ابن الأمير أبي زكريا المجتاز من الأندلس، ثم كانت دولة الداعي[105] ابن أبي عمارة المتوثب على ملكهم. ثم دولة أبي حفص مستنقذها من يده، وهو عمر بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد؛ ثم السلطان الخليفة الفاضل الميمون النقيبة أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر بالله أبي عبد الله ابن الأمير أبي زكريا يحيى[106].

ومن النصارى[107] بقشتالة: ألغُنْش هراندة[108] المجتمع له ملك قشتالة وليون، المستولي هو وأبوه على أشبيلية وقرطبة ومرسية وغيرها، واتصلت أيام

---

(101) في (ط): وربما قدرت الممانعة.

(102) راجع أخباره في: الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، وابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، ابن القنفد، **الفارسية في مبادى الدولة الحفصية**.

(103) البأو: الاعتداد بالنفس والتعاظم بها.

(104) عظم الجبروتية: أي فظاعة الطغيان والتعالي والتشامخ بالنفس.

(105) يُسمَّى في الكثير من المصادر التاريخية ومنها مخطوطه (ط): الدعي ابن أبي عمارة، راجع في ذلك: **الأدلة البينة النورانية**، **والفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، **وورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا** لحسن حسني عبد الوهاب، **وسبك المقال لفك العقال**.

(106) يحيى: ساقطة في (م) وفي (ط).

(107) في (م): ومن ملوك النصارى وكذلك في (ط).

(108) في (م): فراندة.

ألغنش بن فرانده إلى أن ثار عليه ولده شانجة واقتضت الحال إجارة سلطان المغرب، واستجار به، وكان من لقائه إياه بأحواز الصخرة من كورة تاكرنا ما هو معلوم، ثم هلك. وملك بعده ولده شانجة، واتصلت ولايته مدّة أيام السلطان، وجرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربعة وتسعين وستمائة. وَوُلِّي بعده ولده هرانده سبع عشرة سنة، وصار الملك إليه وهو صبي صغير؛ فتنفّس مخنق الأندلس[109]، وغزا سلطانها، وظهر إلى آخر مدَّته.

وبرغون: ألغُش بن جايمش بن بطرة بن جايمش، ثم هلك وَوُلِّي بعده ولده جايمش الذي نازل المرية على عهد نصر ولده، واستمرت أيامُه حياتَه، وكان لا نظير له في الحزم والدهاء والقوّة.

ومن الأحداث في أيامه

تفاقم على عهده الشرُّ، وأعياد الفتنة[110]، ولقحت حرب الرؤساء الأصهار من بني أشقيلولة فمن دونهم، فكان بمدينة وادي آش الرئيسان أبو محمد وأبو الحسن[111]، وبمالقة وقمارش الرئيس أبو محمد عبد الله، وبقمارش أخيراً الرئيس أبو إسحاق.

فأمّا الرئيس أبو محمد فهلك، وقام بأمره ولده، وابن أُخت السلطان المذكور، ثم خرج عنها في سبيل الانحراف والمنابذة إلى ملكه ملك المغرب، ثم تصيّر أمرها إلى السلطان بعده على يد واليها من بني محلى، وأما الرئيسان فصابرا، ومرنا على المقاطعة بوادي آش زماناً طويلاً، وكان آخر أمرهما الخروج عن وادي آش إلى ملك المغرب معوّضين بقصر كتامة[112] وفي أيامه جاز السلطان

(109) في (م): مخنق أهل الأندلس وأيضاً في (ط).

(110) في (م): وأعيا داء الفتنة، وفي (ط): واعتياد الفتنة.

(111) في (م): وأبو حسن.

(112) في (ط): كتب بعده «حسبما يذكر في أسماتهم». وقصر كتامة يُطلق عليه القصر الكبير وهو الآن مدينة في المغرب الأقصى جنوب مدينة العرائش، وتبعد عن المحيط الأطلسي بمسافة 36 كم.

أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحقّ إلى الأندلس غازياً[113] ومجاهداً في سبيل الله في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة، وقد فسد ما بين ابن سلطان الروم وبين الملك أبيه، واغتنم المسلمون الغرّة، واستدعى السلطان ملك المغرب المذكور، ولحق به السلطان المترجم به، وجمع مجلسه بينه وبين المنتزين عليه من قرابته، وأجلت الحال عن وحشة.

وفي العام بعده كانت الوقيعة بالزعيم الكبير من زعماء الروم المسمَّى ذنونُة[114] واستئصال شأفته ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدوة، واحتل بمدينة طريف في أوائل ربيع الأول عام سبعة وسبعين وستمائة، ونازل أشبيلية، وكان اجتماع السلطانين بظاهر قرطبة؛ فاتصلت اليد، وصلحت الضمائر، ثم لم يلبث[115] الحال أن استحالت إلى الفساد؛ فاستولى ملك المغرب على مالقة بخروج المنتزي بها إليه يوم الأربعاء التاسع والعشرين لرمضان عام سبعة وتسعين وستمائة، ثم رجعت إلى ملكة السلطان بمداخلة من كانت لنظره إياه.

وعلى عهده نازل طاغية الروم الخضراء[116]، وأخذ بمخنقها، وأشرف على افتتاحها؛ فدفع الله عنها، ونَفَّس حصرها، وأحان أجفان الروم لبحرها[117] وعلى أيدي الفيئة القليلة من المسلمين؛ فعظم المنحُ[118]، وأسفر الليل، وانجلت الشدّة في وسط شهر ربيع الأول من عام ثمانية وسبعين وستمائة.

مولده: بغرناطة عام ثلاثة وثلاثين وستمائة، وتصيَّر إليه الملك[119].

وفاته: وفي ليلة الأحد ثامن شعبان من عام أحد وسبعمائة توفي على

(113) في (ك): «عازماً» وأيضاً في (ط).

(114) في (ش): «دنونه» بدال مهملة.

(115) في (م): تلبث.

(116) يقصد الجزيرة الخضراء في الجنوب من إسبانيا.

(117) في (ش): «وأجاز أجفان الروم ببحرها» وهي غير موجودة في (ط).

(118) في (م): معظم الفتح.

(119) جملة «يوم الأحد ثامن من شعبان من عام أحد وسبعمائة» ساقطة في (م) وفي المراكشية، وفي تحقيق الدكتور زينهم.

مصلاّه، متوجهاً لأداء فريضته على أتم الأحوال من الخشية والتأهّب ـ رحمه الله ـ زعموا أن شَرَقاً كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه؛ ودُفن منفرداً عن مدفن سلفه، شرقيَّ المسجد الأعظم في الجنان المتصل بدارهم، ثُني[120] بحافره السلطان أبي الوليد، ثم عُزّز بثالث كريم من سلالته، وهو السلطان أمير المسلمين أبو الحجاج ابنُ ابنِ ابنته، تغمد الله جمعهم بعفوه، وشملهم بواسع مغفرته وفضله، أنشدنا شيخُنا أبو الحسن بن الجيّاب[121] ـ رحمه الله ـ قوله يرثيه، ويهنئ وليَّ العهد ولده بتقلد أمره [المتقارب]:

مصاب جليل وصنع جميل ... وملك سعيد وأجرٌ جزيلْ
فذاك يُهيّج برح الأسى ... وهذا يُسكّن فرط الغليلْ
وكلُّ الأنام له باهتٌ ... وكلُّ فؤاد صحيح عليلْ
فمذ غاض بحر الندى لم تزل ... بحارٌ الدموع عليه تسيلْ
وحقَّ لأجفاننا أن تصوب ... وحقَّ لأجسادنا أن تحولْ
لئن ساءنا خطب ذاك المصاب ... لقد سرَّه وشك ذاك الرحيلْ
فمن قصره وإلى قصره ... فطاب مُعرَّسهُ والمقيلْ
تبدّل من نعمة تنقضي ... نعيماً مقيماً ونعم البديلْ
وعُوّض من زائل باقياً ... فها هو في نعمة لا تزولْ
فقل للمعادين موتوا أسىً ... وقل للموالين كفّوا العويلْ
فقد حلَّ حيث اشتهى وارتقى ... بأعلى محلّ وأسنى مقيلْ
وأولاه مولاه ما اختاره ... وقابل أعماله بالقبولْ
فما زال حزب الهدى في اعتزاز ... لديه وحزب الضلال الذليلْ
فَطَوْراً يسير إلى حربهم ... ففي كلّ فجّ دماءُ تسيلْ

(120) في (م): ثم ثني وكذلك في (ط).
(121) لم يثبتها ابن الخطيب في ترجمته له في **الإحاطة** 4: 125، وإنما انفرد بذكرها في هذا الكتاب **اللمحة البدرية**.

وطوراً يجهّز جيشاً لهم ... ففي كل حَزْنٍ وسهل رعيلْ
وخلَّف فينا الرضا العادل الإ ... مام السعيد الهمام الجليلْ
به ألَّف اللَّه شملَ الهُدى[122] ... وجدَّد ربع المعالي المحيلْ
ظلِلْنا لفقد إمام الهدى ... فكان لنا منه أهدى دليلْ
فقام لإعزاز دين الإله ... فكان له اللَّه نعم الوكيلْ
فصبراً لخطب يَهدُّ القوى ... وبشرى بهذا الفعال الجميلْ
فلولاك يا محيي المكرمات ... لما غادر الحزن منا العقولْ
ولولاك مَنْ للعُلى بعده ... وللصفح عن مذنب مستقيلْ
ومن للكفاح وسمر الرماح ... ومن للحسام اليمان الصقيلْ
ومن للعباد ومن للبلاد ... ومن للسماح وبذل الجزيلْ
ومن للأيادي وقتل الأعادي ... ويوم الجلاد العريض الطويلْ
وقد جَبَر[123] اللَّهُ صَدعَ القلوب ... بجارٍ على نهج تلك السبيلْ
بغيث العفاةِ[124] وَوَسْمِ العداة ... وأسعد كافٍ وأسنى كفيلْ
فأشرقت[125] الأرض من بعد ما ... تردَّت بغيهب ذاك الأُفولْ
وألبس أندلساً عدله ... جمالاً فليس لها من عديلْ
فدم للأنام كما تبتغي ... عليك من النصر ظلّ ظليلْ
وقابل جميع جيوش الأسى ... بصبرٍ يرد شباها قليلْ
ولا زلت في ملكك المعتلي ... وفي نعم ضافيات الذيولْ

---

(122) في (م): الهداة.
(123) في (ط): فقد جبر.
(124) العفاة: أصحاب الحاجة والمعسرون.
(125) في (ط): وأشرقت.

أمير المسلمين محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ثالث الملوك الكرام، يكنى أبا عبد الله

حالــه

كان من أعاظم أهل بيته صيتاً وهمّة، أصيل المجد، مليح الصورة، عزيز الإِمارة[126]، ميمون النقيبة، سعيد النصبة[127]، عظيم الإدراك، تهنأ العيش مدّة أبيه، وتملأ السياسة حياته، وباشر الأُمور بين يديه؛ فجاء نسيج وحده إدراكاً، ونبلاً وفخامة وبأواً، ثم تولّى الأمر بعد أبيه، فأجراه على ديدنه، وتقيّل سيرته، ونسج على منواله، وقد كان الدهر ضايقه في حصّة الصحّة، ونغّصه[128] مَلاذَّ الملك بزمانة[129] سدكت[130] بعينيه؛ لمواصلة السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، إذ كانت تُتخذ له منه جذوع في أجسادها مواقيت تخبرُ بانقضاء[131] ساعات الليل، ومضيّ الهزيع.

وعلى التزامه لكِنّه، وغيبوبته في كسر بيته؛ فقد خدمته السعود، وأمّلت بابه الفتوح، وسالمته الملوك، كانت أيامه أعياداً.

وكان يقرض الشعرَ، ويُصغي إِليه، ويثيب عليه، فيجيز الشعراء، ويرضخُ للندماء[132]، ويعرف مقادير العلماء، ويواكل الأشراف والرؤساء، ضارباً في كلّ اضطلاع[133] بسهم، ملياً من كلّ تجربة وحُنكة، حارَّ النادرة، حسن التوقيع، مليح الخطّ، يغلب[134] على خلقه الفظاظة والقسوة.

---

(126) في (م): عريق الإمارة، أي متوارثة لدى سلفه وكذلك كتبت في (ط).
(127) النصبة: من نصّب الشيء: نصبه، والأميرُ فلاناً ولاّه منصباً، أي سعد بالتولية.
(128) في (ط): ونقصه.
(129) الزمانة: المرض المزمن.
(130) سدكت: لازمت وحلّت، من قولهم: سدك بالشيء سَدَكًا وسَدْكاً: لزمه فهو سدك، وهي سدكة.
(131) في (ط): بانقضاء.
(132) الرضخ: الرفد والإعطاء. وفي (ط): ويرضخ الندماء.
(133) في (م): اصطلاح، وكذلك في (ط).
(134) في (ط): تغلب.

نادرتــه

أنشده يوم قعوده على سرير أبيه ثاني يوم وفاته أحدُ الشعراء في غرض التعزية والتهنئة، قصيدة أولُها [الوافر]:

علـى مـن تُـنشـر الـيـوم الـبـنـودُ وتـحـت لـواء مَنْ تـسـري الـجـنـودُ[135]

فقال له السلطان: على هذا الزَّبلَّح[136] الذي ترى قدّامك - يعني نفسه - فاستظرفها الناس، وخجل الشاعر.

شعــره

كان شعره مستظرفاً من مثله، لا بل يفضل به الكثير ممن ينتحل من الملوك الشعر، وقفت على مجموع منه ألّفه بعض خدّامه؛ فمن بعض المطوّلات [السريع]:

واعــدنــي وعــداً وقــد أخــلــفــا أقــلُ شــيء فــي الــمــلاح الــوفــا
وحــال عــن عــهــدي ولــم يــرعــه مــا ضــرّه لــو أنــه أنــصــفــا
مــا بــالــهــا لــم تــتــعــطــف عــلــى صــبّ لــهــا مــا زال مــســتــعــطــفــا
يــســتــطــلــع الأنــبــاء مــن نــحــوهــا ويــرقــب الــبــرق إذا مــا هــفــا
خــفــيــت ســقــمــاً عــن عــيــان الــورى وبــان حــبــي بــعــد مــا قــد خــفــى
لــلّــه كــم مــن لــيــلــة بــتُّــهــا أُديــر مــن ذاك الــلــمــى قــرقــفــا
مــنــعــتــنــي[137] بــالــوصــل مــنــهــا ومــا أخــلــفــت عــهــداً خــفــتُ أن يــخــلــفــا

ومنها:

---

(135) في (ش): «تمشي الجنود».

(136) قال الأستاذ محبُّ الدين الخطيب: «لم أجد تفسير «الزَّبلح» في **لسان العرب** ولا في **القاموس وشرحه**، وليست الآن في عامية المغرب، ولعلها من عامية الأندلس» أقولُ: والحقُّ أنها من عامية الأندلس، ويقصدون باللفظ «الأبله» أو «المغفَّل» وجمعه - كما جاء في أمثال العوام بالأندلس - زبلحون، والاسم زبلحة، وتجمع على زبالح، والكلمة واردة في **أزجال بن قزمان**، وفي **أمثال العوام بالأندلس** 2: 231.

(137) في (م): متعتني، وكذلك في (ط).

مــلــكــتــك الــقــلــب وإنــي امــرؤ ... عــلــيَّ مــلــك الأرض قــد وقــفــا
أوامــري فــي الــنــاس مــســمــوعــة ... ولــيــس مــنــي فــي الــورى أشــرفــا
يُرهف سيفي في الوغى مصلتاً ... ويُــتــقــى عــزمــي إذا أرهــفــا
وتــرتــجــى يــمــنــاي يــومَ الــنــدى ... تــخــالــهــا الــســحــبُ غــدت وكــفــا
نــحــنُ مــلــوك الأرض مــن مــثــلــنــا ... حــزنــا تــلــيــدَ الــفــخــر والــمــطــرفــا
نُــخــاف إقــدامــاً ونــرجــى نــدىً ... لــلّــه مــا أرجــى ومــا أخــوفــا
لــي رايــة فــي الــحــرب كــم غــادرت ... ربــع الــعــدى قــاعــاً بــهــا صــفــصــفــا
يــا لــيــت شــعــري والــمــنــى جــمّــةٌ ... والــدهــر يــومــاً قــد يُــرى مــنــصــفــا
هــل نــرتــجــي الــيــوم تــدانــيــكــمُ ... أو يــصــبــح الــدهــر بــه مــســعــفــا[138]

مناقبــه

وأعظم مناقبه ابتناء المسجد الأعظم بالحمراء من غرناطة على ما هو عليه من الظرف والتنجيد والترقيش[139] من فخامة العمد، وإحكام أتوار[140] الفضة، وإبداع ثرياتها، ووقف عليه الحمام بإزائه، وأنفق فيه مال جزية أغرمها من يليه من الكفّار فدوا بها زرعاً جهّز جيشاً صائفة لانتسافه[141]، وقد أهمتهم فتنة، فظفر بها منقبة يتيمة، ومعلوة فذّة وفاق بها من تقدّمه أو تأخره من قومه.

جهــاده

أغزى الجيش لأول أمره مدينة المنظر؛ فاستولى عليها عنوة، وتملك من اشتملت عليه، ومنهم[142] العِلْجة[143] صاحبة المدينة من أفراد عقائل الروم؛

(138) ساقط في (ق).
(139) الترقيش: النقش والزخرفة والتزيين.
(140) الأتوار: المواعين والأواني.
(141) لإهلاكه وتدميره، وفي (ش): «لانتسائه».
(142) في (م) و(ط): ومن جملتهم. وفي (ش) كما في (ق): ومنهم.
(143) العلجة: العلج في أصل اللغة هو كل جافٍ شديد من الرجال، أو الشديد الكثير =

فقدمت الحضرة في جملة من السبي: نبيهة المركب، ظاهرة الملبس، رائعة الجمال، خصَّ بها ملك المغرب؛ فاتخذها ـ زعموا ـ لنفسه، وكان هذا الفتح عظيماً، والصيت لأجله بعيداً.

وزراؤه

أبقى على خطة الوزارة وزير أبيه، وهو الشيخ الوزير أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني متبرماً بحياته، وتمادى أمره برهة[144] ثم أنهض للوزارة كاتبه وكاتب أبيه الوزير الصدر، الحاج المحدّث أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي الرندي ـ وقد مرَّ ذكره ـ في ذي قعدة من عام ثلاثة وسبعمائة، وصرف إليه تدبيره، وألقى في يده أزمّة الملك؛ فلم يلبث أن تغلَّب على أمره، وتقلَّد كافة شؤونه.

كُتَّابـــه

استقلَّ برياسة القلم الأعلى وزيره، وكان كتّابه[145] جملة تباهي بهم الدول أدباً وتفنناً وفضلاً وظرفاً؛ كشيخنا تلوه ولي[146] الرتبة الكتابية بعده، وفاضل الخطة على أثره، وغيره ممن يشار إليه في تضاعيف الأسماء كالشيخ الفقيه القاضي أبي بكر بن شبرين، والوزير الكاتب أبي عبد الله بن عاصم، والفقيه الأديب أبي إسحاق بن جابر، والوزير الشاعر المفلق أبي عبد الله بن اللوشي، والرئيس أبي محمد الحضرمي والقاضي أبي الحجاج الطرطوشي، والشاعر المكثر أبي العباس بن القراق[147].

= الصرع لأقرانه، ثم تعارف الناس أن العلج والعلجة والعلوج من ينتمون إلى غير العرب من النصارى، والعلجة في السياق إحدى بنات النصارى من الصقلبيات والغليسيات.

(144) البُرهة: في أصل اللغة: المدّة من الزمان جمعها: بُرَه.

(145) في (ش): «ببابه»، وكذلك في (ط).

(146) في (م): تلوه في الرتبة.

(147) أبو العباس بن القرّاق: كان من كتّاب السلطان الثالث محمد بن محمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي وشعرائه، ووصفه ابن الخطيب في **الإحاطة** بـ«الشاعر المكثر أبي العباس القراق».

قضاتــه

استمرت ولاية قاضي أبيه الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن هشام الألشي، قاضي العدل، وخاتمة أولي الفضل إلى أن توفي عام أربعة وسبعمائة، وتولّى له القضاء القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي المنبَّز بابن فركون[148].

من كان من الملوك على عهده

وأول ذلك بفاس: كان ملكاً بها على عهده السلطان الرفيع القدر، السامي الخطر، المرهوب الشبا، المستولي في العزِّ وبُعد الصيت على المدى، أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحقّ، وهو الذي وطّد الدولة، وجبى الأموال العريضة، واستأصل من يتّقي شوكته[149] من القرابة وغيرهم، وجاز إلى الأندلس في أيام أبيه وبعده غازياً، ثم حاصر تلمسان، وهلك عليها في أوائل ذي قعدة عام ستة وسبعمائة.

ثم صار الملك[150] إلى حافده أبي ثابت عامر ابن الأمير أبي عامر[151] عبد الله بن يوسف بن يعقوب بعد اختلاف وقع، ونزاع انجلى الأمر فيه عن قتل جماعة من أكابرهم، منهم الأمير أبو يحيى ابن السلطان أبي يوسف، والأمير أبو سالم ابن السلطان أبي يعقوب، واستمرَّ الأمر للسلطان[152] أبي ثابت إلى شهر صفر عام ثمانية وسبعمائة؛ وصار الأمر بعده إلى أخيه السلطان أبي الربيع سليمان تمام ملكه، وصدراً من دولة أخيه نصر بعده، حسبما يذكر.

(148) أبو جعفر أحمد بن فركون: من أسرة علم وأدب، وقد ترجم له ابن الخطيب في كتاب **الإحاطة** I: 220 فقال: «شعلة من شعل الذكاء والإدراك» وأنه «بذَّ أقرانه كفاية، وسما إلى المراتب». وقد كان ابنه أبو الحسين أحمد بن سليمان شاعراً مثل أبيه. راجع: ما كتبه عنه محقق ديوانه الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة.

(149) في (ط): من يتقي لشوكته.

(150) في (ش): «الأمر» وكذلك في (ط).

(151) كنية أبي عامر ساقطة في (ق).

(152) في (م): بالسلطان.

وبتلمسان: الأمير أبو سعيد عثمان بن يغمراسن، ثم (أخوه أبو زيان ثم أبوه)[153] الأمير أبو حمو، ثم ولده الأمير أبو تاشفين عبد الرحمن إلى آخر مدّته.

وبتونس: كان أميراً بتونس على عهده السلطان الفاضل أبو عبد الله محمد ابن الواثق بالله[154] يحيى بن المستنصر أبي عبد الله ابن الأمير أبي زكريا ابن أبي حفص من أُولي العفّة والتؤدة والفضل والحشمة والعقل والعناية بالصالحين، اختص منهم بأبي محمد المرجاني[155] فظهرت عليه بركته إلى أن هلك في ربيع الآخر عام تسعة وسبعمائة، ووقعت بينه وبين هذا الأمير المترجم به من بني نصر المراسلة والمهاداة، وفي ذلك يقول شاعره من قصيدة مطوّلة في المدح [السريع]:

ولتفتخر أندلس أنَّها ... بعدله المشهور دار القرارْ

بسعده دانت لها[156] تونس ... فاعتمدتها بالهدايا الكبارْ

واتحفت قولاً وفعلاً بما ... قد ألبس الأعداء ثوب الصَّغارْ

وخلّدته أثراً باقياً ... مشتهراً في الأرض أي اشتهارْ

وبقشتالة: كان على عهده من ملوك قشتالة هراندة بن شانجة بن ألفونش بن هراندة، هلك أبوه ـ كما تقدّم ـ وتركه صغيراً مكفولاً على عادتهم، فتنفس المخنق، وانعقدت السلم، واتصل الأمان، مدّة أيامه، وهلكَ في دولة أخيه.

وبرغون: الطاغية جايمش بن الهونشة[157] بن بطْرُة.

---

(153) ما بين القوسين في (ق) و(ك) وساقط في (ش).

(154) راجع: ابن الشمّاع **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، وابن القنفذ **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، وكتاب **تاريخ أفريقية في العهد الحفصي** لروبار برنشفيك، ومحمد العروسي المطوي **السلطنة الحفصية**.

(155) هو عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الملك بنْ عبد الله البكري التونسي الإسكندري المشهور بالمرجاني، ولد بالإسكندرية، وأصل سلفه بتونس التي توفي بها أصحاب أبي الحسن الشاذلي، واشتهر بالفِقه والتصوف، راجع ترجمته في: **سبك المقال لفك العقال** لابن الطوّاح بتحقيقنا: 117، **شذرات الذهب**، **تراجم المؤلفين التونسيين** 4: 300، **توشيح الديباج**: 311.

(156) في (ك): دانت له.

(157) في (ش): «الهوانش» وكذلك في (ط).

بعض الأحداث

في عام ثلاثة وسبعمائة ثار عليه قريبه الرئيس أبو الحجاج بن نصر بمدينة وادي آش، وبادره فتغلّب عليه فقتله صبراً بيد أحد بني عمّه.

وفي شوال من عام خمسة وسبعمائة قرع الأسماع النبأُ العظيم[158] من تملكه مدينة سبتة[159] وحصولها في قبضة ملكه، وانتزاعها من يدي رئيسها أبي طالب عبد الله، ابن الرئيس أبي القاسم بن أبي العباس العزفي[160] فاستولى عليها، واستأصل ما كان لرؤسائها من الخزائن والذخائر، ونقلهم ـ وهم عدّة ـ إلى حضرته فكان ذلك غُرّة المحرم من العام بعده، ودخلوا عليه، وقد احتفل الملك، واستركب في الأهبة الجند، فلثموا أطرافه، واستعطفته شعراؤهم بالمنظوم من القول، وخطباؤهم بالمنثور منه؛ فأنشد يومئذٍ الرئيس أبو العباس أخوهم [البسيط]:

لكم حمى من فؤادي غير مقروبِ ... فضائعٌ في هواكم كلُّ تأنيبِ

إن كان ما ساءني مما يسرّكم ... فعذِّبوا، فقد استعذبت تعذيبي

قصيدة شهيرة، فطامنَ روعهم، وسكَّن جاشهم، وأسكنهم في جواره، وأجرى عليهم الأرزاق الهلالية[161] وتفقدهم في الفصول إلى أن كان من أمرهم ما هو معلوم[162].

---

(158) في (م): النبأ الغريب، وكذلك في (ط).

(159) مدينة سبتة: من مدن المغرب الأقصى الساحلية قرب طنجة وتطوان، وهي محتلة اليوم من قبل إسبانيا. راجع في أخبارها كتاب: **الحركة العلمية في سبتة** للأستاذ إسماعيل الخطيب، و**بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب** لمؤلف مجهول، و**تاريخ سبتة** لمحمد بن تاويت.

(160) كلاهما من أسرة العزفي وهي من الأسر الحاكمة المتدينة راجع المراجع المذكورة سلفاً، وما كتبه عنها الأستاذ الدكتور إبراهيم حركات في كتابه **المغرب عبر التاريخ** وبحثه في العدد الخاص بسبتة بعنوان «إمارة بني العزفي وأوضاع سبتة أيام حكمهم».

(161) الأرزاق الهلالية: أراد الرواتب أو المعاشات الشهرية.

(162) وهو ما يشير إليه فيما بعد في سياق الحديث عن سلطنة هذا السلطان.

خلعــه

وفي يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة تمت الحيلة عليه، وأُحيط به، وهو زَمِنٌ مُصاب بعينه، مُقعَد في كنّه، داخلت طائفة منهم من كبار الدولة[163] أخاه ففتكت بوزيره أبي عبد الله بن الحكيم، ونصبت للناس أخاه المذكور نصراً، وكُبس منزل السلطان؛ فأحيط به، وجعل عليه الحرس، وتسومع بالكائنة؛ فوقع البَهتُ، وسالَ من الغوغاء البحرُ؛ فتعلّقوا بالحمراءِ يسألون عن الحادثة؛ فشغلوا بإنهاب دور الوزير الكائنة بالربض[164]، وبها من مال وذخيرة وكتب وأثواب وسلاح وفرش وآنية وخُرثى[165] ما يفوت الوصفَ؛ فكان الفجع في إضاعته على المسلمين عظيماً، وانطلقت عليه الأيدي الخبيثة، وفي آخر اليوم المذكور أُدخل على السلطان قوم من الفقهاء أشهدهم بخلع نفسه، ونقل إلى القصر المنسوب إلى السيّد بخارج الحضرة، أقام به يسيراً، ثم نقل إلى مدينة المنكّب.

وفاتــه

وفي أخريات شهر جمادى الآخرة من عام عشرة وسبعمائة، أصابت السلطان نصراً سكتة[166] تُوقّع منها موته، بل شُكَّ في حياته، فوقع التفاوض الذي تمخّض عن التوجيه عن السلطان أبي عبد الله إلى محل اعتقاله بالمنكّب؛ ليعود له الأمر فكان ذلك، وأُسرع به إلى غرناطة في محفَّة؛ فكان حُلوله بها في غرّة شهر رجب من العام المذكور، وأفاق أخوه من مرضه ولم يتمّ الأمر، فنقل من الدار التي كان بها، ثم شاعت وفاته أوائل شَوَّال من العام؛ فذكر أنّه اغتيل تغريقاً في البركة بها، لما توقع من عادية جواره، ودفن بمقبرة السبيكة مدفن قومه، وبجوار الغالب بالله جدِّه، ونوّه بجدته، وعليه مكتوب ما نصّه من جانب:

---

(163) في (م) و(ط): داخلت طائفة من كبار الدولة، ولا يستقيم بذلك المعنى، إذ مقصود المؤلف أن طائفة من العزفيين، داخلت من كبار الدولة النصرية في عهد هذا السلطان أخاه.

(164) الربض: سور المدينة ومأوى الغنم وكلُّ ما يؤوى إليه، ويستراح لديه.

(165) الخرثى: هي أثاث البيت ومتاعه.

(166) في (م): أصابت السلطان سكتة.

«هذا قبر السلطان الفاضل، الإمام العادل، علم الأتقياء، أحد الملوك الصلحاء، المُخبت[167] الأوّاه[168] المجاهد في سبيل الله، الرضي الأروع الأخشى لله الأخشع، المراقب لله في السرِّ والإعلان، المعمور الجنان بذكره واللسان، السالك ـ في سياسة الخلق وإقامة الحقّ ـ منهج التقوى والرضوان، كافل الأُمة بالكرامة والحنان، الفاتح لها ـ بفضل سيرته وصدق سريرته ونور بصيرته ـ أبواب اليمن والأمان، المنيب الأواب، العامل بكلٍّ ما يجده نوراً مبيناً يوم الحساب، ذي الآثار السنية، والأعمال الطاهرة العليّة، القائم في جهاد الكفار بماضي العزم وخالص النيّة، مقيم قسطاس العدل، منير منهاج الحلم[169] والفضل، حامي الذمار، وناصر دين المصطفى المختار، المقتدي بأجداده الأنصار، المتوسّل بما أسلفوه من أعمال البرّ والجهاد، ورعاية البلاد والعباد إلى الملك الغفّار، أمير المسلمين، وظهير المؤمنين، وقامع المعتدين، المنصور بفضل الله أبي عبد الله ابن أمير المسلمين السلطان الأعلى إمام الهدى، غمام الندى، محيي السنّة، مُعزّ[170] الملّة المجاهد في سبيل الله، الناصر لدين الله، أبي عبد الله ابن أمير المسلمين[171] الغالب بالله أبي عبد الله بن يوسف بن نصر ـ كرّم الله مثواه، ونعّمه برضاه ـ ولد ـ رضي الله عنه ـ في يوم الإربعاء الثالث لشعبان المكرّم من عام خمسة وخمسين وستمائة، وتوفي ـ قدّس الله روحه، وبرّد ضريحه ـ ضحوة يوم الإثنين الثالث لشوّال عام ثلاثة عشر وسبعمائة ـ رفعه الله إلى أعلى منازل أوليائه الأبرار، وألحقه بأئمة الحق الذين لهم عقبى الدار ـ وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما».

ومن الجانب الآخر [الطويل]:

(167) المخبت: الخاشع المتواضع قال تعالى: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي خشعوا وتواضعوا لله.

(168) الأوّاه: الكثير التأوه، ويقال فلان متأله ومتأوّه أيْ شديد الخشية من الله، وفي القرآن الكريم ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

(169) في (م): منهاج العلم.

(170) في (ط): مقر الملّة.

(171) في (ط): أمير المؤمنين.

رضى الملك الأعلى يروح ويغتدي على قبر مولانا الإمام المؤيدِ

مقر العُلى والملك والبأس والندى فقدّس من مغنى كريم ومشهدِ

ومثوى الهدى والفضل والعدل والتقى فبورك في مثوى[172] زكي ومَلْحَدِ

فيا عجباً طود الوقار جلالة ثوى تحت أطباق الصفيح المنضدِ

وواسطة العقد الكريم الذي له مآثر مجد بين مثنى وموحدِ

محمدٌ الأرضى سليل محمدٍ إمام الهدى نجل الإمام محمدِ

فيا نخبة الأملاك غير منازع ويا علم الأعلام غير مفنّدِ

بكتك بلادٌ كنت تحمي ثغورها بعزم أصيل أو برأي مسدّدِ

وكم معلم للدين أوضحت رسمه ينالك[173]في الفردوس أرفع مصعدِ

كأنك ماسست البلاد وأهلها بسيرة ميمون النقيبة مُهتدِ

كأنك ما قدتَ الجيوشَ إلى العدا فصيرتهم نهب القنا المتقصّدِ[174]

وفتّحت من أقطارهم كلَّ مبهم فتحت بها باب النعيم المخلّدِ

كأنك ما أنفقت عمرك في الرضا بتجديد غزوٍ أو بتشييد مسجدِ

وإنصاف مظلوم وتأمين خائف وإصراخ مذعور وإسعاف مجتدِ

كأنّك ما أحييت للحقّ سنّةً تجادلُ عنها بالحسام المهنّدِ

فإن تجهل الدنيا عليك وأهلُها فذاك ثوابُ اللّه يلقاك في غدِ

تعوّضت ذخراً من مقام خلافة مقام منيب خاشع متعبّدِ

وكلُّ الورى من كان أو هو كائنٌ صريعُ الردى إن لم يجز فكأن قدِ

فلا زال جاراً للرسول محمَّدٍ بدار نعيم في رضا اللّه سَرْمَدِ

وهذي القوافي قد وفيت بنظمها فيا ليتَ شعري هل تصيخ لمنشدِ[175]

(172) في (ط): من مثوى.

(173) يبتدئ عجز البيت في (م): بنى لك.

(174) القنا المتقصد: أي الرماح الصائبة التي لا تخطئ المقاتل.

(175) هذا البيت الأخير لم يُذكر في (ط).

أمير المسلمين نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر الأمير بالأندلس بعد أخيه وأبيه يُكنى أبا الجيوش

حالـــه

كان فتىً ملأ العيون حسناً وتمام صورة، دمث الأخلاق، ليّن العريكة، عفيفاً، محولاً على طلب الهدنة، محباً في الخير وأهله، آخذاً من صناعة التعديل[176] بحظ رغيب، يخطُّ التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة الظريفة، ويصنع الآلات العجيبة بيده، اختص في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرقّام[177] وحيد عصره، فجاء وحيد دهره، ظرفاً وإحكاماً، وكان حسن العهد، كثير الوفاء، حمله الوفاء على اللجاج في أمره[178] وزيره المطلوب بعزله على الاستهداف للخلع، تقدَّم يوم خلع أخيه ـ يوم الفطر من عام ثمانية وسبعمائة ـ وسنُّه ثلاث وعشرون سنة؛ فكان من تمام الخلق، وجمال الصورة والتأنُّق في رفيع اللباس، وملوكي البزّة[179] آيةً من آيات خالقه، واقتدى مرسوم[180] أبيه وأخيه، وأجرى الألقاب والعوائد لأول دولته، وكانت أيامُه ـ كما شاءَ الله ـ أيام نحس مستمر، شملت المسلمين فيها الأزمة، وأحاط بهم الذعر، وكلب العدو وسيمر من ذلك ما فيه كفاية[181]، وكان فتىً أيَّ فتى لو ساعده الجَدُّ، والأمر لله من قبل ومن بعد.

وزراؤه[182]

وزر له مقيم أمره، ومُحكم التدبير على أخيه الوزير القائد أبو بكر عتيق بن

---

(176) صناعة التعديل: يراد بها الفلسفة والتنجيم والفلك وعلم النجوم.

(177) أبو عبد الله بن الرقّام يلقب بالأستاذ شيخ يحيى بن أحمد هذيل التجيبي شيخ المؤلف وقد لازم يحيى أستاذه هذا كثيراً.

(178) في (م): في أمر وزيره وكذلك في (ط).

(179) يشير بذلك إلى تأنقه في لباسه المتميز الذي كان علامة دالة على الملك.

(180) في (م): واحتذى مرسوم، وفي (ط): برسوم أبيه وأخيه، وهو الأصح.

(181) في (م): ما فيه الكفاية.

(182) في (م) و(ط): زيادة عن أصل المخطوط: وزراء دولته.

محمد بن المَوْل، الشهم النجد، وبيت بني قوْل بقرطبة بيت أصالة، ولما تغلَّب ابن هود اختفى بها أبوه أياماً؛ فلمّا تملكها[183] السلطان الغالب بالله تلك البرهة، خرج إليه، وصحبه إلى غرناطة، فاتصلت قرباه بعقده على بنت الرئيس أبي جعفر المنبز بالفجلّب[184] ابن عم السلطان، واشتدَّ عضده، ثم تأكّدت القُربى بعد بعقد مولِ أخي هذا الوزير على بنت الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد منجب هؤلاء الملوك الكرام. قام بأمره، واضطلع بأعباء سلطانه، إلى أن كان من تغلّب أهل الدولة عليه، وإخافة سلطانه منه ما أوجب صرفه إلى المغرب في غَرض الرسالة[185] وأُشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب، فكان صرفاً حسناً.

وتولَّى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج، الميسّر لخلعه، واجتثاث أصله وفرعه، وكان خباً داهية[186] أعلم الناس بأخبار الروم وسيرهم وآثارهم، فحدثت بين السلطان وأهل حضرته الوحشة بسببه.

كُتَابه

شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب، نسيج وحده، إلى آخر مدّته.

قضاته

أقرَّ على خطة القضاء بحضرته قاضيَ أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر بن القرشي المنبَّز بابن فركون، وقد تقدَّم ذكره.

من كان من الملوك على عهده[187]

من ذلك:

بالمغرب: كان على عهده بالمغرب السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن

(183) في (م): فلما تملّك.

(184) تقدّم ذكره وفي النسخة (ط): يكتب بالمخلب أو المخِلب.

(185) يقصد في غرض السفارة حاملاً فيها الرسالة عن سلطانه إلى الدولة المرينية في المغرب الأقصى.

(186) الخِبُّ: الخادع الغاش وفي الحديث: «لا يدخل الجنة خبٌّ ولا خائن». وفي المَثَل: «ليس أمير القوم بالخب الخدع».

(187) في (م): من كان على عهده من الملوك.

أبي يعقوب يوسف[188] بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، تصيّر الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأحواز طنجة في صفر عام ثمانية وسبعمائة، وكان مشكور الولاية، وفي دولته عادت سبتة إلى الإيالة المرينية، ثم توفي بتازة[189] في مستهل شهر رجب من عام عشرة وسبعمائة.

وتولّى الملك بعده عمُّ أبيه السلطان الجليل الكبير، خدنُ العافية، وولي السلامة، وممهّد الدولة، أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، واستمرّت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، وكثير من أيام من بعده.

وبتلمسان: الأمير أبو حمو موسى بن عثمان[190] بن يغمراسن، المثل السائر في الحزم والتيقظ والمشاحّة وصلابة الوجه[191]، وإحكام القحّة، والإغراب في السيرة، واستمرَّت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعمائة، إلى أن سطا به ولده عبد الرحمن أبو تاشفين[192].

وبتونس: الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن المستنصر أبي عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص بن عبد الواحد ثم توفي في شهر ربيع الآخر من عام تسعة وسبعمائة؛ فولي الأمر قريبُه الأمير أبو بكر بن عبد الرحمن ابن الأمير أبي يحيى زكرياء ابن الأمير أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص[193]، ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد، والتقيا[194] بأرض

---

(188) في (م) زيادة: يوسف بن أبي يوسف.

(189) كتبت في المخطوط وفي (ط): تازى، وتعورف على كتابتها الآن تازة بالتاء المربوطة. وهي بالمغرب الأقصى تقع في شرق فاس بنحو 127 كم.

(190) في (م): بن عمران.

(191) في (ط): وطلاقة الوجه.

(192) راجع: **الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى** للناصري، **وبغية الرواد في ذكر الملوك بن بني عبد الواد** لأبي زكريا يحيى بن خلدون.

(193) راجع: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، والأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية** لابن الشماع، **وتاريخ أفريقية في العهد الحفصي**.

(194) في النسخة (ط): و«التقيا بأرض تونس فهزم».

تونس؛ فهُزم أبو بكر بن عبد الرحمن، ونجا بنفسه؛ فدخل بستاناً لبعض أهل الخدمة مختفياً فيه، فسُعي به إلى أبي البقاء؛ فجيء به إليه فأمر بعض القرابة بقتله صبراً، وتمَّ الأمر لأبي البقاء في رابع جمادى الأُولى منه، إلى أن وصل[195] الشيخ أبو يحيى زكرياء بن أحمد المعروف باللحياني[196] من المشرق، وهو كبير آل أبي حفص إذ ذاك سناً، وقدراً؛ فأقام بأطرابُلس[197] وأنفذ إلى تونس خاصته الشيخ أبا عبد الله المزدوري محارباً لأبي البقاء، وطالباً للأمر؛ فتمَّ له الأمر، وخُلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة، وتمَّ الأمر للشيخ أبي يحيى، واعتقل أبو البقاء فلم يزل معتقلاً إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ودفن بالجبَّانة المعروفة عندهم بالزلاَّج بضريحه[198] فيما تعرفنا بإزاء ضريح المظلوم أبي بكر، لا فاصلَ بينهما، «وعند الله تجتمع الخصوم»[199].

واتصلت أيام الأمير أبي يحيى إلى أن انقرضت مُدَّة الأمير أبي الجيوش، وقد تضمَّن الإلماع ببعض ذلك الرجز من نظمنا[200]، فمنه فيما يختص بذكر ملوك المغرب في ذكر السلطان أبي يعقوب [الرجز]:

ثم تقضَّى معظم الزمان	مواصلاً حصر بني زيان
حتى أتى أهل تلمسان الفرج	ونشقوا من جانب اللطف الأرج

(195) قال محبُّ الدين: في نسخة الإسكوريال «خل» وفي هامشها «وصل» كما في متن المراكشية.

(196) راجع في ذلك: **تاريخ أفريقية في العهد الحفصي** لبرنشفيك، **وسبك المقال** بتحقيقنا، **وخلاصة تاريخ تونس** لحسن عبد الوهاب، **ورحلة التجاني** بتحقيقه، **والأدلة البينة** لابن الشماع.

(197) أطرابلس وطرابلس: هي طرابلس الغرب التي تسمّى اليوم عاصمة «ليبيا» وهي مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقد فتحها الفاتح عمرو بن العاص سنة 21هـ.

(198) مقبرة الزلاج: جبانة بأحواز العاصمة التونسية لا تزال تعرف إلى اليوم بهذه التسمية، وهي مدفن لكبار العلماء والفقهاء والصلحاء والحكام.

(199) شطر بيت شعر من شعر الشواهد. صدره «إلى الديّان يوم العرض نمضي».

(200) في النسخة (ط): من نظمي.

وهذا النظم هو المعروف بـ **رقم الحلل في نظم الدول**، يقع في ألف بيت في مجلد واحد، طبع بتونس سنة (1316/1898).

لـمـا تـرقّـى درج الـسـعـد درج فانفضّ ضيق الحصر عنها وانفرج
وابـن ابـنـه وهـو الـمـسـمَّى عـامـرا أصـبـح بـعـدُ نـاهـيـاً وآمـرا
وكـان لـيـثـاً دامـي الـمـخـالـب يـقـلِّـب[201] الأمـر بـجـدّ غـالـب
أبـاح بـالـسـيـف نـفـوساً عِـدَّة فـلـم تـطـل فـي الـمـلـك منه المدّة
ومـات حـتـفَ أنـفـه واخـتـرمـا ثـم سـلـيـمـان عـلـيـهـا قـدّمـا
أبـو الـربـيـع دهـره ربـيـعُ يُـثـنـي عـلـى سـيـرتـه الـجـمـيـع
حتى إذا الـمـلـك سـلـيـمـان قـضـى تـصـيَّـر الأمـر لـعـثـمـان الـرضـا
فـلاح نـور الـسـعـد فـيـهـا وأضـا ونُـسـي الـعـهـدُ الـذي كـان مـضـى

وفيما يختصّ ببني زيّان بعد ذكر أبي زيّان[202]:

حـتـى إذا اسـتـوفـى زمـان سـعـده قـام أبـو حـمـو بـهـا مـن بـعـده
وهـو الـذي سـطـا عـلـيـه ولـده حـتـى انـتـهـى عـلـى يـديـه أمـده
وأخـذ الله لـه بـالـثـار وكـلُّ نـظـم فـإلـى انـتـشـار

وفيما يَختصُّ بآل أبي حفص بعد ذكر جملة في نسق:

ثـمُ الأمـيـر والـشـهـيـد خـالـد[203] هـيـهـاتَ مـا فـي الـدهـر حـيٌّ خـالـد
وزكـريـاء بـهـا بـعـد ثـوى ثـم نـوى الـرحـلـةَ عـنـهـا والـنـوى
وحَـلَّ بـالـشـرق وبـالـشـرق ثـوى وربـمـا فـاز امـرؤ بـمـا نـوى

ومن ملوك النصارى بقشتالة: هراندة بن شانجة بن الهونشة[204] بن هراندة بن شانجة. ونازل على عهده الجزيرة الخضراء ثم أقلع عنها عن شروط وضريبة ثم

(201) في (ك): «تغلّب»، وكذلك في (ط).
(202) راجع: كتاب **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** تأليف أبي زكريا يحيى بن خلدون، و**المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب** للبكري، و**نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب** لابن الخطيب، وكتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر** لابن خلدون، و**التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**.
(203) في النسخة (ط): ثم الشهيد والأمير.
(204) في (م): الفونشة.

نازل في أخريات أيامه حصن القبذاق وأدركه الموت[205] بظاهره فاحتمل من المحلة إلى جيان، وبقيت المحلة منيخة على الحصن إلى أن تملك بعد موت الطاغية بعد أيام ثلاثة إذ كُتِم موته. ولموته حكاية غريبة تضمنها كتاب **طرفة العصر** من تأليفنا[206].

وقام بعده بأمر النصرانية ولده الهونشة واستمرت أيامه إلى عاشوراء من عام خمسين وسبعمائة.

وبرغون: جايمش بن بطرة، وهو الذي نازل على أيامه مدينة المرية وشد[207] حصارها وهزم جيش المسلمين بخارجها إلى تمام أيامه وصدراً من أيام بعده.

بعض الأحداث في أيامه

نازل على أول أمره طاغية قشتالة الجزيرة الخضراء في الحادي والعشرين لصفر من عام تسعة وسبعمائة، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، ثم أقلع عنها بعد ظهوره على جبل الفتح وفوز قداحة به، ونازل صاحب برجلونة مدينة المرية غرة ربيع الأول من هذا العام وأخذ بمخنقها وتفرقت الظباء على خراش[208] ووقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقعة كبيرة واستمرت المطاولة إلى أخريات شعبان، ونفس الله الحصر وفرج الكرب. وما كاد أهل الأندلس ينشقون[209] ريح العافية حتى نجم شهاب الفتنة ونشأت ريح الخلاف واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها واستهدف إلى رعيتها بإيثار النصارى والطاغية إلى العدو،

---

(205) في (م): وأدركه ألم الموت.

(206) هذا الكتاب من أوائل الكتب التي حررها في زمن شبابه، وقد أرّخ فيه للدولة النصرية، وأخبار ملوكها. والكتاب مفقود.

(207) في (م): وشهد حصارها، وفي نسخة (ك): «شد».

(208) في (م): خدارش وهو خطأ، إذ هو استدعاء لشخصية خراش الوارد في قول الشاعر:

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

(209) في (م): ينتشقون، وفي (ط): ينشقون.

وأظهر الرئيس ابن عم الأب صاحب مالقة أبو سعيد بن إسماعيل صنو الغالب بالله تعالى الامتساك بما في يده[210] والدعاء لنفسه وقدم ولده الدايل إلى طلب الملك وثار أهل الحضرة يوم الخامس والعشرين من رمضان هذا العام وأعلن منهم من أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير وخبطوا عشواء ونزل الحشم فلاذ الناس منهم بديارهم وبرز السلطان إلى باب القلعة متقدماً بالعفة عن الناس وفر الخاسرون عن القناع فلحقوا بالسلطان أبي الوليد بمالقة واستنهضوه إلى الحركة وقصد الحضرة[211]، وأجابهم وتحرك فأطاعته الحصون بطريقه واحتل خارجها صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين لشوال من العام، فابتدره الناس من صائح ومشير بثوبه ومتطارح بنفسه، فدخل البلد من ناحية ربض البيازين[212] واستقر بالقصبة القديمة[213] تجاه الحمراء. وفي ظهر يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر كان دخوله دار الملك، وانفصل السلطان نصر إلى مدينة وادي آش موفًى له شرطه في الاستبداد بها وتعيين مال خاص وغير ذلك. ورحل ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة واستمرت الحال بين حرب ومهادنة إلى حين وفاته.

وفاتــه

تُوفي رحمه الله ليلة الأربعاء سادس ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة بوادي آش، ودفن بجامع القصبة منها. ثم نقل في أول ذي حجة منه إلى الحضرة وبرز السلطان والجمع الكثير من الناس وصُلّي عليه[214] بالمصلى العيدي إثر صلاة العصر من يوم الخميس السادس من الشهر، وَوُرِيَ بتربة جده من مقبرة السبيكة، وكان يومه من الأيام المشهودة، وعلى قبره:

«هذا قبر السلطان الرفيع المقدار، الكريم البيت العظيم النِّجار، سلالة

(210) في (ط): بما بيده.
(211) في (ط): وقصد الحركة.
(212) ربض البيازين: أحد أرباض غرناطة وأكثرها أهمية، ومن الباحثين من يسميه «ربض البياسين» نسبة إلى بياسة أما البيازين فنسبة إلى عناية أهله بتربية البزاة.
(213) في (م) و(ط): بالقصبة القدما، وفي نسخة (ك): القديما.
(214) في (م): وصلي على سريره، وكذلك في النسخة (ط).

الملوك الأعلام الأخيار، الصريح النسب في صميم الأنصار[215] الملك الأوحد الذي له السلف العالي المنار، في الملك المنيع الذمار، رابع ملوك بني نصر أنصار دين المصطفى المختار، المجاهدين في سبيل الملك الغفار، الباذلين في رضاه كرائم الأموال ونفائس الأعمار، المعظم المقدس المرحوم أبي الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى، الهمام الأسمى، المجاهد الأحمى، الملك العادل، الطاهر الشمائل، ناصر دين الإسلام ومبيد عبدة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدس المرحوم أمير المسلمين أبي عبد الله، ابن السلطان الملك الجليل الشهير مؤسس قواعد الملك على التقوى والرضوان وحافظ كلمة الإسلام وناصر دين الإيمان، الغالب بالله المنصور بفضل الله، المقدس المرحوم أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر، تغمده الله برحمته وغفرانه، وبوأه منازل إحسانه، وكتبه في أهل رضوانه. كان مولده في يوم الإثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظَّم عام ستة وثمانين وستمائة وبويع في يوم الجمعة غرة شوال عام ثمانية وسبعمائة، وتوفي ليلة يوم الأربعاء السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فسبحان الملك الحق المبين، وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين [الكامل]:

يا قبر جاد ثراك صوب غمام ... يهمي عليك برحمة وسلامِ
بوركت لحداً فيه أيُّ وديعة ... ملك كريم من نجارِ كرامِ
ما شئت من حلم ومن خلق رضى ... وزكاء أعراق ومجد سامِ
فاسعد بنصر رابع الأملاك من ... أبناء نصر ناصري الإسلامِ
من خزرج الفخر الذين مقامهم ... في نصر خير الخلق خير مقامِ
يا أيها المولى المؤسس بيته ... في معدن الأحساب والأحلامِ
ما للمنية والشباب مساعد ... قد أقصدتك بصائبات سهامِ
عجلت على ذاك الجمال فغادرت ... ربع المحاسن طامس الأعلامِ

(215) في (م): صميم الأمصار.

فمحا الردى من حسن وجهك آية — محو النهار بسدفة[216] الإظلام
ما كنت إلا بدر تمٍّ باهراً — أخنى الخسوف عليك عند تمام
فعلى ضريح أبي الجيوش تحية — كالمسك عرفاً عند فَضِّ ختام
وتغمدته رحمة الله التي — ترضيه من عَدْنٍ بدار مقام

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس بن عقيل[217] الأنصاري الخزرجي أمير المسلمين بالأندلس، يُكنى أبا الوليد

حاله

من **طرفة العصر، في تاريخ الدولة النصرية** من تصنيفنا: كان رحمه الله جميل الخلق، حسن الرواء، رجل جد، سليم الصدر، كثير الحياء، صحيح العقد، ثبتاً في المواقف، عفيف الإزار، ناشئاً في حجر الطهارة، بعيداً من الصبوة بريئاً من المعاقرة. نشأ مشتغلاً بشأنه، متبنكاً نعمة أبيه[218] مختصاً بإيثار السلطان جده[219] أبي أمه وابن عم والده، منقطعاً إلى الصيد مصروف اللذة إلى استجادة سلاحه وانتقاء مراكبه واستفراه جوارحه إلى أن أفضى إليه الأمر وساعدته الأيام وخدمه الجد وانتقل به إلى بيت الملك وثوى في عقبه الذكر، فبذل العدل في رعيته واقتصد في جبايته، واجتهد في مدافعة عدو الله وعدوه وسد ثلم ثغره، فكان غرة في قومه، ودرة في بيته وحسنة من حسنات دهره.

أولاده

تخلف من الولد أربعة: أكبرهم محمد ولي عهده والأمير من بعده وفرج

---

(216) في (م): لسدفة.
(217) في (م): ابن قيس الأنصاري الخزرجي دون ذكر عقيل، وكذلك في النسخة (ط).
(218) تبنك نعمة أبيه: ورثها وسعد بها.
(219) في (م): جده أمه.

شقيقه التالي له، المنصرف عن الأندلس بعد مهلك أخيه، المتقلب أخيراً في الإيالات، المتوفى معتقلاً بالمرية عام أحد وخمسين وسبعمائة مظنوناً به الاغتيال. ثم أمير المسلمين أخوه أبو الحجاج تغمده الله برحمته، أقعْدُ القوم في الملك، وأبْعَدُهم أمداً في السعادة. ثم إسماعيل أصغرهم المُبتلى زمن شبيبته بالاعتقال المخيف مدة أخيه المستقر بالمغرب.

وزراؤه

وزيره أول أمره القائد أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح نصير بن إبراهيم بن محمد بن نصير بن أبي الفتح[220] الفهري. وبيت هؤلاء القواد شهير، ومكانتهم من الملوك النصريين مكينة.

ثم أشرك معه في الوزارة الوزير أبا الحسن علي بن مسعود بن علي بن مسعود المحاربي من أعيان الحضرة وذوي النباهة، فجاذب رفيقه حبل الخطة ونازعه لباس الحظوة حتى ذهب باسمها ومسماها. وهلك القائد أبو عبد الله بن أبي الفتح فخلص إليه[221] شربها.

كُتّابه

كتب عنه لأول أمره بمالقة ثم بطريقه إلى غرناطة وأياماً يسيرة بها الفقيه الكاتب أبو جعفر بن صفوان المالقي.

ثم ألقى المقادة إلى كاتب الدولة قبل شيخنا أبي الحسن بن الجياب فاضل الخطة وباري القوس، واقتصر عليه إلى آخر أيامه.

قضاته

استقضى أخا وزيره الشيخ الفقيه أبا زكريا يحيى بن مسعود بن علي رجل الجزالة وفيصل الحكم. فاشتد في إقامة الحق وغلظ بالشرع واستعان بالجاه، فخيفت سطوته، واستمر قاضياً إلى آخر أيامه.

(220) في (ط): نصير أبي الفتح الفهري.
(221) في (ط): فخلص له شربها.

رئيس جنده الغربي

ومن أول هذه الدولة نبهت هذه الرتبة واستحقت إفرادنا إياها.

الشيخ البُهْمة[222] لباب قومه وكبير بيته[223] أبو سعيد عثمان بن أبي العلى إدريس بن عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق مشاركاً له في النعمة، ضارباً بسهم في المنحة، كثير التجني والدالة، إلى أن هلك المخلوع وخلا الجو، فكان منه الإقصار[224].

الملوك على عهده

وأولاً بالمغرب ثم بفاس: السلطان الشهير جواد الملوك الرحب الجناب الكثير الأمل خِدْن العافية ومحالف الترفيه ومتبجح النعيم السعيد على خاصته وعامته أبو سعيد عثمان ابن السلطان الكبير المجاهد الصالح المرابط أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. وجرت بينهما المراسلات واتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه وصدراً من أيام ولده الأمير أبي عبد الله حسبما ما يمر عند ذكره.

وبتلمسان: الأمير أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان ثم توفي قتيلاً بأمر ولده على عهده سادس عشر جمادى الثانية من عام ثمانية عشر وسبعمائة[225].

وَوُلّي الأمر مغتاله ولده المذكور أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى، واستمرت أيامه بعد مهلك السلطان المذكور، واستغرقت أيام ولده الوالي بعده، إلى أن هلك في صدر أيام السلطان أبي الحجاج، وجرت بينه وبين السلطان أبي الوليد مراسلات ومهاداة[226].

---

(222) البهمة: الشجاع يستبهم وجه غلبته على قرنه.

(223) في المخطوطة المعتمدة (فوتيه) وفي الإسكوريال (نوتبه) أو قونته وفي (م): ما أثبتنا لصحته.

(224) في (م): فكان منه بعض الأقطار، وكذلك في (ط).

(225) راجع أخباره في: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية؛ السلطنة الحفصية؛ الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية؛ تاريخ أفريقية في العهد الحفصي؛ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.**

(226) في (م): وتناوبه.

وبمدينة تونس: الشيخ المتلقب بإمرة المؤمنين أبو يحيى زكرياء بن أبي العباس بن أبي حفص المدعو باللحياني المتوثب بها على الأمير أبي البقاء خالد بن أبي زكرياء بن أبي إسحاق بن أبي حفص، وهو كبير آل حفص سناً وقدراً[227]. تملك تونس تاسع جمادى الآخرة من عام أحد عشر وسبعمائة، وتم الأمر له.

واعتقل أبا البقاء بعد خلعه ثم اغتاله في شهر شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة. ثم رحل عن تونس لما ظهر له من اضطراب أمره بها، وتوجه إلى أطرابلس في وسط عام خمسة عشر وسبعمائة[228]، واستناب صهره الشيخ أبا عبد الله بن أبي عمران، ولم يعد إليها بعد ذلك.

ثم اضطرب أمر إفريقية وثار به[229] عدة من الملوك الحفصيين منهم الأمير أبو عبد الله بن أبي عمران المذكور، وأبو عبد الله اللحياني والسلطان أبو بكر بن الأمير أبي زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق لَبِنة تمامهم وآخر رجالهم، واستمرت أيامه إلى مدة ولده الأمير بالأندلس ثم معظم أيام ولديه، رحم الله الجميع.

ومن ملوك الروم، أولاً بقشتالة: كان على عهده وفي الزمن القريب من ولايته وفاة الطاغية هراندة بن شانجة بن ألفونش بن هراندة (المجتمع له ملك ليون وقشتالة، وهو المتغلب على قرطبة وأشبيلية ومُرْسية وجيان) ابن الهونش (الجارية له وعليه وقعتا الأرك والعقاب) ابن شانجة والمسمى أبريذور[230] وهو الذي أفرد صهره زوج بنته بملك برتقال، إلى أجداد يخرجنا تقصي ذكرهم عن الغرض.

ومن ملوك رغون بشرق الأندلس: الطاغية جايمش بن بيطرة بن جايمش (الذي تغلب على بلنسية) بن بيطرة بن الهونش إلى أجداد عدة كذلك. ثم هلك في أخريات أيامه، فولى ملك رغون بعده الهونش بن جايمش إلى آخر أيامه.

وببرتقال: الهونش بن ذونيش بن الهونش بن شانجة بن الهونش، وتسمى أولاً دوقا.

---

(227) راجع أخبار هؤلاء الحكام الحفصيين في المصادر المذكورة في الهوامش السابقة.
(228) لم تذكر وسبعمائة في (ط).
(229) في (ط): وتناوبه.
(230) كذلك ورد في نسخة (ك)، وفي (ش)، وفي (م): أنبردور، وكتب كذلك في (ط).

بعض الأحداث ـ وبداية أمره

ولما تصير الأمر إلى السلطان نصر مدبر الوثوب بأخيه تنازعت بطانته وساءت سيرة ملكه، فأغرى بالرئيس الكبير صاحب مالقة وبيده الجزيرة وسبتة، وتعقب عليه كثير من التصرف فيما بيده، ثم لما وصل إلى الحضرة مبايعاً داخله بعضهم محذراً ومشيراً بالامتناع، فاستعجل الانصراف، وأظهر الاستبداد في رمضان في سابع عشر منه[231] وأقام رسم الملك بولده السلطان أبي الوليد هذا وتحرك فنازل الحصون المجاورة لمالقة واستولى عليها.

وفي أول شهر المحرم من عام اثني عشر وسبعمائة تحرك فنزل بقرية العطشا[232] من مرجها، وبرز السلطان نصر إليه في جيش أخشن مستجاد العدة وافر الرجل، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر فأظهر الله أقل الطائفتين، وانجرت على الجيش الغرناطي الهزيمة، وكبا بالسلطان نصر الفرس[233] في مجرى سقي لبعض الفدن فنجا بعد لأي ودخل البلد مفلولاً وانصرف الجيش المالقي ظاهراً إلى بلده. ثم وقعت المهادنة في ربيع الأول من هذا العام وعادت الفتنة جذعة في العام بعده.

وكانت في رمضان منه ثورة الأشياخ بغرناطة ودعاؤهم بخلعان السلطان ودعوة مخلوعه المعتقل، طالبين منه إسلام وزيره خِذْن الروم المتهم على الإسلام محمد بن الحاج. ثم لحق الأشياخ المذكورون فارين بمالقة عند اختلال ما أبرموه.

وكانت الحركة الثانية إلى غرناطة بعد أمور اختصرتها من استبداد السلطان أبي الوليد بنفسه والانحطاط في القبض على أبيه إلى هوى جنده والتصميم في طلب حقه، فاتصل سيره، واحتل ببلدنا لوشة[234] سرار شوال فتملكها. ثم قصد

(231) في (م): في رمضان سابع عشر منه.
(232) في (م): العطشاء، وكذلك في (ط).
(233) في (ط): وكبا بالسلطان نصر فرسه.
(234) لوشة: مسقط رأس ابن الخطيب تبعد عن غرناطة بمسافة خمسين كيلومتراً تقريباً.

غرناطة وبرز إليه جيشها، وأبلى في الدفاع، فكادت تقع به الدَّبْرة[235] لولا ثبوت السلطان. وأسلفهم الحملة فولوا منهزمين، وتبعهم إلى سور المدينة. وقد خف اللفيف والغوغاء والناعقون بالخلعان الشرهون إلى تبديل الدعوات إلى تسنم المآذن والمنازه والربى. وبرز أهل ربض البيازين الهافون إلى مثل هذه البوارق إلى شرف بيوتهم كل يشير مستدعياً مستقدماً، إعلاناً بسوء الجوار وملالات[236] الإيالات والانحطاط في وهدة التقلب والتلون وسآمة العافية: شنشنة[237] معروفة، وخليقة في الخليقة مألوفة. وبودر غلق باب ألبيرة فنقض قفله ودخل المدينة ولجأ السلطان إلى معقل الحمراء ودخله بأهله وذخيرته وخاصته، ونزل الدائل بالقصبة القدما تجاهها ينفذ الصكوك ويتألف الشارد ويذيع العفو، وضعفت بصائر المحصورين وفشلوا ـ على وجود الطعمة وتمكن المنعة ووفور المال ـ فالتمسوا لأنفسهم ولسلطانهم عهداً، ونزلوا منتقلين إلى مدينة وادي آش[238] في سبيل العرض[239] بمال معروف وذخيرة، فتم ذلك، وخرج السلطان نابياً[240] به قرار جده وأبيه، جانياً على ملكه الأخابث الأغمار، ليلة الثامن والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة إلى أن هلك حسبما تقدم ذكره وخلا للسلطان أبي الوليد الجو، وصرفت[241] إليه المقادة وأطاعه القاصي والدان ولم يختلف عليه اثنان.

مناقبه

اشتد على أهل البدع وقصر الخوض على ما تضطر إليه الملة. ولقد تذوكر يوماً بين يديه أصول الدين[242] فقال: أصول الدين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، وهذا (وأشار إلى سيفه).

---

(235) الدبرة والدابرة: الهزيمة.
(236) في (م): وملال، وكذلك في (ط).
(237) الشنشنة: العادة الغلبة. وفي المثل «شنشنة أعرفها من أخزم».
(238) وادي آش مدينة كبيرة تقع على نهر فردس على بعد 53 كم إلى الشمال الشرقي من غرناطة.
(239) في (ط): في سبيل العوض.
(240) في (ط): تالياً به قرار جده وأبيه.
(241) في (م): وضربت.
(242) في (م): أصول الدين عندي.

واعتنى بأهل بيت رسول الله ﷺ فبذل في فداء بعض أعلامهم ما يعزُّ بذله، ونقل منهم بعضاً من حرف خبيثة، فزعموا أنه رأى رسول الله ﷺ يشكر له ذلك، واشتد في إقامة الحدود وإراقة المسكرات.

وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم وشارة تميزهم ليوفوا حق المعاملة[243] التي أمر بها الشارع في الطرق والخطاب.

جهاده وبعض الأحداث في مدته

التاثث[244] أموره لأول مدته، فجرت عليه الهزيمة الشنيعة بوادي فرتونة أوقع بجيشه الطاغية بمظاهرة السلطان المخلوع، ففشا في الإعلام يومئذ القتل في صفر من عام ستة عشر وسبعمائة. وظهر العدو بعدها على حصن قنبيل[245] وحصن متمانس وحصن يجيج[246] وحصن طشكر وحصن روط. ثم صرفت المطامع عزمه إلى الحضرة فقصد مرجها وكف الله عاديته وقمعه ونصر الإسلام عليه ودلت[247] للدين الهزيمة العظمى بالمرج على بريد منها. واستولى على محلاته النهب، وعلى فرسانه ورجاله القتل[248] (وعظم الفتح، وبهر الصنع وطار الذكر)[249] وثاب السعد واستقامت الأيام.

وهلك المخلوع، فصفا الجو واتحدت الكلمة وأمكن الجهاد فتحرك في رجب من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وأعمل الحركة إلى بلاد العدو ونازل أشكر ـ الشجي المعترض في حلق بسطة[250] فأخذ بمخنقها ونشر الحرب عليها ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة محماة طاقة البرج المنيع من معقلها[251]

---

(243) في (م): ليوفوا حقهم من المعاملة، وأيضاً في النسخة (ط).
(244) التاثث: اختلطت، أو تلطخت.
(245) كذلك ورد في نسخة (ك)، وكتب في (م): قنبل.
(246) في (ك): بجيج، وفي (ط): نجيج.
(247) في (م): ودلت، وفي (ط): ودالت للدين.
(248) في (ط): القتل والأسار.
(249) ما بين القوسين زيادة موجودة في النسخة (ط).
(250) في (م): في حلق مدينة بسطة، وكذلك في (ط).
(251) في (ط): فأخذ بمخنقه، ومن معقله بضمير المفرد المذكر.

فعاثت عثاث[252] الصواعق السماوية فنزل أهلها قسراً على حكمه للرابع والعشرين من الشهر، وفي ذلك يقول شيخنا الحكيم أبو زكرياء بن هذيل رحمه الله من قصيدة أولها [الطويل]:

بحيث البنود الحمر والأسد الوردُ كتائب سكان السماء لها جندُ

وفي وصف آلة النفط [الطويل]:

وظنوا بأن الرعد والصعق في السما فحاق بهم من دونها الصعق والرعدُ
غرائب أشكال سما هرمس بها مهندمة تأتي الجبال فتنهدُّ
ألا إنها الدنيا تريك عجائباً وما في القرى منها فلا بد أن يبدو

وأقام ـ رحمه الله ـ بظاهرها فصيرها دار جهاده وعمل[253] في خندقها بيده. وفي ذلك يقول شيخنا كاتب سره نسيج وحده أبو الحسن بن الجياب رحمه الله من قصيدة أولها[254] [الكامل]:

أما مداك فغاية لم تسبقِ أعيت على غرّ الجياد السبَّقِ
فاشرح بسعدك كل معنى مشكل وافتح بسيفك كل باب مغلقِ

في وصف عمله في خندق الحصن [الكامل]:

للّه منك مشاهد مشكورة عند الإلّه بمثلها لم تسبقِ
مثل الحفير بها الذي باشرته فعل الرسول وصحبه في الخندقِ

وفي العاشر لرجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة تحرك إلى الغزو وأخذ الأهبة واستكثر من الآلة واحتشاد المطوعة، وقصد مدينة مرتش العظيمة الساحة الطيبة البقعة فاضطرب[255] بها المحلات، وكان قصده إجمام الناس[256] إلى الغد

(252) في (م): فعاثت عياث، وأيضاً في (ط).
(253) في (ط): وأقام ـ رحمه الله ـ بظاهره فصيره دار جهاد وعمل.
(254) راجع ترجمته: **الإحاطة في أخبار غرناطة** 4: 125، **نثير فرائد الجمان**: 55؛ **نفح الطيب** 5: 434؛ **ابن الجياب الغرناطي حياته وشعره** للدكتور علي النقراط.
(255) في (م): فأضرب.
(256) إجمام الناس: إراحتهم.

فصرفت الحشود وجوهها إلى ما بها من شجر الكروم الملتفات وأدواح الأشجار فأمعنوا في أفسادها، وبرز حاميتها، فناشدت[257] الناس القتال، فحميت النفوس، وأريد منع الناس فأعيا أمرهم وسال منهم البحر فتعلقوا بالأسوار وقيل للسلطان بادر الركوب فقد دخل البلد، فركب ووقف بإزائه، فدخل الحصن عنوة، واعتصم أهله بالقصبة فدخلت أيضاً عنوة، وانطلقت أيدي الغوغاء على من بها من ذكر وأنثى صغير أو كبير، فساءت القتلة وقبحت الأحدوثة ورفعت من الغد آكام من الجثث صعدت ذراها المؤذنون، وقفل إلى غرناطة بنصر لا كفاء له فكان[258] دخوله من هذه الغزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور.

وفاتــه

ولما فصل من مرتش نقم على أحد الرؤساء من قرابته، وهو ابن عمه محمد بن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة، أمراً تقرعه[259] عليه وبالغ في تأنيبه وتوعده بما أثار حفيظته، فأقدم عليه بالفتكة الشنعاء التي ارتكبها منه بباب قصره بين عبيده آمن ما كان سرباً وأعز نفراً وأمكن امتناعاً، غدوة يوم الإثنين الثالث من يوم دخوله بعد أن عاهد في الأمر جملة من القرابة والخدام ووثب به وهو مجتاز بين السماطين[260] من ناسه إلى مجلس القعود الخاص، فأعتقه وسل خنجراً ملصقاً بذراعه، فأصابه بجراحات ثلاث: إحداهن بأعلى تَرْقُوَته[261] فرت وَدَجه فخر صريعاً وصاح، فكر الوزير، فعممته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك، ووقعت الرجة وسلت السيوف وتشاغل كل بمن يليه، واستخلص السلطان من بين يديه وحيل بينه وبينه، فرفع وظنت نجاته، فوقع البهت وبادر الفرار وقد سدت المذاهب فقتلوا حيث وجدوا وأخذت الظنة قوماً من أبريائهم فاستحملوا[262]

(257) في (م): فناشبت، وكذلك في (ط).
(258) في (م): وكان.
(259) تقرعه عليه: لامه عليه وأوجعه بالعتاب.
(260) السماط: ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها.
(261) الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق.
(262) في (م): فاستحلفوا، واللفظ المثبت أعلاه هو ما ورد في (ك).

ونهبت الغوغاء دورهم وعلقت بالجدرات أشلاؤهم، واحتمل السلطان إلى بعض دوره وبه رمق للزوق العمامة بفوهة ودجه المبتور ففاضَ لحينه رحمه الله. ودفن غلس ليلة يوم الثلاثاء ثاني يوم وفاته بروضة الجنان من قصره إلى جانب جده، وتنوهي في احتفال قبره نقشاً (وتنجيداً وأحكاماً وحلياً وتمويهاً بما يشذّ عن الوصف، وكتب على قبره نقشاً)[263] في الرخام:

«هذا قبر السلطان الشهيد، فتاح الأمصار، وناصر ملة المصطفى المختار، محيي سبيل آبائه الأنصار، الإمام العادل، الهمام الباسل، صاحب الحرب والمحراب، الطاهر الأنساب والأثواب، أسعد الملوك دولة، وأمضاهم في ذات الله صولة، سيف الجهاد، ونور البلاد، ذي الحسام المسلول في نصرة الإيمان، والفؤاد المعمور بخشية الرحمن، المجاهد في سبيل الله، المنصور بفضل الله، أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل، ابن الهمام الأعلى الطاهر الذات والنجار، الكريم المآثر والآثار، كبير الإمامة النصرية، وعماد الدولة الغالبية، المقدس المرحوم أبي سعيد فرج، ابن علم الأعلام، وحامي حمى الإسلام، صنو الإمام الغالب، وظهيره العلي المراتب، المقدس المرحوم أبي الوليد إسماعيل بن نصر قدس الله روحه الطيب، وأفاض عليه غيث رحمته الصيب[264]، ونفعه بالجهاد والشهادة، وحباه بالحسنى والزيادة (جاهد في الله حق الجهاد)[265] وصنع له في فتح البلاد، وقتل كبار ملوك الأعاد، ما يجده مذخوراً يوم التناد إلى أن قضى الله بحضور أجله، فختم عمره بخير عمله وقبضه إلى ما أعد له من كرامته وثوابه، وغبار الجهاد طي أثوابه.. فاستشهد[266] رحمه الله غدوة أثبتت له في الشهداء من الملوك قدماً، ورفعت له في أعلام السعادة علماً. ولد رضي الله عنه في الساعة المباركة بين يدي الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شهر شوال عام سبعة وسبعين وستمائة، وبويع يوم الخميس السابع والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة،

(263) ما بين القوسين زيادة تفردت بها النسخة (ط).
(264) الصيب: المطر الغزير.
(265) ما بين القوسين زيادة في (ط).
(266) في (م): استشهد.

واستشهد في يوم الإثنين السادس والعشرين لشهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فسبحان الملك الحق، الباقي بعد فناء الخلق».

وبعده من جهة أخرى [البسيط]:

تخص قبرك يا خير السلاطين ... تحية كالصَّبا مرت بدارين[267]

قبر به من بني نصر إمام هدى ... عالي المراتب في الدنيا وفي الدين

أبو الوليد، وما أدراك من ملك ... مستنصر واثق باللَّه مأمون

سلطان عدل وبأس غالب وندى ... وفضل تقوى وأخلاق المَيامين

للَّه ما قد طواه الموت من شرف ... وسر مجد بهذا اللحد مدفون

ومن لسان بذكر اللَّه منطلق ... ومن فؤاد بحب اللَّه مسكون

أما الجهاد فقد أحيا معالمه ... وقام منه بمفروض ومسنون

فكم فتوح له تزهى المنابر من ... عجب بهن وأوراق الدواوين

مجاهد نال من فضل الشهادة ما ... يجبى عليه بأجر غير ممنون

قضى كعثمان في الشهر الحرام ضحى ... وفاة مستشهد في الدار مطعون

في عارضيه غبار الغزو تمسحه ... في جنة الخلد أيدي حورها العين

يسقى بها عين تسنيم، وقاتله ... مردد بين زَقُّوم وغِسْلِين

تبكي البلاد عليه والعباد معاً ... فالخلق ما بين أحزان أفانين

لكنه حكم رب لا مردَّ له ... فأمره الجزم بين الكاف والنون

فرحمة[268] اللَّه رب العالمين على ... سلطان عدل بهذا القبر مدفون

وعظمت فيه فجيعة المسلمين، لما ثكلوا من جهاده وعزمه وبلوه من سعده وعزة نصره. فكثرت فيه المراثي، وتراهقت[269] في شجوه القرائح، وبكاه الغادي

---

(267) دارين: فرضة ببلاد البحرين من دول الخليج العربي، كان يُجلب إليها المسك من بلاد الهند.

(268) في (ط): ورحمة.

(269) تراهقت: حملت ما لا تطيق.

والرائح فمن المراثي التي أنشدت على قبره قول كاتبه شيخنا أبي الحسن بن الجياب[270] [الطويل]:

أيا عبرة العين امزجي الدمع بالدمِ ويا زفرة الحزن احكمي وتحكمي
ويا قلبُ ذُبْ وجداً وغماً ولوعةً فإن الأسى فرض على كل مسلمِ

وقول كاتبه الوزير الأديب أبي عبد اللّه بن اللوشي[271] [الكامل]:

بـرِّد بنار الشوق منك غليلا فالمجد أضحى شاكياً وعليلا

منها ـ وهو غرض حسن ـ:

قلّدت سيف الوجد فارس لوعتي أسفاً وأجريت الدموع خيولا
وبنيت أبيات الرثاء وقد رأت عيني بيوت المكرمات طلولا

وقول كاتبه الفقيه القاضي أبي بكر بن شبرين[272] [الكامل]:

عَزَّ العزاء فما الذي نبديهِ في الحزن إلا بعض ما نخفيهِ
يا أيها الغادي يحث قلوصه إيه عن الخبر المرجم إيهِ[273]
أودى أمير المسلمين فكيف لا نأسى عليه، وكيف لا نبكيهِ
قد كان للإسلام عينَ بصيرة فأصابت الإسلام عينٌ فيهِ

(270) **الإحاطة** 1: 395.
(271) راجع ترجمته في: **الإحاطة** 2: 269.
(272) من شيوخ المؤلف ابن الخطيب (674 ـ 747) وقد ترجم له في **الإحاطة** في مواضع كثيرة.
(273) في (ك) وفي (ش): الحبر المرحم أيه، وفي (م): المرجم.

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه يكنى أبا عبد الله

حالــه

كان معدوداً في نبلاء الملوك وأبناء الملوك صرامةً وعزةً وشهامة وجمالاً وخَصْلاً، عذب الشمائل حلواً لبقاً لَوْذَعِيّاً هشاً سخياً. المثل المضروب في الشجاعة المقتحمة حد التهور، حِلْسُ ظهور الخيل، أفرس من جال على صهوة، لا تقع العين ـ وإن غصت الميادين ـ على أدرب بركض الجياد منه، مغرماً بالصيد، عارفاً بسمات الشِّفار[274] وشِيات الخيل يحب الأدب، ويرتاح إلى الشعر، وينبه على العيون ويلم بالنادرة الحارة.

أُخذت له البيعة يوم مهلك أبيه يوم الثلاثاء السابع والعشرين لرجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، وناله الحجب واشتملت عليه الكفالة إلى أن شد وظهر وشب عن الطوق. وفتك بوزيره المتغلب على ملكه وهو غلام لم يبقل خده[275] فهيب شباه ورهبت سطوته وبرز لمباشرة الميادين وارتياد المطارد واجتلاء الوجوه، فكان ملء العيون والصدور.

ذكــاؤه

حدثني ابن وزير[276] جده القائم أبو القاسم بن محمد بن عيسى قال: تذوكر يوماً بحضرته تباين معنى قول المتنبي [المتقارب][277]:

أيـا خـدد الـلّـه ورد الـخـدودِ وقـدَّ قـدود الـحـسـان الـقـدودِ

---

(274) الشفار: السيوف.

(275) بقل خده: نبت شعر الخد منه.

(276) في (ط): حدثني وزيره ابن وزير جدّه.

(277) ديوان المتنبي 1: 341.

وقول امرئ القيس [الطويل][278]:

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة   فسلي ثيابي من ثيابك تنسلِ

وقول إبراهيم بن سهل [البسيط][279]:

إني له من دمي المسفوك معتذر   أقول حمَّلته من سفكه تعبا

فقال رحمه الله بديهاً ـ على حداثته ـ: «بينهم ما بينهم[280] ما بين نفس ملك عربي وشاعر عربي ونفس يهودي تحت الذمة، وإنما تتنفس النفوس بقدر هممها»، أو ما معناه هذا.

همَّتــه

لما نازل مدينة قبره[281] ودخلها عنوة، وهي ما هي عند المسلمين والنصارى من الشهرة والجلالة، بادرنا نهنئه بما تسنى له، فزوى عنا وجهه قائلاً: «وماذا تهنوني به، كأنكم رأيتم ملك الخرقة الكذا ـ يعني العلم الكبير ـ في منار أشبيلية». فعجبنا من بعد همته ومرمى أمله.

الشجاعــة

أقسم أن يغير على باب مدينة بيانة في عدة يسيرة من الفرسان عينتها اليمين، فوقع البَهْت[282] وتوقعت الفاقرة[283] لقرب الصريخ ومنعة الحوزة وكثرة الحامية ووفور الفرسان، وتنخل أهل الحفاظ وهجم عليها فانتهى إلى بابها وحمل على أضعافه من الحامية فألجأهم إلى المدينة، ورمى يومئذ أحد النصارى بمزراق محلى السنان رفيع القيمة فأثبته، وتحامل الطعين يريد الباب فمنع من الأجهاز عليه

(278) ديوان امرئ القيس: 13.
(279) ديوان إبراهيم بن سهل: 74 وعجزه فيه: أقول حمَلته في سفكه تعبا.
(280) في (م): بينهم ما بين نفس ملك.
(281) موضع من أعمال قرطبة يقع قبليها.
(282) البهت: الدهش والتحير.
(283) الفاقرة: الداهية والجمع فواقر.

وانتزاع الرمح الذي كان يجره خلفه وقال: «اتركوه يعالج به جرحه إن أخطأته المنية» فكان كما قال الشاعر في مثله ـ أنشدنا أبو عبد الله بن الكاتب ـ [الطويل]:

ومن جوده يرمي العداة بأسهم من الذهب الأبريز صيغت نصولها
يداوي بها المجروح منها جراحه ويتخذ الأكفان منها قتيلها

جهاده ومناقبه

نازل حصن قشرة لأول أمره وهدَّ سوره وكاد يتغلب عليه لولا مدد دخله، فارتحل وقد دوخ الصقع.

ونازل قبرة، وافتتحها، وهزم جيش العدو الذي بيت محلته[284] وأناخ عليه بكلكله، وهدَّ بالمجانيق أسواره فدارى الطاغية واستنزل عزمه وتاحفه[285] إلى أن صرفه ففازت به قداح الإسلام.

بعض الأحداث

وفي شهر المحرم من عام سبعة وعشرين وسبعمائة نشأت الوحشة بين وزيره المنغلب على أمره محمد بن أحمد المحروق وبين شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلى فصبّت على المسلمين شؤبوب فتنة عظيم فيهم أثرها فخرج مغاضباً وسيم الانصراف[286] عن الأندلس ولحق بساحل المرية[287] ثم داخل أهل حصن أندرش[288] فدخل في طاعته واستضاف إليه ما يجاوره، فأعضل الداء وغامت سماء المحنة. واستلحق المذكور عم السلطان من تلمسان محمد بن فرج بن إسماعيل فلحق به وقام بدعوته في أخريات صفر من عام سبعة وعشرين

(284) في (م): منجلته.
(285) تاحفه: تبادل معه التحف والهدايا.
(286) في (م): وهم للانصراف.
(287) في (م): بساحل المرية.
(288) أندرش: من مقاطعة المرية، وهي البلدة التي أقام فيها الأمير أبو عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس.

وسبعمائة، وكانت بينهم وبين جيش الحضرة وقعات تناصفوا فيها الظفر. واغتنم الطاغية فتنة المسلمين فخرج غرة شعبان من العام ونازل ثغر وبرة[289] ركاب الجهاد فتغلب عليه واستولى على جملة من الحصون التي تجاوره فاتسع نطاق الضر وأعيا داء الشر وصرفت إلى السلطان[290] ملك المغرب في أخريات العام رندة ومربلة وما ولا إليها[291] وأجلت الحال إلى مهادنة عثمان بن أبي العلى وصرف المستدعى لدعوته إلى العدوة. وعبر هذا الأمير رحمه الله البحر بنفسه مستصرخاً ومستدعياً للجهاد في الرابع والعشرين من شهر ذي حجة عام اثنين وثلاثين وسبعمائة. ووفد على ملكه السلطان الشهير أبو الحسن[292] علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق مستصرخاً إياه فأعظم وفادته وأكرم نزله وأصحبه إلى الأندلس ولده وحباه بما لم يُحْبَ به ملك تقدمه من مغربات[293] الخيل وخطير الذخيرة ومستجاد العدة. ونازل على أثره جبل الفتح وهيأ الله فتحه ثم استنقاذه بلحاق السلطان ومحاولة أمره، فتم ذلك في يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر ذي حجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة.

وزراء دولته

وزر له وزير أبيه أبو الحسن بن مسعود، وأخذ له البيعة وهو مثخن بما أصابه من الجراحات يوم الفتك بأبيه، ولم ينشب أن أجهزت عدواها[294].

وتولى له الوزارة بعده وكيل أبيه محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق من أهل غرناطة يوم الإثنين غرة شهر رمضان عام خمسة وعشرين وسبعمائة. ثم قتل بأمره ثاني يوم من محرم فاتح عام تسعة وعشرين وسبعمائة.

---

(289) وبرة: كذا في النسخ، ولعل في ذلك تحريفاً والأصل «وبذة»، وهي مدينة أندلسية وحصن على وادٍ بقرب أقليش.

(290) في (م): وصرفت إلى نظر السلطان.

(291) في (م): وما إليهما، وكذلك في (ط) وهو الأصح.

(292) في (م): أبي الحسن.

(293) في (م): مقربات، والمقربات التي تقرب وتكرم لئلا يقرعها فحل لئيم.

(294) أجهزت عليه عدواها: أي اشتد عليه ألمها وأضعفه.

ثم وزر له القائد محمد بن أبي بكر بن يحيى بن مول المعروف بالقيجاطي من وجوه الدولة إلى السابع[295] عشر من شهر رجب من العام. ثم صرف إلى العدوة.

وأقام رسم الوزارة والحجابة والنيابة مولى أبيه القائد أبو النعيم رضوان الشهير الديانة والسعادة إلى آخر مدته بعد أن التاث أمره لديه وزاحمه بأحد المماليك يُسمّى عصاماً أياماً يسيرة بين يدي وفاته.

كُتّابه

كتب عنه كاتب أبيه وأخيه شيخنا الإمام العلامة الصالح أبو الحسن ابن الجياب رحمه الله إلى آخر مدته.

قضاته

استمرت الأحكام لقاضي أبيه وأخي وزيره الشيخ الفقيه أبي بكر يحيى بن مسعود المحاربي رحمه الله إلى عام سبعة وعشرين وسبعمائة، فتوجّه رسولاً إلى ملك المغرب وأدركته الوفاة بمدينة سلا فدفن بمقبرة شالة[296].

وتخلف ولده أبا يحيى مسعوداً نائباً عنه، فاستمرت له الأحكام واستقل بعده إلى أن صُرف عن القضاء يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعمائة.

وتولى الأحكام الشرعية الإمام[297] العلم الأوحد خاتمة الفقهاء وصدر القضاة العلماء أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري المالقي، فاستمر له الحكم إلى تمام مدته وصدراً من أيام أخيه بعده.

من كان على عهده من الملوك

أولاً من المغرب[298]: السلطان الشهير الكبير الجواد ولي العافية وحليف

(295) في (م): سابع عشر.
(296) في مخط (ط) كتبت: شلا.
(297) في (م): شيخنا الإمام، وكذلك ورد في (ط).
(298) في (م): وأولاً بالمغرب، وأيضاً في (ط).

السعادة أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، إلى أن توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذي قعدة عام أحد وثلاثين وسبعمائة.

ثم صار الأمر إلى ولده السلطان المقتفي سننه في المجد والفضل وضخامة السلطان، مبرأ عليه بالبأس[299] المرهوب والعزم الغالب والجد الذي لا يشوبه هزل والاجتهاد الذي لا تتخلله راحة، أبو الحسن إلى آخر مدته، ثم مدة أيام أخيه بعده.

وبتِلِمْسان: الأمير عبد الرحمن بن موسى أبو تاشفين، مشيد القصور ومروض الغروس ومتبنِّك الترف[300] إلى تمام مدته وصدراً من مدة أخيه بعده.

وبتونس: الأمير أبو يحيى أبو بكر ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحاق لبنة تمام القوم وصقر جوارح متأخريهم إلى تمام مدته وصدراً كبيراً من دولة أخيه.

ومن ملوك النصارى، وأولاً بقشتالة: ألفونش بن هراندة بن شانجة بن ألفونش بن هراندة الذي ملك على عهده الجفرتين[301] والتاكرونية القنيطية[302] واتصلت أيامه إلى أخريات أيام أخيه.

وبرغون: ألفونش بن جايمش بن ألفونش بن بطرة بن ألفونش بن بطرة بن جايمش المستولي على بلنسية إلى آخر مدته وصدراً من مدة أخيه.

وفاتــه

وتوغرت عليه صدور رؤساء جنده المغاربة إذ كان شرهاً لسانه غير جَزُوع ولا هَيَّابة، فربما تكلم بملء فيه من الوعيد الذي لا يَخفى عن المعتمد به. وفي ثاني يوم من إقلاع الطاغية عن جبل الفتح لسعيه[303] وحسن محاولته ـ وهو يوم

(299) في (ط): مبرأ عليها لباس المرهوب.
(300) متبنك الترف: حائز النعمة.
(301) في (م): الجفرتين نقلاً عن (ك)، وفي (ش): الحرتين قال محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ وأصلحت بقلم آخر «الحضرتين».
(302) القنيطية: لم تذكر في (ط).
(303) في (م): بسعيه.

الأربعاء والثالث عشر[304] من شهر ذي الحجة وقد عزم على ركوب البحر من ساحل نزله بموقع وادي السقايين تماروا[305] من ظاهر الجبل تخفيفاً للمؤنة واستعجالاً للصدر، وقد أخذت على حركته المراصد. فلما توسط كمين القوم ثاروا إليه وهو راكب بغلاً أثابه به ملك الروم، فشرعوا في عتبه بكلام غليظ وتأنيب قبيح، وبدأوا بوكيله فقتلوه، وعجل بعضهم فطعنه، وترامى عليه مملوك من مماليك أبيه زنمة من أخابث المعلوجا اسمه ريان صونع على مباشرة الإجهاز عليه فقضى لحينه في سفح الربوة الماثلة يسرة العابر للوادي ممن يقصد الجبل، وتركوه بالعراء مسلوب الساتر سيِّئ المصرع قد عدت عليه نعمه وأوبقه سلاحه وأسلمه أنصاره وحماته.

ولما فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان يوسف صُرفت الوجوه إلى دار الملك ونقل القتيل إلى مالقة فدفن على حاله تلك برياض تجاور منية السيد، فكانت وفاته ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي حجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة. وأقيمت عليه بعيد زمان قبة ونوه بقبره. وهو الآن ماثل بها رهن وحدة، ومستدعى عبرة، وعليه مكتوب:

«هذا قبر السلطان الأجل الملك الهمام الأمضى الباسل الجواد ذي المجد الأثيل والملك الأصيل المقدس المرحوم أبي عبد الله محمد ابن السلطان الجليل الكبير الرفيع الأوحد المجاهد الهمام صاحب الفتوح المستورة[306] والمغازي المشهورة سلالة أنصار النبي ﷺ أمير المسلمين وناصر الدين الشهيد المقدس المرحوم أبي الوليد بن فرج بن نصر قدَّس الله روحه وبرَّد ضريحه. كان مولده في الثامن لمحرم عام خمسة عشر وسبعمائة، وبويع في اليوم الذي استشهد فيه والده رضي الله عنه السادس والعشرين لرجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، وتوفي في الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة. فسبحان من لا يموت [الكامل]:

يا قبرَ سلطان الشجاعة والندى ... فرع الملوك الصِّيد أعلام الهدى

(304) في (م): ثالث عشر.
(305) في (ش) وفي (م): تماروا، وفي (ك) وفي (ط): فثاروا، ورد اللفظ كما أثبتناه.
(306) في (ط): الفتوح المسطورة.

وسلالة السلف الذي آثاره ... وضاحة لمن اقتدى ومن اهتدى
سلف لأنصار النبي نجاره ... قد حلّ منه في المكارم محتدا
متوسط البيت الذي قد أسسته ... سادة الأملاك أوحد أوحدا
بيت بنوه محمدون ثلاثة ... من آل نصر أورثوه محمدا
أودعت وجهاً قد تهلل حسنه ... بدراً بآفاق الجلالة قد بدا
وندىً يسحّ على العفاة مواهباً ... مثنى الأيادي السابغات وموحدا
يبكيك مذعور[307] بك استعدى على ... أعدائه فسقيتهم كأس الردى
يبكيك محتاج أتاك مؤملاً ... فغدا وقد شفعت يداك له اليدا
أما سماحك فهو أهمى ديمة ... أما جلالك فهو أسمى مصعدا
جادت ثراك من الإلّه سحب[308] ... لرضاه عنك تجود هذا المعهدا

وتبعت هذا السلطان نفوس أولي الحرية ممن له طبع رقيق وحس لطيف ووفاء كريم، فصدر فيه من التأبين أقاويل للشجون مهيجة. فمن ذلك ما نظمه الشيخ القاضي أبو بكر بن شبرين وكان على ظرفه وحسن روائه غراب ندبة ونائحة مأتم يرثيه ويعرّض ببعض من حمل عليه من خدّامه [مجزوء الرمل]:

استقلا ودعاني ... طائفاً بين المغاني
وانعما بالصبر إني ... لا أرى ما تريان
قُضي الأمر الذي في ... شأنه تستفتيان
ومضى حكم إلّه ... ما له في الملك ثان
مات يوم السلم قعصاً[309] ... مِدْرَهُ[310] الحرب العوان
واستُبيح الملك ابن ... الملك الحرّ الهجان

(307) في (ط): يبكيك محتاج.
(308) في (ط): سحائب وهو الأصح.
(309) القعص: الطعن بالرمح.
(310) المدره: زعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم.

وإذا صلّيتما يو   ماً عليه أذنَان
ما علمنا غير حبر   فاقضيا ما تقضيان
لا نبالي ما سمعنا   من فلان وفلان
غير ما قالوا اعتقدنا   وعلينا شاهدان
وغداً يجمعنا المو   ت من قاصٍ ودان
ورضى اللّه هو المط   لوب في كل أوان
وأخو الصدق لعمري   ذو مقامات حسان
وهوى النفسِ عناء   حائل دون المعاني
وعلى البغضاء يطوى   وُدّ إخوان الخوان
بأبي واللّه أشلا   ء على الرمل حوان
بفتى ما كان بالوا   ني ولا بالمتواني
يمزح الماء نجيعاً   ويناديِ: علّاني
ليس بالهيّابة النك   س ولا الغمر الهدان
أبيض الوجه تراه   والردى أحمرُ قان
أي سيف لضراب   أي رمح لطعان
ذو نجار خزرجيّ المنتمى   سامي المكان
ذكره قد شاع في الأر   ض إلى أقصى عُمان
لا تراه الدهر إلا   جلفَ سرج أو عنان
عن صهيل الخيل لا يلـ   ـهيه تعزاف القيان
إن ألمّت هيعةٌ[311] طا   ر إليها غير وان
يصدع الليل بقلب لـ   ـيس بالقلب الجبان
يا لها من نصبة لو   لا نحوس في القران

(311) الهيعة: الصريخ أو الصوت الشديد المفزع.

وشباب عاجلوه ... بالردى في العنفوان
لم يجاوز من سنيه الـ ... ـعشرَ إلا بثمان
دوّخ الأقطار غزواً ... من هضاب ومحان
حكّموا فيه الظبى أسـ ... ـرع من لمح العيان
إن يكونوا غادروه ... في الثرى ملقى الجران
تشرب الأرض دماً منـ ... ـه تهاداه الغواني
وتحيّيه بتسليـ ... ـم ثغورُ الأقحوان
فالمعالي أودعته ... بين سحر ولبان
وغوادي المزن يرضعـ ... ـن ثراه بلبان
ضاع صرح الثغر لما ... أغمد السيف اليماني
وأعير الأسدُ الور ... د القميص الأرجواني
عاطياني أكؤسَ الحز ... ن عليه عاطياني
حمله دون صلاة ... للثرى مما شجاني
أوَ ما كانوا له يَدْ ... عُون أعقاب الأذان
لا تُهيّنوه فما كا ... ن بأهل للهوان
عجبي والله من إبـ ... ـطان هذا الشنآن
أنا مذ غاب فبالسا ... لي فؤاداً ما أراني
وبحسبي دعوات ... أنا فيها ذو افتنان
بتّ أهديها إليه ... بعد ترتيل المثاني
ذاك جهدي إنّ إحسا ... ن أبيّه قد غذاني
فأنا الشيعةُ حقاً ... بفؤادي ولساني
أفأنسى ذلك العهـ ... ـد وليس الغدر شاني
ويقال الرشح موجـ ... ـود قديماً في الأواني
وعهود الناس شتى ... من عجاف وسمان

وهـي النعمة حقاً شكرها في كل آن
اتئد يا فارس الخيـ ـل فغير اللّه فان
والمعالي تطلب الثـ ـار وتأتي بالأماني
وهي الأرحام لا تنسى ولو بعد زمان
أنت من رحمة غفـ ـار الخطايا في ضمان
وهو يوفى الخصم إن شـ ـاء وزاناً بوزان
والذي أفشى قبيحاً حظّه عضّ البنان
سلّم اللّه على من فيه ذو جهل لحاني
وجزاه بجهاد جاء منه ببيان
ربنا أنت خبير بخفيات الجنان
ويداك الدهر فينا بالندى مبسوطتان
ومجال العفو رحبٌ والرضى غضّ المجاني
فتغمدنا برحمى وقبول وأمان
واجمع الشمل على أفـ ـضل حال في الجنان

واقتضت آراء القوم الفائلة[312] استرعاء عقد يتضمن ألفاظاً كانت تصدر عن السلطان قادحة في العقد جاؤوا بها إفكاً وزوراً ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: 19] ومن المعاني البديعة في عكس الأغراض قوله [الخفيف]:

عينُ بَكّي[313] لميّت غادروه في ثراه ملقىً وقد غدروه
دفنوه ولم يصلّ عليه أحد منهم ولا غسلوه
إنما مات حين مات شهيداً فأقاموا رسماً ولم يقصدوه

(312) الفائلة: الضعيفة الخاطئة، وفي النسخة (ط): القاتلة.

(313) عين بكي: أبكي.

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي أمير المسلمين بالأندلس ـ رحمة الله عليه ـ يُكنى أبا الحجاج

حالــــه وصفته

بدر الملوك وزين الأمراء. كان أبيض أزهراً أيّداً[314] مليحَ القد جميل الصفات برّاق الثنايا أنجل[315] رَجِل الشعر أسوده، كثَّ اللحية وسيماً. عذب الكلام عظيم الحلاوة يفضل الناس بحسن المرأى وجمال الهيئة كما يفضلهم مقاماً ورتبة وافر العقل كبير الهيبة إلى ثقوب الذهن وبُعد الغور والتفطن للمعاريض والتبريز في كثير من الصنائع العملية مائلاً إلى الهدنة مرجياً للأمور كلفاً بالمباني والأثواب جمّاعة للحلي والذخيرة مستميلاً لمعاصريه من الملوك.

تولّى الملك بعد أخيه بوادي الساقيين من ظاهر الخضراء يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، وسنّه إذ ذاك خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. واستقل بعدُ بالملك واضطلع بالأعباء وتملأ الهدنة ما شاء وعظم مرانه لمباشرة الألقاب ومطالعة الرسوم فجاء نسيج وحده. ثم عانى شدائد العدوّ فكرُم يوم الوقيعة العظمى[316] بظاهر طريف[317] موقفه، وحُمد بعدُ في مُنازلة الطاغية عند الجثوم[318] على البلاد صبره. وأجاز البحر في شأنها فأفلت من مكيدة العدو التي تخطاها أجله وأوهن حبلها سعده.

ولما نفذ في الجزيرة القدر، وأشفت الأندلس، سدَّد الأمور وامتسك[319]

---

(314) الأيّد: القوي الشديد.

(315) أنجل: واسع العينين.

(316) في (ط): الكبرى.

(317) طريف: موقع قرب نهر سالادو؛ والإشارة هنا إلى موقعة طريف.

(318) الجثوم: لزوم المكان بغير مبارحة، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: 67].

(319) في (ش): وأمسك.

الإسلام على يده، وراخى مخنق الشدة بسعيه، فعرفت الملوك رجاحته وأثنت على قصده إلى حين وفاته على أزكى عمله.

ولـــده

كان له من الذكور ثلاثة: محمد ولي الأمر من بعده، وإسماعيل المتوثب[320] عليه ومزعجه عن الأندلس عند التغلب عليه والثورة به من ثقاف جواره، وقيس شقيق إسماعيل منهما.

وزراء دولته

تولّى وزارته لأول أمره كبير الأكرة[321] ونبيه المشيخة بحضرته إبراهيم بن عبد البر العريض المكسب الثمين العقار، لمخيلة طمع نشأت لمقيمي دولته فيما بيده، شداً لحال على عوز، طريقة إلى الحضرة، إلى ثالث شهر المحرّم من العام. وأنف الخاصة والنبهاء رئاسته فطلبوا من السلطان إعاضته، فعدل عنه إلى خاصة دولتهم الحاجب أبي النعيم مظنّة التسديد ومحطّ الأنفات. فاتصل نظره مستبداً عليه في تنفيذ الأمور وتقديم الولاة والعمال وجواب المخاطبات وتدبير الرعايا وقود الجيوش. ثم قبض عليه ليلة السبت الثاني والعشرين لرجب لعام أربعين وسبعمائة.

وتولّى الوزارة بعده ابنُ عمِّ أبيه السلطان أبي الوليد القائد أبو الحسن عليّ بن مول بن يحيى بن مول الأمي، رجل جهوري حازم مؤثر للغلظة.

لم ينشب أن كفّ كفه استبداده بالغائب خاله ولزمته شكاية استنفدته، وأقام رسم الوزارة بكاتبه شيخنا أبي الحسن بن الجياب نسيج وحده إلى أخريات شوال من عام تسعة وأربعين وسبعمائة.

وهلك رحمه الله فأجرى لي الرسم وعصب بي تلك المثابة، مضاعف

---

(320) المتوثب: الثائر المندفع أو المنتزي.

(321) كبير الأكرة: يقصد كبير القوم والجماعة.

الجراية معزّزاً بولاية القيادة حسبما وقع استيفاؤه في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا[322].

كُتّابــه

تولّى كتابته كاتب أخيه وأبيه شيخنا المذكور إلى آخر مدته رئيساً للجماعة التي قلّما اجتمع مثلها. وقلّدني كتابة سرّه، مثنّاة بمزيد قربه، مضفرة برسم وزارته.

قضاتــه

تولى له أحكام القضاء قاضي أخيه الصدر البقية شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري[323] إلى يوم الوقيعة الكبرى بطريف وفُقد في مصافّه وتحت لواء جهاده.

وَوُلّي القضاء الفقيه المفتي البقية أبو عبد الله محمد بن محمد بن عياش من أهل مالقة أياماً، ثم طلب الإعفاء فأُسعف.

وَوُلّي مكانه الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن برطال من أهل مالقة وابن قاضيها فسدّد الخطة وأجرى الأحكام إلى الرابع من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة.

وقدّم للقضاء عوضه الفقيه الشريف أبا القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني السبتي[324] المولد والنشأة الطالع على أفق حضرته في أيام أخيه النازع إلى إيالتهم النصرية معدوداً في مفاخر أيامها، ثم عزله.

---

(322) **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، وقد حقّق قسماً منه الدكتور أحمد مختار العبادي وحققت القسم الآخر منه الدكتورة السعدية فاغية.

(323) لم تذكر في (ط): الأشعري.

(324) وهو العلاّمة اللغوي الشهير، ويعرف أيضاً بالغرناطي، كانت حياته بين سنتَي (697 - 760) ومن آثاره المهمة كتاب **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**، الذي شرح به مقصورة النابغة الأندلسي حازم القرطاجني، وقد حققه صديقنا د. محمد الحجوي، وله تآليف أخرى أشار إليها المحقق.

وولّى القضاء بحضرته شيخنا نسيج وحده الرحلة البقية شيخ الصقع وصدر الجلّة أبا البركات بن الحاج[325].

ثم صرفه وأعاد إليها الشيخ الشريف المذكور إلى آخر مدته.

رئيس الجند الغربي

تولّى ذلك لأول الأمر الشيخ أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق، قريع دهره في النكراء[326] والدهاء المسلّم له في الرتبة عتاقةً ورأياً وثباتاً. إلى أن نكبه وقبض عليه وعلى إخوته يوم السبت التاسع والعشرين من ربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعمائة. وأقام شيخاً ورئيساً دائلهم[327] وابن عمهم المتلقف لكرة عزّهم يحيى بن عمر بن رحو، ولي ذلك بنفسه ونديمه[328] ومبرز خصاله إلى تمام مدّته.

من كان على عهده من الملوك

وأولاً بفاس ـ دار الملك بالمغرب ـ: السلطان المتناهي الجلالة أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وجاز على عهده إلى الأندلس إثر صلاة يوم الجمعة تاسع شهر صفر من عام أحد وأربعين وسبعمائة. بعد أن أوقع بأسطول الروم المستدعى من أقطارهم وقيعة كبيرة شهيرة استولى فيها من المتاع والسلاح والأجفان على ما بعد به[329] العهد واستقر بالخضراء في جيش وافر، وكان جوازه في مائة وأربعين جفناً غزوياً[330]: وبادر إلى لقائه في وجود الأندلسيين وأعيان طبقاتهم بظاهر الجزيرة الخضراء في اليوم الموفي عشرين من الشهر ونازل إثر انقضاء المولد النبوي مدينة طريف ونصب عليها المجانيق وأخذ بمخنَقها واستحث من بها من المحصورين طاغية الروم لنصرهم. فبادر يقود جيشاً يسوق الشجر

(325) أبو البركات بن الحاج البلفيقي هو محمد بن محمد بن إبراهيم له مؤلفات كثيرة، وكانت حياته محصورة في نحو (680 ـ 771)، راجع ترجمته في كتاب: **الإحاطة والكتيبة والنفح**.

(326) في (ط): في المكر.

(327) دائلهم: أي من جاء بعدهم في الحكم وأخذ دولتهم، وقد تقدّم اللفظ.

(328) في (ط): وقدمه.

(329) في (ط): على ما قدم به.

(330) في (ط): غزوية.

والمدر. وكانت المناجزة[331] يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى من العام، ومحّص الله المسلمين بالوقيعة الشهيرة وأسرع اللحاق بالمغرب مفلولاً في سبيل الله صابراً محتسباً يروم الكرة ويرتقب الطائلة، وكان ما هو معلوم عند اقتحامه حدود الشرق وتوغله في بلاد أفريقية وجريان حكم الله بالهزيمة ظاهر القيروان. وعُلقت آمال الخلق بولده مستحق الملك من بين سائر إخوته[332] وهلك على تفئة[333] التحاقه بأحواز مراكش واعتصامه بجبل هنتاتة ووقوع الهزيمة عليه بولده بأرض تامسنا ليلة الأربعاء السادس والعشرين لربيع الأول عام اثنين وخمسين وسبعمائة فاختار الله له ما لديه. واستوسق الأمر لولده أمير المسلمين بالمغرب وما إليه فارس المكنى بأبي عنان[334] المتلقب من ألقاب الخلافة بالمتوكل على الله. فقام بالأمر أحمد قيام، وأبر[335] على من تقدّمه بالهمة العالية والعرفة الفسيحة والخصل الباهر والسعد الظاهر. وجرت بين هذا السلطان وبينه المخاطبات والمراسلات وسفرت إليه عنه، واتصلت أيامه إلى آخر مدّته.

وبتِلِمْسان: عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسَن بن زيان يُكنى أبا تاشفين وقد مرّ ذكره، وهو الذي انقضى ملك بني زيان على يده لأول مدّته[336]. تولى الملك عام ثمانية عشر كما تقدم، وتهنأه إلى أن تأكدت الوحشة بينه وبين السلطان ملك المغرب فتحرك لمنازلته وأخذ بمخنقه وحصره سنين ثلاثاً واقتحم عليه ملعب البلدة ليلة سبع وعشرين من رمضان عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة، وفي غرة شوال منها دخل عليه المدينة عنوة ووقف هو وكبير ولده برحبة قصره موقف ثبات واستجماع وصبر إلى أن كوثرا وأثخنا فعاجلتهما ميتة العز[337] قبل شدّ الوثاق وإمكان الشمات.

(331) المناجزة: المواجهة الحربية.
(332) في (ط): بنيه.
(333) فئة: الفيئة: الرجعة.
(334) أبو عنان المريني، ولد بفاس سنة (729) وبايعه الناس بعد ثورته على والده سنة (759) وتوفي قتيلاً عام (759)، **الاستقصا** 12 ـ 89 ـ 101 ـ 102.
(335) في (ط): وأزلى.
(336) في (ط): أول مرة.
(337) في (ط): منية العز.

واستولى على ملك بني زيان ملك المغرب واندرج فيه إلى هذا العهد، وفي ذلك قلتُ من الرجز المسمّى بقطع السلوك في الدول الإسلامية مما يختص بملوك تلمسان له بأميرها هذا عبد الرحمن ما نصه [الرجز]:

وحلّ فيها عابد الرحمن ... فاغترّ بالدنيا وبالزمانِ
وسار فيها مطلق العنان ... من مظهر سام إلى جنان
كم زخرفت عُلياه من بنيان ... آثاره تنبي عن العيان
وصرف اللازم إلى بجايه ... فعظمت في قومها النكايه
حتى إذا ما مدّة الملك انقضت ... وأوجه الأيام عنهم أعرضت
وحقّ حق الدهر فيها ووجب ... وكتب اللّه عليها ما كتب
حث إليها السير ملك المغرب ... يا لك من مُمارس مجرب
فغلب القوم بغير عهد ... بعد حصارٍ دائم وجهد
فأقفرت من ملكهم أوطانه ... سبحان من لا ينقضي سلطانه

ثم نشأت لهم بارقة عندما جرت على السلطان أبي الحسن الهزيمة بالقيروان. وانبتّ عن أرضه وصُرفت البيعة في الأقطار إلى ولده وارتحل إلى طلب منصور ابن أخيه الداعي لنفسه بمدينة فاس. فدخلوا تلمسان وقبضوا على القائم بأمرها وقدّموا على أنفسهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن في الثامن والعشرين لجمادى الآخرة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة. واستمرت أيامه أثناء الفتنة وارتاش[338] وأقام رسم الإمرة وجدّد ملك قومه واستمرت أيامه إلى أن أوقع بهم السلطان أبو عنان الوقيعة المستأصلة التي خضدت الشوكة واستأصلت الشأفة وتحصّل عثمان في قبضته. ثم ألحقت النكبةُ به أخاه أبا ثابت فكانت سبيلهما في القتل صبراً عبرة. نفعهما الله. وذلك في وسط ربيع الأول من عام التاريخ. وتصيّر الملك للسلطان أبي عنان واندرج فيها لنظره إلى أن ثاب بعد وفاته كما يذكر إن شاء الله.

(338) ارتاش: ارتاش فلان نال خيراً أو أصابه فرثى عليه أثر ذلك.

وبتونس: الأمير أبو يحيى أبو بكر ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص. إلى أن هلك وَوُلّي ولده عمر ثم ولده أحمد، ثم عاد الأمر إلى عمر ثم استولى على الأمر السلطان أبو الحسن وقتلت عمر بعض حصصه[339] واشتمل ملك الغرب[340] لهذا العهد على ملك أفريقية [البسيط]:

وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

ثم ضم نشرهم بعد نكبته وخروجه عن وطنهم بإبراهيم ابن الأمير أبي بكر عضد أمره وجبر دعوتهم به شيخ جماعتهم وفخر أوليائهم المجتمع على أصالة دهائه[341] أبو محمد بن تافراجين.

ومن ملوك النصارى، بقشتالة: ألفونش بن هراندة بن شايجة[342] بن ألفونش بن هراندة إلى عدد جمّ. وكان هذا الطاغية مرهوباً وملكاً مجدوداً هبت له الريح وعظمت به في المسلمين النكاية وتملك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقيعة العظمى بطريف. ثم نزل[343] جبل الفتح وكاد يستولي على الأندلس، لولا أن الله تداركها بجميل صنعه وخفي لطفه لا إلّه إلا هو، فهلك بمحلته من ظاهره حتف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعمائة. وفي ذلك قلت من كلمة استعجلتها في مخاطبة السلطان رحمه الله تعالى، وأولها [الطويل][344]:

ألا حدّثاها فَهْيَ أم الغرائبِ ... وما حاضر في وصفها مثل غائبِ
ولا تخليا منها على خطر السُّرى ... سروج المذاكي أو ظهور النجائبِ

(339) كذا ورد اللفظ، وأيضاً في (م) وفي (ش): (خصصه) أو خضضه، وربما الأصح عسسه اي حرسه.
(340) في (م): ملك المغرب.
(341) في (م): على أصالة دهائه وصحة تمييزه، واعتدالِ سيرته، وكذلك كتب في النسخة (ط).
(342) في (م): شاجنة.
(343) في (ط): ثم نازل.
(344) **الصيب والجهام والماضي والكهام**: 258، **ديوان لسان الدين ابن الخطيب** 1: 112.

ومنها في وصف الكائنة:

أيوسف إن الدهر أصبح واقفاً ... على بابك المأمول موقف تائبِ
دعاؤك أمضى من مهنَّدة الظبى ... وسعدك أقضى من سعود الكواكبِ
سيوفك في أغمادها مطمئنة ... ولكن سيف اللّه ماضي المضاربِ
ولِلَّه في طي الوجود كتائب ... تدق وتخفى عن عيون الكتائبِ
تغير على الأنفاس في كل ساعة ... وتكمن حتى في مياه المشاربِ
أخذن عليه الطرق في دار طارق ... فما كفّ عنه الجيش من كف ناهبِ
فصار إلى مثوى الإهانة ذاهباً ... وخلّف عار الغدر ليس بذاهبِ
فمن قارع في قومه سنّ نادم ... ومن لاطم في ربعه خدّ نادبِ
مصائب أشجى وقعُها مُهَجَ العدى ... وكم نعم في طيّ تلك المصائبِ

وبيرجلونة: السلطان بطره المتقدم ذكره في اسم أخيه.

بعض الأحداث في أيامه

وكان الغالب على أيامه الهدنة والصلاح والخير. واتصلت يده بالسلطان أبي الحسن لأول هبوب الريح، فانعقدت السلم خليّة من رسم الضريبة[345] مدة وهي من نادر الواقعات.

وفي أيامه بُنيت المدرسة العجيبة بكر المدارس بحضرته[346]. فتمّت بحضرته وكَمُلت أوقافها. وبُني الحصن السامي الذروة المُنبئ عن القدرة في الجبل المتصل بقصبة مالقة، فعظم به الفخر وجلّ الذكر.

وفي أيامه كانت وقعة البحر بأسطول الروم، ثم الوقيعة على المسلمين بظاهر طريف حسبما تقدم به الإلماع.

(345) في (ك): من رسم الصريمة.
(346) في (م): في حضرته.

وعلى عهده تغلب العدو على قلعة يحصب[347] جارة حضرته وعلى الجزيرة الخضراء باب الأندلس في قصص طويل تضمنه كتاب **طرفة العصر**[348] وغيره من تأليفنا ثم تهنأ السلم والتحف جناح الأمنة إلى آخر مدته.

وفاتــه

وافاه[349] أمر الله جلّ جلاله أتمّ ما كان شباباً واعتدالاً وحسناً وفخامة وعزاً من حيث لا يحتسب. فهجم عليه يوم عيد الفطر من عام خمسة وخمسين وسبعمائة في الركعة الأخيرة رجل ممرور[350] ورمى نفسه عليه وطعنه بخنجر كان قد اتخذه وأغرى بعلاجه وصاح وقطعت الصلاة وسلت السيوف وتُقبض على الممرور واستُفهم فتكلم بكلام مخلط واحتمل إلى منزله مرفوعاً فوق رؤوسنا على الفوت ولم يستقر به إلا وقد قضى رحمه الله، وأخرج ذلك الممرور للناس فمُزق ثم أحرق بالنار. ودُفن السلطان رحمه الله عشية[351] في مقبرة قصره لصق أبيه، وَوُلّي أمره أكبر ولده، وبولغ في تنويه قبره بما أبرّ على من تقدمه وثبت عليه من نظم ونثر صادرين عنا[352] ما نصّه من جانب في الرخام المزخرف بذوب الذهب وسحق اللازورد:

هذا قبر السلطان الشهيد الذي كرُمت أحسابه وأعراقه، وحاز الكمال خلقه وأخلاقه. وتحدث بفضله وحلمه شامُ المعمور وعراقُه. صاحب الآثار السنية. والأيام الهنية، والأخلاق الرضية، والسيرة[353] المرضية الإمام الأعلى، والشهاب الأجلى. حسام الملة، علم الملوك الجلة. الذي ظهرت عليه عناية ربه، وصنع الله

---

(347) قلعة يحصب: وتسمى قلعة يعقوب، وتقع شمالي غربي غرناطة وهي مستقر أسرة بني سعيد.

(348) هذا الكتاب من تآليف ابن الخطيب المفقودة.

(349) في (ط): وأتاه أمر الله جلَّ جلاله.

(350) رجل ممرور: مجنون فاقد الشعور.

(351) في (م): عشية اليوم، وكذلك في (ط).

(352) في (ط): صادرين عني.

(353) في (م): والسير المرضية.

له في سلمه وفي حربه. قطب الرجاحة والوقار، وسلالة سيد الأنصار. حامي حمى الإسلام برأيه ورايته. المستولي من ميدان الفخر على غايته، الذي صحبته عناية الله في بداءة أمره وغايته، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير، الإمام الشهير، أسد دين الله الذي أذعنت الأعداء لقهره ووقفت الأيام والليالي[354] عند نهيه وأمره. رافع ظلال العدل في الآفاق، حامي حمى السنة بالسمر الطوال والبيض الرقاق. مخلّد صحف الذكر الخالد والعزّ الباقي الشهيد السعيد المقدس أبي الوليد ابن الهمام الأعلى الظاهر النسب والذات ذي العزّ البعيد الغايات، والفخر الواضح الآيات. كبير الخلافة النصرية، وعماد الدولة الغالبية. المقدس المرحوم أبي سعد فرج بن إسماعيل بن نصر. تغمده الله برحمة من عنده، وجعله في الجنة جاراً لسعد بن عُبادة جدّه. وجازى عن الإسلام والمسلمين حميد سعيه وكريم قصده. قام بأمر المسلمين أحمد القيام، ومهّد لهم بالأمن ظهور الأيام، وجلّى لهم وجه العناية مشرق القسام، وبذل فيهم من تواضعه وفضله كلّ واضح الأحكام. إلى أن قضى الله بحضور أجله على خير عمله. وختم له بالسعادة وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هدية الشهادة. وقبضه ساجداً خاشعاً، منيباً إليه ضارعاً. مستغفراً لذنبه، مطمئناً في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه. على يدي شقي قيضه الله تعالى لسعادته، وجعله سبباً لنفوذ مشيئته وإرادته. خفي مكانه لخمول قدره، وتمّ بسببه أمرُ الله لحقارة أمره، وتمكّن له عند الاشتغال بعبادة الله ما أضمره من غدره. وذلك في السجدة الأخيرة من صلاة العيد غرة شوال عام خمسة وخمسين وسبعمائة. نفعه الله بالشهادة التي كرم منها الزمان والمكان، ووضح منها على قبول الله ورضوانه البيان. وحشره مع سلفه الأنصار الذين عزّ بهم الإيمان. وحصل لهم من النار الأمان. وكانت ولايته الملك في غرة اليوم الرابع عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ومولده في الثامن والعشرين لشهر ربيع الآخر عام ثمانية عشر وسبعمائة. فسبحان من انفرد بالبقاء المحض. وحتم بالفناء على أهل الأرض. ثم يجمعهم إلى يوم الجزاء والعرض، لا إلّه إلا هو.

(354) في (ط): الليالي والأيام.

وفي الجهة الأخرى [الطويل]:

يحييك بالريحان والرّوح من قبرِ ... رضى اللّه عمّن حلّ فيك مدى الدهرِ
إلى أن يقوم الناس تعنو وجوههم ... إلى باعث الأموات في موقف الحشرِ
ولست بقبر إنما أنت روضة ... منعّمة الريحان عاطرة النشرِ
ولو أنني أنصفتك الحقّ لم أقل ... سوى: يا كمام الزهر أو صدف الدرِ
ويا ملحد التقوى ويا مدفن الهدى ... ويا مسقط العليا ويا مغرب البدرِ
لقد حط فيك الرحل أيّ خليفة ... أصيل المعالي غرةٍ في بني نصرِ
لقد حل فيك العزّ والمجد والعلى ... وبدرُ الدجى والمستجار من الذُعرِ
ومن كأبي الحجّاج حامي حمى الهدى ... ومن كأبي الحجّاج ماحي دجى الكفرِ
إمام الهدى غيث الندى دافع العدى ... بعيد المدى في حومة المجد والفخرِ
سلالة سعد الخزرج بن عبادة ... وحسبك من بيت رفيع ومن قدرِ
إذا ذُكر الإغضاء والحلم والتقى ... وحدثت عن علياه حدِّث عن البحرِ
تخوّنه طرف الزمان وهل تَرَى ... بقاءً لحيّ أو دواماً على أمرِ
هو الدهر ذو وجهين يوم وليلة ... ومن كان ذا وجهين يعتب في غدرِ
تولّى شهيداً ساجداً في صلاته ... أصيل التقى رطب اللسان من الذكرِ
وقد عرف الشهرُ المبارك حق ما ... أفاض من النعمى ووفّى من البرِ
وباكر عيد الفطر والحكمُ مبرم ... وليس سوى كأس الشهادة من فطرِ
أتيح له وهو العظيم مهابة ... وقدراً حقيرُ الذات والخلق والقدرِ
شقي أتته من لدنه سعادة ... ومنكر قوم جاء بالحادث النكرِ
وكم من عظيم قد أصيب بخاملٍ ... وأسباب حكم اللّه جلّت عن الحصرِ
فهذا عليّ قد قضى بابن ملجم ... وأوقع وحشيٌّ بحمزة ذي الفخرِ
نُعدّ الرماح المشرفية والقنا ... ويطرق أمر اللّه من حيث لا ندري
ومن كان بالدنيا الدنية واثقاً ... على حالة يوماً فقد باء بالخسرِ
فيا مالك الملك الذي ليس ينقضي ... ويا من إليه الحكم في النهي والأمرِ

تغمدْ بستر العفو منك ذنوبنا فلسنا نُرجّي غير سترك من سترِ
فما عندك اللهم خير ثوابه وأبقى ودنيا المرء خدعة مغترِّ

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه وجده[355]

حالــه

هذا السلطان مشتمل على خلال وأوصاف قلّ أن تجتمع في سواه: من حسن الصورة، واعتدال الخلق، والعراقة في الخير، وسلامة الصدر، وصحة العقد، وشمول الطهارة.

وُلّي الملك يوم وفاة أبيه ضحوة عيد الفطر من عام خمسة وخمسين وسبعمائة اختياراً لمزية السنّ ومظنّة الحصافة. وهو يافع قريب عهد بحال المراهقة، متحلٍّ بوقار وسكينة. أو إلى خلُق سبط وعفة بالغة، وسافر عن وسامة[356] يكنفها جلباب حياء وحشمة، حسن الضريبة[357] والسجية، حلو اللفظ قليل الهشّة، كثير الأناة، ظاهر الشفقة، سريع الدمعة في مَجالي الرقة[358]. عطوف مخفوض الجناح، جواد بالخِلَع الأثيرة، جزل العطية بعيد من القسوة والغلظة مائل إلى الخير بفضل السجية.

افتتحت أيامه بالسلم والهدنة، وظللت برواق الأمن والعصمة، ورُفع لأولها كل كبير عن الرعية وأخذ نفسه بالركض والثقافة في الميادين خارج مدينته والتردد في شوارع حضرته. غير متصنع في ركبته ولا متغالٍ في غرابة بزّه. فأنست العامة بقربه. وسكنت الخاصة إلى طيب نفسه، وحمد الناس فضل عفافه وإكبابه على شأنه وكلفه بما يعنيه من أمره.

(355) في (م): وأخيه.
(356) في النسخة (ط): وسافر عن جهامة.
(357) حسن الضريبة: حسن الطبيعة والجبِلّة.
(358) في (ط): في مجال الرقة.

ولمّا طرقه الحادث الجلل من الثورة به والوثوب بسلطانه واحتجازه ليلاً عن داره وكبس متبوأه[359] تخلص رابط الجأش من ملتف الهول وأسرى تحت سواد ليلته في أفراد صبية من خدمه، فلحق بوادي آش. وكان أملك لأمره[360] على قرب الجوار من عدوّه وقلة ماله، فامتُسك ونازلته المحلاّت، فأبلى من معه في الدفاع، وناصب من عدوّه. إلى أن استدعاه السلطان ملك المغرب فخرج عن وادي آش ثاني عيد النحر من العام المذكور ولحق به حالاً أعلى منازل الترفيع معلل المطلب بالمواعد إلى أن جاز البحر مرتب الألقاب مزاح العلل مسخَّرة في إجازته أساطيل العدوتين. واجتمع بملك الروم المعطي عن نفسه صفقة الإعانة والتفّ عليه الجيش المريني والجالية من مماليكه ورجاله، واهتزت الأندلس لقدومه. ولم يكد العزمُ يُنضى والأمر يُقضى[361] حتى تعرّف خبر هلاك السلطان مُعينه ورائش جناحه ومتولي جبره أمير المسلمين أبي سالم رحمه الله، فسُقِط في اليد وانحلّ ما أبرم من العزم، وتفرّق المنسوب إلى الإيالة المرينية من الجيش وانحاز إلى خارج رندة فلمَّا استقرّ الأمر وثاب الملك مُكّن من السكنى بها موصول اليد بسلطان قشتالة معللاً بوعده ممنّى بنصره. ثم اقتضت الأحوال استدعاء السلطان أبي زيان محمد ابن الأمير أبي عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان الكبير أبي الحسن من إيالة ملك الروم وتردّدت رغبات الوزير القائم بدعوته الصارف إليه بيعة عمه ومختاره من بين قرابته. فكان السلطان أبو عبد الله المذكور العمدة في خلاص أمره وتسني صرفه والضامن لما طولب به من شرطه، إلى أن اتصل بدار الملك المحصورة بابن عم أبيه[362] وأجفل عنها المحاصر. فاستمر استقرار السلطان بمدينة رندة[363] مقتضياً مواعيد التزام السلطان له قضاءها وتضمن العقد مع ملك قشتالة منابذة المتغلب على الأندلس وإعانته على استرجاع حقه، فكان العمل على ذلك.

(359) وكبس متبوأه: حوصر سكنه.

(360) في (م): لأمله.

(361) في (م): يمضي، وفي (ط): العزم ينضي، والأمر ينسى.

(362) في (ط): بابن عم عمه.

(363) رندة: مدينة شهيرة بالأندلس راجع: **الروض العطار**: 79، **وياقوت** 4: 293.

وفي أوائل شهر جمادى الأولى من عام ثلاثة وستين تحرّك الطاغية بجيش عظيم من الروم لإنجاز وعده بلغ استعداده فيه[364] إلى قود ألف عجلة ومئتين تحمل أنواع العدد المصرفة في منازلة البلاد. واستدعى السلطان من رندة فرحل إليه بمن معه واجتمع به بحصن قشرة[365] وقصد أرض المسلمين وصدم منها حصن آشر[366] المطلّ عليها إطلال الجارح المحلّق. ودخلت سرعان جيشه ما وراء قورته[367] العظمى. واشتركت مع أهله محلّ السكنى. ولم تبق إلا القصبة القديمة الجدوى. فلما رأى تحصّل من به في قبضته وتصيره إلى[368] ملكته أنف لذلك بمقتضى دينه وعفّته وسأله الإفراج عنه وقرّر عن نفسه أنه لا يباشر شيئاً من إضرار المسلمين ولو الممالات[369] عليهم ولو جرّ ذلك ملك الأرض. وطلب الانصراف. فشقّ ذلك على السلطان صاحب قشتالة واعتذر بما يتّقيه في الإفراج عما انفرد بالتغلب عليه من نكير قومه وأكد له العهد بنصره وإعانته على طلب حقه. فأطاع داعي المروءة والدين. ورضي باطراح هواه في جنب سوء القالة وادّراع المذمّة، وانصرف إلى رندة في أول[370] الشهر المذكور في الثامن منه. وهو الآن بها إلى عهد تأليف هذا الكتاب قد أقام رسماً وارتاش وسُرّ بإيالته ما يرجع إلى تلك المدينة من الحصون والأحواز والله يتولاه ويحمله على ما يحمد عقباه بمنّه.

ولـــده

ولد له إلى هذا العهد ولد ذكر اسمه يوسف على اسم أبيه.

(364) في (م): بلغ استعداده إلى قود.
(365) في (ش): ناسرة، وفي (ط): قاشرة.
(366) في (م): حصن آثر وكذا في (ك)، وحصن آثر: في الجنوب الشرقي لحصن روطة على ضفة من وادي شنيل.
(367) كذا في (ك) و(م) وفي (ش): قورية، وكذلك في (ط).
(368) في (م): في.
(369) في (م): والممالآة، وأيضاً في (ط).
(370) في (م): أوائل، وأيضاً في (ط).

وزراؤه وحجابه

قام ببابه برسم الحجابة القائد المعتمد بالتجلّة المخصوص بالقدح المعلّى من المزية، مفزع الرأي وعقدة السلطان وبقية رجال الكمال من مشيخة ولائهم[371] أبو النعيم رضوان.

وجدّد لي الرسوم الوزارية من الوقوف بين يديه في المجالس العامّة وإيصال الرقاع وفضل الأمر والتنفيذ للحكم والترديد[372] بينه وبين الناس والعرض والإنشاء والمواكلة والمجالسة في صف الموازاة مطلق الجراية مجدّد الولايات معزّز الخطّة بالقيادة بعمالة أرجية ولاية الرؤساء من قرابته مسوغ الأقطاع الجمّ من مستخلصه تولى الله جزاءه وكافأ فضله[373] بمنه.

كُتّابـه

أجريت له رسم العرض والإنشاء من جملة ما ناطه بي من الوظائف. ثم استخدمت في الكتابة والعرض أخريات أيامه كاتب الدولة الأندلسية الفقيه الكاتب أبا محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطيّة، فحمدتُ منابه تحمل[374] الكل والصبر على عبء الخدمة.

قضاتـه

جدّد أحكام القضاء والخطابة لقاضي أبيه الشيخ الشريف الأستاذ نسيج وحده وفريد دهره إغراباً في الوقار وحسن السمت، وتبحراً في علوم اللسان شيخنا أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني الجانح إلى الإيالة النصرية من مدينة سبتة إلى أخريات شعبان من عام ستين وسبعمائة وتوفي رحمه الله.

وَوُلّي خطة القضاء بعده شيخنا نسيج وحده البعيد المدى في ميدان الأصالة

(371) في (م): ولاء بيتهم، وفي (ط): ولايتهم.
(372) في (ط): والتردد.
(373) في (م): وكافأ فضله، وكذلك (ط).
(374) في (م): يحمل.

والإمامة والأصول الصائحة والسذاجة[375] والشيم الكريمة أبي البركات محمد بن محمد ابن الحاج البلفيقي[376] وهو الآن رهن الحياة ومستقضي المتصبر إليه الملك بالأندلس.

شيخ المجاهدين من المغاربة

أقرّ على الغزاة شيخهم على عهد أبيه أبا زكرياء يحيى بن عمر بن رحّو بن عبد الله بن عبد الحق مطمح الطرف ومرمى الاختيار ولباب القوم حزماً ودهاء وتجربة وإدراكاً نَسّابة القَبِيل وأصمعيَّ لغتهم وكسرى سياستهم. وزاده خصوصية بملازمة مجلس العرض وملتقى الرسل الواردة وإجالة قداح المشورة.

الملوك على عهده

بالمغرب: السلطان الشهير أمير المسلمين أبو عنان فارس ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، البعيد شأو السعادة، المصمى أغراض السداد، مطعم الظفر ومخوّل الموهبة ومتخير الله من أفنان تلك الشجرة المباركة، المستولي على الآماد البعيدة الكمالية[377] أبهة ورواء وخطاً وبلاغة وحفظاً وإدراكاً وفهماً وإقداماً وشجاعةً، إلى الرابع والعشرين من ذي حجة عام تسعة وخمسين وسبعمائة.

وَوُلّي بعده ولدُه السعيد أبو بكر، وقام بتدبيره وزيرُه. وكان في النبل والإدراك آية لو أن الليالي أمهلته. ووجّه الجيش إلى تلمسان وفيه أعلام قبيله ووجوه خاصته، فأجمعوا على تقديم منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، رجل خير قد اقتحم سنّ الكهولة، فبايعوه وأقبلوا إلى مدينة فاس فتحصن الوزير واستمسك بالولد واستبصر في المدافعة وصابر الحصار وتلاحق من الأندلس السلطان أبو سالم إبراهيم ابن السلطان أمير

(375) السذاجة: الخالصة غير المشوبة.

(376) راجع ترجمته في: **الإحاطة** 2: 143.

(377) في (ط): على الآماد الكمالية.

المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب، أجازه سلطان قشتالة لما فرّ إليه ونزل بأحواز طنجة بعد أن عرض نفسه على السواحل فوجد الغبطة بمنصور بن سليمان قد حصلت، والتف عليه قَبِيل غمارة ودخلت في أمره أصيلا وطنجة وسبتة، وتوجهت إليه الحصص، وضويق مخنقه لولا أن الله فصل الخطة بفرار القوم عن منصور بن سليمان ضربة لازب وتركه أوحش من وتدٍ في قاع. فمنهم من قصد البلد المحصور مستأمناً ومنهم من صرف وجهه إلى الأمير أبي سالم، وفر منصور بن سليمان وولده حائراً بنفسه إلى جبال بادس. وتلاحق السلطان أبو سالم بدار الملك وقد تأكد بينه وبين صاحب الأمر بها الوزير الحسن[378] بن عمر ما يمهد ذلك، فدخلها بعد خروج الوليد ابن أخيه إليه ثم الوزير يوم الخميس الخامس عشر من شعبان عام ستين وسبعمائة. واستوسق له الأمر واستحكمت الطاعة إلى اليوم العشرين من ذي القعدة[379] وأُتي إليه بمنصور بن سليمان وولده فقتلهما صبراً، نفعهما الله[380].

وقيم عليه بدعوة أخيه المختبل وفر الناس عن مصافه وذهب لوجهه حائراً بنفسه، واتبع فجيء به إلى قريب من البلد وقتل وأُتي برأسه وأخذت على الناس البيعة لأخيه أبي عمر تاشفين المتقدم[381] إشاره وفساد عقله ببلاد الروم الموجه إلى أبيه بعد سنين المستقر فتجافى عنه بسبب محنته، وأجاز البحر من الأندلس طالباً للأمر الأمير أبو محمد عبد الحليم ابن السلطان أبي علي عمر ابن السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق واستقر بتلمسان وتحرك بمن ألفاه بها من أرباب الحسائف والمتخلفة من حماة الشرق[382] قبل استيلاء الملوك من أهل الشرق على ما يجاوز حدودهم منها وبمن نزع إليه خاطباً ومستقدماً، ونازل المدينة البيضاء دار الملك في سادس محرم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة، وبرز إليه أهل

(378) في (م): الحسن وهو ما جاء في (ش) وفي (ك): الأحسن، وفي (ط): الحسن مثل (م) و(ش).

(379) في (م): ذي قعدة.

(380) في (ط): إلى اليوم العشرين من ذي قعدة.

(381) في (م): المقدم.

(382) في (م): من حماة الشرف.

المدينة في قوة وعدة، فانهزم بعد مصابرة وإبلاء واستقر بمدينة تازا ملتفاً عليه الكثير من قبيله، ثم تغلب على مدينة مكناسة وشدها بأخيه وابن أخيه، وقد كان محصوروه طيروا إلى بلد قشتالة مستدعين الأمير أبا زيان المستقر بها فوصل بعد مراوضة كبيرة يوم الإثنين ثاني وعشرين لصفر من العام المذكور، وتصير له الأمر[383] وصرف أبو عمر إلى حاله الأولى من التزام البيت موكلاً به، وبرز الجيش إلى مدافعة من بمكناسة لنظر الوزير مدير هذه الرحى، ومدير هذه الدول، المصنوع له في ذلك، المهدي إلى أقصى النبل فيه عمر ابن الوزير عبد الله بن علي الياباني[384] فكان له الظهور، وجرت على من كان بمكناسة الهزيمة، وانصرف على إثر ذلك الأمير الراتب برباط تازا إلى مدينة سجلماسة بلد أبيه لكونها مما دخل في طاعته وتبادرت إلى تقلد دعوته، وهو الآن بها إلى[385] تاريخ الفراغ من هذا التقييد، وهو غرة جمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة.

وبتلمسان: الأمير أبو حمو موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يمغراسن بن زيان المستولي عليها عند انصراف بني مَرين عنها صحبة أميرهم منصور بن سليمان المبايع بها، وهو الآن بها موصوف برجاحة وسداد.

ومن ملوك أفريقية: إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى أبي بكر بن أبي حفص بن أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكرياء، جار تدبير ملكه بيمن نقيبة شيخ الدولة أبي محمد بن تافراجين تحت مضايقة زعموا من عرب الوطن.

وبقشتالة: بطرة ابن السلطان الهونش بن هراندة بن شانجة بن الهونش بن هراندة إلى الأربعين[386] وُلِّي الملك على أُخريات أيام أبيه في محرم عام أحد وخمسين وسبعمائة وعقد معه السلم على بلاد المسلمين بعد وفاته. وغمرت الروم فتنة شغلته إلى هذا العهد، دفع الله عن المسلمين مَعَرَّته[387]، وأجراهم على خير ما عهدوه من فضله.

(383) في (م): الأمير.
(384) في (م): البياني نقلاً عن (ش)، وفي (ك): اليباباني وهو الصحيح.
(385) في (م): إبى.
(386) في (م): إلي أربعين.
(387) في (م): معرنة وهو تحريف ظاهر.

وببرجلونة: السلطان بطرة بن الهونش بن جاميش بن الهونش بن بيطرة[388] وهذا الطاغية يرجع إلى البحرية[389] ومملكته عريضة، ونازل على عهده جزيرة سردانية وانقطع بها حتى هلك عليها الكثير من أمته، وأوقع بالجنويين وقيعة كبيرة بحرية.

بعض الأحداث في أيامه

كانت أيامه هادئة قليلة الحوادث منسدلة الأمن، فلم يقع فيها كبير مستطر إلا ما كان من لحاق عيسى بن الحسن بن أبي مندل العسكري بجبل الفتح، وهو رئيسه المخصوص به من لدن فتحه وإظهاره الخلاف والامتناع سادس ذي قعدة من عام ستة وخمسين وسبعمائة. فضاقت الصدور وساءت الظنون لتوقع الفاقرة بانسداد باب الصريخ وانبتات النصرة إلا أن الله تدارك بفضله، فثار به في الخامس والعشرين من الشهر أهل الجبل، وبدا لهم في الأمر لقبض يده عن العطية وسوء السيرة، وصاح به صائح البوار فخذله أشياعه واعتصم بالبرج الأعظم وأحيط به فألقي باليد، وتقبض عليه وعلى ولده وبودر به إلى سبتة فأغرى بهما السلطان أبو عنان حليف الصنيع[390] سوء القتلة وشنيع المثلة، وقانا الله مصارع السوء.

الحادثة عليه

كان عند تصيُّر الأمر إليه قد ألزم أخاه إسماعيل قصراً من قصور أبيه بجوار قصره مرفهاً عليه متممة وظائفه، وأسكن معه أمه وأخواته منها، وقد استأثرت يوم وفاة والده بمال جَمّ من خزانته الكائنة في بيتها، فوجدت السبيل إلى السعي لولدها، فجعلت تواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي سعيد[391] جدهم الذي تجمعهم جرثومته وشمر الصهر

---

(388) في (م): يطر.

(389) في (ط): يرجع إلى ملكه الجزائر البحرية.

(390) في (م): حليف الصنع، وأيضاً في (ط).

(391) في النسخة (ط): ابن الرئيس أبي الوليد ابن الرئيس أبي عبد الله المبايع له بأندرش ابن الرئيس أبي سعيد جدهم الذين تجمعهم جرثومته.

المذكور وهو ما هو من الإقدام ومداخلة ذؤبان الرجال[392] عن ساعد جده، وراش وبرى[393] واستعان بمن أسفته الدولة وهفت به الأطماع، فتألف منهم زهاء مائة قصدوا جهة من جهات القلعة متسنمين شقًّا صعب المرتقى واتخذوا آلة تدك[394] ذروته لقعود بنية كانت به عن التمام، وكبسوا حرسياً بأعلاه بما اقتضى صماته فاستووا به ونزلوا إلى القلعة سحور الليلة الثامنة والعشرين من رمضان[395] عام ستين وسبعمائة، فاستظهروا بالمشاعل والصراخ وعالجوا دار الحاجب ففضوا أغلاقها ودخلوها فقتلوه بين أهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره. وأسرعت طائفة مع الرئيس الصهر فاستخرجت الأمير المعتقل إسماعيل وأركبته وقرعت الطبول ونودي بدعوته، وقد كان أخوه السلطان متحولاً بولده إلى سكنى الجنة المنسوبة للعريف[396] لصق داره وهي المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم البليل، يفصل بينهما وبين معقل الملك السور المنيع والخندق المصنوع، فما راعه إلا النداء والعجيج وأصوات الطبول، وهبَّ إلى الدخول إلى القلعة[397] فألفاها قد أخذت دونه شعابها كلها ونقابها، وقذفته الحراب ورشقته السهام فرجع أدراجه وسدده الله تعالى في محل الحيرة ودس له عرق الفحول من قومه فامتطى صهوة فرس كان مرتبطاً عنده وسار لوجهه فأعيا المتبع، وصبح مدينة وادي آش ولم يشعر حافظ قصبتها إلا به وقد تولج عليها[398] بابها فالتف به أهلها وأعطوه صفقتهم بالذب عنه فكان أملك بها، وتجهزت الحشود إلى منازلته وقد جدد أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة لاحتياجه إلى سلم المسلمين لجراء فتنة بينه وبين البرجلوتين من أمته. واغتبط به أهل المدينة فذبوا

---

(392) ذؤبان الرجال: ذئابهم.

(393) راش وبرى: كناية عن الاستعداد.

(394) في (م): آتة تدرك.

(395) في (م): من شهر رمضان.

(396) جنة العريف: موقعها في شمالي شرق الحمراء تحت الربوة التي عليها اليوم قصر جنة العريف.

(397) في (م): إلى القلعة.

(398) في (م): عليه، وأيضاً في (ط).

عنه ورضوا بهلاك نعمتهم دونه. واستمرت الحال إلى يوم عيد الفطر[399] من عام التاريخ. ووصله رسول المغرب[400] مستنزلاً عنها ومستدعياً إلى حضرته لما عجز عن إمساكها، وراسل ملك الروم فلم يجد عنده من معول، فانصرف ثاني يوم عيد النحر المذكور وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلاً إلى مربلة من ساحل إجازته. وكان وصوله إلى مدينة فاس ـ مصحباً من البر والكرامة[401] بما لا مزيد عليه ـ في السادس من شهر محرم فاتح عام أحد وستين وسبعمائة. وركب السلطان إلى تلقّيه ونزل إليه عند ما سلّم عليه وبالغ في الحفاية به. وكنت قد لحقت به مفلتاً من شرك النكبة التي استأصلت المال وأوهمت سوء المآل بشفاعة السلطان أبي سالم[402] قدس الله روحه.

فقمت بين يديه في الحفل[403] المشهود يومئذ وأنشدته [الطويل][404]:

سَلا هل لديها من مخبرة ذكرُ ... وهل أعشب الوادي ونمّ به الزهرُ
وهل باكر الوسميّ داراً على اللّوى ... عفت أيّها، إلا التوهُّمُ والذكرُ
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى ... بأكنفها والعيشُ فَينانُ مخضرُّ
وجَوّي الذي ربّى جناحي وكره ... فها أنذا مالي جناح ولا وَكرُ
نَبتْ بيَ لا عن جفوة وملالةٍ ... ولا نسخَ الوصل الهنيّ بها هجرُ
ولكنها الدنيا قليل متاعها ... ولذّاتها دأباً تَزور وتَزْورُّ
فمن لي بقرب العهد منها ودونها ... مدى طال حتى يومُه عندنا شهرُ
ولله عينا مَن رآنا وللأسى ... ضرامٌ له في كل جانحة جمرُ

(399) في (م): عيد الفطر، وكذلك في (ط).
(400) رسول ملك المغرب، كذا في (م) و(ط).
(401) في (م): والكرامة والقدوم.
(402) أبي سالم لم تكتب في (ط).
(403) في (ط): في المحفل.
(404) في (م): **الصيب والجهام والماضي والكهام**: غير موجودة، وموجودة في **ديوان لسان الدين ابن الخطيب** 1: 414.

وقد بددت دُرّ الدموع يدُ النوى … وللشوق أشجان يضيق بها[405] الصدرُ

بكينا على النهر الشروب عشية … فعاد أجاجاً بعدنا ذلك النهرُ

أقول لأظعاني وقد غالها السُّرى … وآنسها الحادي وأوحشها الزجرُ

رويدك بعد العسر يُسرانِ أبشري … بإنجاز وعد اللّه قد ذهب العسرُ

وللّه فينا سرّ غيب، وربما … أتى النفع من حال أريد بها الضرُ

وإن تَخُنِ الأيامُ لم تخن النهى … وإن يخذل الأقوام لم يخذل الصبرُ

وإن عركت مني الخطوبُ مجرّباً … نقاباً تساوى عنده الحلوُ والمرُّ

فقد عجمت عُوداً صليباً على الرّدى … وعزماً كما تمضي المهنَّدة البترُ

إذا أنت بالبيضاء قررت منزلي … فلا اللحم حلٌّ ما حييت ولا الظهرُ

زجرنا بإبراهيم بُرءَ همومنا … فلما رأينا وجهه صدق الزجرُ

بمنتخب من آل يعقوب كلما … دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجرُ

تناقلت الركبانُ طيبَ حديثه … فلما رأته صدّق الخَبَرَ الخُبْرُ

ندًى لو حواها البحر لذّ مَذاقُه … ولم يتعقب مدّة أبداً جَزْرُ

وبأس غدا يرتاح من خوفه الردى … وترفل في أثوابه الفتكة النكرُ[406]

أطاعته حتى العُصْمُ في قنن الربا … وهشت إلى تأميله الأنجم الزهرُ

قصدناك يا خير الملوك على النوى … لتنصفنا مما جنى عبدُك الدهرُ

كففنا بك الأيام عن غُلوائها … وقد رابنا منها التعسف والكبرُ

وعذنا بذاك المجد فانصرم الرّدى … ولُذْنا بذاك العز فانهزم الذعرُ

ولما أتينا البحر يرهب موجه … ذكرنا نداك الغمر فاحتُقر البحرُ

خلافتك العظمى ومَن لم يَدنْ بها … فإيمانه لغوٌ وعرفانه نُكرُ[407]

(405) في (م): يضيق لها الصدر، وفي (ط): يضيق بها.

(406) في (م): الفتكة البكر. في (ط): وترفل في أذياله الفتكة البكر.

(407) في (ط): ومعروفة نكر.

وَوَصْفك مُهْدي[408] المدح قَصْدَ صوابه | إذا ضلّ في أوصاف من دونك الشعرُ
دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت | وطالب منها السر للّه والجهرُ
ومدّت إلى اللّه الأكفّ ضراعة | فقال لهن اللّه: قد قضي الأمرُ
وألبستها النّعمى[409] ببيعتك التي | لها الطائر الميمون والمحتدُ الحرُّ
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكاً | وقد كان مما نابه ليس يفترُ
وأمَنتَ بالسلم البلادَ وأهلها | فلا ظُبَةٌ تعدو ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرّحاً | بأنك في أبنائه الولد البرُّ[410]
وكنت خليقاً بالإمارة بعده | على الفور، لكن كل شيء له قدرُ
وأوحشت من دار الخلافة[411] هالة | أقامت زمان لا يلوح بها البدرُ
فردّ عليك اللّه حقّك إذ قضى | بأن تشمل النعمى وينسدل السترُ
وقاد إليك الملك رفقاً بخلقه | وقد عدموا رُكْنَ الإمامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزاً ورفعة | وأجراً، ولولا السبك ما عُرف التبرُ
وأنت الذي تُدعى إذا دهم الردى | وأنت الذي تُرجى إذا أخلف القطرُ
وأنت إذا جارَ الزمانُ محكّمٌ | لك النقض والإبرام والنهي والأمرُ
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه | مَهيضٌ ومن علياك يُلْتَمس الجبرُ
غريبٌ يرجّي منك ما أنت أهله | فإن كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخرُ
ففز[412] يا أمير المؤمنين ببيعة[413] | مؤثّقة قد حل عروتها الغدرُ
ومثلك من يرعى الدخيلَ، ومن دعا | بيا لمريض جاءه العزّ والنصرُ
وخذ يا إمام الحق بالحق ثأره | ففي ضمن ما تأتي به العز والأجرُ

(408) في (ط): ووصفك يهدي.
(409) في (ط): وألبسها النعمى.
(410) في (ط): الملك البر.
(411) في (ط): بالخلافة.
(412) في (م): فغز.
(413) في (م) ببيعة.

وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم بحق، فما زيدٌ يرجّى ولا عمرو
فإن قيل مالٌ مالُك البِشْر وافرٌ وإن قيل جيشٌ عندك العسكر المَجْرُ
يكف بها العاني[414] ويحيا بك ما هد[415] ويبني بك الإسلام ما هدَّم الكفرُ
أعده إلى أوطانه عنك راضياً وطوّقه نعماك التي ما لها حصرُ
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها فقد صدَّهم عنه التغلبُ والقهرُ
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة تحاولها يمناك ما بعدها خُسْرُ
مرامك سهل لا يؤودك كلفة سوى عرض ما إن له في العلى خطرُ
وما العمر إلا زينة مستعارة تُرَدُّ ولكن الثناء هو العمرُ
ومن باع ما يفنى بباق مخلدٍ فقد أنجح المسعى وقد ربح التجرُ
ومن دون ما تبغيه يا ملك العلى جياد المذاكي والمُحَجَّلة الغرُّ
ورادٌ وشقرٌ واضحاتٌ شِياتها فأجسامها تبرٌ وأرجلها درُّ
وشهبٌ إذا ما ضمِّرت يوم غارة مطهمة غارت بها الأنجم الزهرُ
وأسد رجال من مَرين مخيفة عمائمها بيض وآسالها سمرُ
عليها من الماذيّ كل مفاضة تدافع في أعطافها اللجج الخضرُ
هُمُ القوم إن هبّوا لكشف مُلِمّة فلا الملتقى صَعبٌ ولا المرتقى وعرُ
إذا سُئلوا أعطوا وإن نوزعوا سطوا وإن وعدوا وفوا وإن عاهدوا برّوا
وإن مدحوا اهتزوا ارتياحاً كأنهم نشاوى تمشت في معاطفهم خمرُ
وإن سمعوا العوراء فرّوا بأنفس حرام على همّاتها في الوغى الفرُ
وتبسم ما بين الوشيح ثغورهم وما بين قضب الدوح يبتسم الزهرُ
أمولاي غاضت فكرتي وتبلّدت طباعي فلا طبعٌ يعين ولا فكرُ
ولولا حنانٌ منك داركتني به وأحييتني لم تبقَ عين ولا أثرُ

(414) العاني: المُتعب والمحتاج.
(415) في (م): ما هدي، في (ط): الهدى.

فأوجدتَ مني فائتاً أي فائت وأنشرت ميتاً ضم أشلاءه القبرُ

بدأتَ بفضل لم أكن لعظيمه بأهل فجلَّ اللطف وانفرج الحصرُ

وطوّقتني النعمى المضاعفة التي يقلّ عليها منيَ الحمد والشكرُ

وأنت بتتميم الصنائع كافل إلى أن يعودَ العزّ والجاه والوفرُ

جزاك الذي سنّى مقامك عصمةً يفكّ بها عانٍ وينعش مضطرُّ

إذا نحن أثنينا عليك بمدحةٍ فهيهات يُحصى الرمل أو يحصر القطرُ

ولكننا نأتي بما نستطيعه ومن بذل المجهود حقّ له العذرُ

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض، وسداد أنحاء في التأثر لنا وأغراض. والله غالب على أمره.

ومن أراد استقصاء هذه الحوادث[416] فعليه بكتابنا **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**.

وفي صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين وسبعمائة كان انصرافه إلى الأندلس.

وقد ألحّ صاحب قشتالة في طلبه وترجح الرأي على نصره. فقعد السلطان بقبّة العرض من جنة المصارة، وبرز الناس وقد أخذهم الريح، واستحضرت البنود والطبول والآلة، وألبس خلعة الملك. وقيدت له مراكبه فاستقلّ وقد التف عليه كل من جلا[417] عن الأندلس من لدن الكائنة في جملة كثيفة، وبلا من رقة الناس وإجهاشهم وعلو أصواتهم بالدعاء ما قدم به العهد. إذ كان مظنة ذلك سكوناً وعفافاً وقرباً قد ظلله الله الرحمة[418] وعطف عليه وشائج المحبة، إلى كونه مظلوم العهد منتزع الحق، فتبعته الخواطر وحميت له الأنفاس وانصرف لوجهته. وهو الآن مستقل برُندة وجهاتها، ومتعلل بألقاب ومقتنع برسم.

---

(416) في (م): ومن أراد استقصاء جزئيات هذه الحوادث، وكذلك في (ط).

(417) في (م): انجلا.

(418) في (ط): برواق الرحمة.

قد قام له برسم الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن علي بن يوسف الحضري بن كماشة[419] المستفيض عن تصرفاته عدم النجح أمراً مطرداً.

وبكتابته الفقهية أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي. وأبو عبد الله بن زَمْرَك، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا ينكر أن يستفيده عقل التجربة في مثل تلك الذات الكريمة. كان الله له ولنا بفضله.

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر أخوه المتصير إليه الملك بالأندلس بعده[420]

حالــه

كان فتى وسيماً بديناً على حداثة سنه، ويرحم الله العتبي وقد سأله الحجاج عن سمنه وهو مجلوب إليه من سجنه فقال: (القيد والرتعة، ومن يَكُ ضيفَ الأمير يسمن)، حسنَ الصورة والقدّ، خنثاً مضعوفاً لمكان الاعتقال ومجاورة النساء، منحطاً في درك اللذة، قاصر الهمة، على حياء ودماثة. قام بأمره ابن عم أبيه، وأقعده الأريكة، وضم له الرجال. فلما استوسق الأمر اعتز بمن لنظره واستجلب لهم الفوائد وسوغهم المناصب. واستغلظ ما شاء، وانحط له في رتبة الخدمة والنصيحة وأسرّ الحَسْوَ في الارتغاء، ولم يوفق الله هذا الأمر لمراعاته، وإيجاد ما تستبقى به حشمته. وساء ما بينهما من غير حذر يؤخذ ولا تقية تستشعر، فانكدر سريعاً نجمه وسلط به سطوة شنعاء حسبما يتقرر في وفاته، فمضى لسبيله رحمه الله.

وزراؤه

قدّم للوزارة عشيّ يوم ولايته محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري، القائد

---

(419) لم يذكر ابن كماشة في (ط).

(420) من هنا يبتدئ السقط في (ق)، لذلك سنعتمد في النقل عن النسخة (ط).

المخصوص بالحُظْوَة، النبيه النشأة، الكثير الترف، المتصف من السكون والخيرية قبل الوزارة بما جرى الرسم منه بخلافه بعدها، المترامي إلى أقصى آماد البأو والاغترار. فاتصلت أيامه إلى آخر أيام أميره القصيرة، وأعمل التدبير عليه مع مبيره ـ زعموا ـ من غير جريرة أسف بها ولا نعمة نقصه إياها. فلما تم عليه التدبير قام للمتولّي بعده برسم الوزارة أياماً من شهر رمضان واتهمه واحتج بكتب ـ في مخاطبة سلطان المغرب ـ تبرأ منها فلم يقبل عذره ولا أقال عثرته، وتقبض عليه وعلى ابن عمه وثلاثة من ولدهما فبُعثوا على ظهر إلى ساحل المنكّب فأغرقوا به جميعاً، فلم تبكِ عليهم السماء ولا الأرض. وقانا الله سوء المصرع وحملنا تحت العافية.

كُتّابه

استقل بالكتابة عنه الفقيه أبو محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية المحاربي مخلّفي على الكتابة العليا من رسوم الخدمة المنوطة بي إلى أخريات أيامه.

قضاته

تولّى له خطة القضاء الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي، من وجوه الحضرة ونجباء أحداث فضلائها، ثم صرفه عن الخطة وقدم لها أبا القاسم سلمون بن علي بن سلمون من شيوخ قضاة الأندلس وحلفاء السداد إلى آخر مدته.

شيخ الغزاة على عهده

شيخ الغزاة على عهد أخيه انقاد له وحطب في حبله وأقصر عن نصرة أخيه، فاستمر على ولايته بقية أيامه.

الحوادث في أيامه

لم يكن في أيامه ما يُسطّر لضيق مجالها عن ذلك.

وفاتــه

وثار به ابن عمه وقد أوحشه وتنكر له. ومع ذلك فهو مقر له بجواره. غاصة قلعته من فرسانه ورجاله. فكبسه ليلة السابع والعشرين من شهر شعبان عام أحد وستين وسبعمائة. وقد استركب فرسانه واستنجد رجاله وداخل وزيره وحافظ بابه وأمين سدته يعرف بالموروري واهتبل غرته وهو متبدل في بعض قصوره، فأحاط به، ولجا أمامه إلى برج عظيم مطل على البلد واستجار بالناس ومعه لمة من الأحداث فانحاش إلى ما تحت ذلك الصرح خلق لا حيلة لهم إلى نصره. ثم ألقى باليد ونزل طامعاً في العود إلى الثقاف الذي ألفه، فتقرعه ابن عمه ووقفه على ذنوبه إليه وكفران سعيه. ثم أمر بثقافه فذهب الرجال به إلى طبق أرباب الجرائم بإزاء قصره حافياً حاسراً. ولما استقر بالأرى حيث الطبق أشير بقتله، فتعاورته السيوف لحينه، وبودر بحز رأسه وطرحه إلى الناس الذين خفوا للتمويه بنصره، فاحتمله بعضهم بمعلاق ضفيرة شعر جَثْل كان يرسلها ما بين كتفيه وأُلحق به ساعتئذٍ أخوه الصبي الصغير (قيس) وطرحت جثتاهما بالعراء مغطاة بأسمال، إلى أن ووريا، فكان في أمرهما عبرة.

أمير المسلمين محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر

المستأنف الولاية، المقال العثرة، الظاهر الكرامة

عاد إلى ملكه من غير مظاهرة ولا حيلة. وقد خلص إلى الله قصده وظهر من ملك قشتالة انتباذه، وضاق عن الصبر مسلكه، فصرف وجهه إلى مالقة مستميتاً، ففتح الله له حصون طريقه إليها من الغربية وصاح بأهلها إلى طاعته فتغلب على من بقصبتيها واتصل خبر تملكه إياها بعدوه المتوثب على دار ملكه ففرّ إلى ملك الروم، وأسرع هو إلى اللحاق بالحضرة فدخل حمراءها في منتصف اليوم العشرين لجمادى الآخرة، وأنفذ إليه ملك الروم رأس عدوه عن قرب من ذلك مع رؤوس مُمدّيه في الغي فاستوسق له الأمر وانسدل به الستر وثار عليه في الحضرة بممالأة أشرار من جنده علي بن علي بن أحمد بن نصر ـ الشيخ الزَّمِن ـ

فأظفره الله به. وهو الآن أمير المسلمين بالأندلس جامع الشمل وعمدة الدين وخريج الحنكة ومدره التجربة، قد ظهر أمره وبان استقلاله، وسطعت سعادته وجرى على التوفيق تدبيره، أعانه الله وأعزه بمنه.

وزراؤه

اقتضى حزمه وحذره إهمال هذا الرسم، ومباشرة أمره بنفسه، فاستقامت حاله والحمد لله.

كاتبه

الفقيه الطرف في الإدراك، اللعوب بأطراف الكلام المشقق، فارس النظم ثم النثر وينبوع الحلاوة، أبو عبد الله بن زَمْرَك.

قضاته(421)

قضى له الفقيه الوزير الوقور الخير أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي، ثم الفقيه الفاضل قريع الأصالة وخِدْن السداد أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي.

شيخ الغزاة على عهده

يحيى بن عمر بن رحو إلى الثالث عشر من رمضان عام أربعة وستين، وتقبض عليه وعلى ابنه فأركبه الأدهم الحرون وأسكنه المطبق بقصبة المنكب، فاستلبه جاهاً عريضاً وملكاً كبيراً وأحاق به مكروهاً مبيراً.

الملوك على عهده

بالمغرب وتلمسان وأفريقية وقشتلية ورغون: الملوك على عهد سواه من قبله آنفاً.

الأحداث في أيامه

تخليد الأثر الكبير ببابه، المتخذ لقعود الناس وحديث العافية المعاد بسعادة

(421) إلى هنا ينتهي السقط في (ق).

نصبته إلى حين الفراغ من التأليف، وهو آخر محرم فاتح عام خمسة وستين وسبعمائة[422].

وهذا الكتاب عيون ونكت ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتاب **نفاضة الجراب** من تأليفنا[423]. والله يحسن العقبى في الآخرة والأولى فإليه الرجعى لا إلّه إلا هو.

(كمل والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً بتاريخ ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين لشهر ربيع الثاني عام تسعة وستين وسبعمائة)[424].

---

(422) كتب في النسخة (م): خمسة وستين وتسعمائة، وهو خطأ ظاهر لأن وفاة المؤلف كما تقدم كانت عام 776هـ.

(423) أشرنا إليه سلفاً.

(424) جاء بعد تلك الخاتمة في (م): تمّت **اللمحة البدرية**، والكلام بعدها انفردت به النسخة (ق). أما النسخة (ط) فقد ختمت بقول ناسخها من خط مؤلفها «انتهى بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً على يد ناسخه إبراهيم بن محمد الوزير الشهير بالغساني ـ لطف الله به ـ وكان الفراغ من نسخه ثاني وعشرين ربيع النبوي، تسعين وتسعمائة، بمدينة فاس من نسخة نسخت بخط مؤلف الكتاب، رحمه الله تعالى والمسلمين، آمين».

الفهارس والكشّافات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأمثال

فهرس الأشعار

أ ـ الأبيات

ب ــ الأشطار

فهرس الكتب الواردة في المخطوط

فهرس الأعلام

فهرس الأجناس والقبائل

فهرس البلدان والأماكن

المصادر والمراجع

أولاً ـ المخطوطة:

1 ـ **إدراك الأماني من كتاب الأغاني**، عبد القادر السلوي الأندلسي الفاسي، مخط: الخزانة الحسنية، الرباط، رقم (2706).

2 ـ **رونق التحبير في السياسة والتدبير**، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء بن سماك، مخط: الخزانة العامة، الرباط، رقم (1182د).

3 ـ **سبك المقال لفك العقال**، عبد الواحد بن الطوّاح، مخط: الخزانة الحسنية، رقم (105).

4 ـ **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**، عبد القادر السلوي الأندلسي، مخط: الخزانة الحسنية، (925).

5 ـ **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، محمد لسان الدين ابن الخطيب، مخط: خزانة القرويين، فاس، مخط الخزانة العامة بالرباط رقم (256).

6 ـ **المعرب المبين لما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين**، محمد بن القاسم بن زاكور، مخط: الخزانة العامة، رقم (40ج).

ثانياً ـ المرقونة:

1 ـ **ابن الجيّاب الغرناطي (حياته وشعره)**، علي محمد النقراط، إشراف الدكتور علال الغازي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1991 ـ 1992.

2 ـ **حركة الجهاد المشترك في ظل الصلات بين بني الأحمر بغرناطة وبني مرين بفاس (1275 ـ 1375)**، المبروك غنية الأسطى، أطروحة ماجستير، جامعة الفاتح، 1983.

3 ـ **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**، الشُريف السبتي، تحق: محمد الحجوي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1985 ـ 1986.

4 ـ **مذكرات ابن الحاج النميري**، إبراهيم بن الحاج، تحَق: بريمير.

5 ـ **مناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن**، علال الغازي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1985 ـ 1986.

6 ـ **مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن**

الهجريين، علي لغزيوي، إشراف د. محمد بن شريفة، جامعة محمد الخامس، الرباط.

ثالثاً ـ المطبوعة:

1 ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة** (4ج)، محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، مصر، 1394/ 1974.

2 ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة** (نصوص جديدة لم تنشر)، محمد لسان الدين الخطيب، تحق: د. عبد السلام شقور، مؤسسة التغليف والطباعة، المغرب، 1988.

3 ـ **أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر**، مؤلف مجهول، تحق: د. حسين مؤنس، الزهراء للأعلام، القاهرة، 1991.

4 ـ **الأدب العربي في الأندلس**، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.

5 ـ **الأدب الأندلسي في عصر الموحدين**، د. حكمت علي الأوسي، مكتبة الخانجي، مصر، بدون تاريخ.

6 ـ **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، أبو عبد الله الشماع، تحق: د. الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1984.

7 ـ **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، أحمد بن خالد الناصري، تحق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

8 ـ **الإسلام في المغرب والأندلس**، أ. ليڤي بروفنسال، تر: د. السيّد محمود عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسس شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990.

9 ـ **الإشارة إلى أدب الوزارة** (تليها مقامة السياسة)، محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحق: د. محمد كمال شبانة، مطبعة الساحل، الرباط، بدون تاريخ.

10 ـ **الأعلام** (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

11 ـ **آفاق غرناطة** (بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي)، عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة، دمشق، 1988.

12 ـ **ألف سنة من الوفيات**، ابن قنفذ والونشريسي وابن القاضي، تحق: د. محمد حجي، دار المغرب، المغرب، 1396/ 1976.

13 ـ **أوصاف الناس في التواريخ والصلات**، محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحق: د. محمد كمال شبانة، المغرب، الإمارات، 1977.

14 ـ **أمثال العوام في الأندلس**، أبو يحيى عبيد الله الزجالي القرطبي، تحق: د. محمد بن شريفة، وزارة الدولة للثقافة، المغرب، 1395/ 1975.

15 ـ **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، يحيى بن خلدون، تحق: د. عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.

16 ـ **بلاغة العرب في الأندلس**، د. أحمد ضيف، مطبعة مصر، مصر، 1342/ 1924.

17 ـ **البيان المغرب في أخبار المغرب**، ابن عذاري المراكشي، مكتبة صادر، بيروت، 1950.

18 ـ **تاريخ الأدب العربي**، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1992.

19 ـ **تاريخ إسبانية الإسلامية (أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)**، محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، 1956.

20 ـ **تاريخ أفريقية في العهد الحفصي**، روبار برنشفيك، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

21 ـ **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**، عبد الرحمن بن خلدون، تحق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ.

22 ـ **جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى**، يحيى بن عاصم، تحق: د. صلاح جرّار، دار البشير، الأردن، 1989.

23 ـ **الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع**، إسماعيل الخطيب، جمعية البعث الإسلامي، المغرب، 1406/1986.

24 ـ **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، د. حسن علي حسن، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

25 ـ **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** (3ج)، شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، لبنان، بدون تاريخ.

26 ـ **ابن الخطيب بسلا**، جعفر أحمد الناصري، الخزانة العلمية الصبيحية، سلا ـ المغرب، 1988.

27 ـ **ابن الخطيب من خلال كتبه** (2ج)، محمد بن أبي بكر التطواني، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1954.

28 ـ **درّة الحجال في أسماء الرجال**، أحمد محمد المكناسي، تحق: د. محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، دار التراث، تونس، مصر، 1970.

29 ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أحمد بن حجر العسقلاني، تحق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ.

30 ـ **ديوان ابن سهل الأندلسي**، تحق د. احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1980.

31 ـ **ديوان لسان الدين ابن الخطيب** (2ج)، محمد لسان الدين، تحق: د. محمد مفتاح، دار الثقافة، المغرب، 1409/1989.

32 ـ **سبك المقال لفك العقال**، عبد الواحد بن الطوّاح، تحق: د. محمد مسعود جبران، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1996.

33 ـ **السلطنة الحفصية**، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986.

34 ـ **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، محمد بن جعفر الكتاني، المغرب، 2004.

35 ـ **ظهر الإسلام** (3ج)، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1962.

36 ـ **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1959.

37 ـ **غرناطة في ظل بني الأحمر** (دراسة حضارية)، د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، 1413/ 1993.

38 ـ **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، ابن قنفذ القسنطيني، تحق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، 1968.

39 ـ **الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب**، عبد العزيز بن عبد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403/ 1983.

40 ـ **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب**، د. محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، 2004.

41 ـ **في الأدب الأندلسي**، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، لبنان.

42 ـ **القاموس المحيط**، مجد الدين الفيروزأبادي، ط2، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1371/ 1952.

43 ـ **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.

44 ـ **لسان الدين ابن الخطيب** (حياته وتراثه الفكري)، محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1978.

45 ـ **لسان الدين في آثار الدارسين**، د. حسن الوراكلي، المغرب - الرباط، منشورات عكاظ.

46 ـ **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، محمد لسان الدين ابن الخطيب

أ ـ تحق: أ. محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، 1928.

ب ـ نشر دار الآفاق، دار الآفاق عدة طبعات، بيروت، (1399/ 1978).

جـ ـ تحق: محمد زينهم محمد عزب، مصر، الدار الثقافية للنشر (1425 ـ 2004).

47 ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف**، رتبه د. أي. ونسنك، ليدن، مكتبة بريل، 1936.

48 ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطابع الشعب، 1378.

49 ـ **المعجم الوسيط**، د. إبراهيم أنيس وجماعة، مجمع اللغة العربية، مصر.

50 ـ **مظاهر الثقافة المغربية**، د. محمد بن شقرون، مطبعة الرسالة، الرباط، 1970.

51 ـ **المغرب عبر التاريخ**، د. إبراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984.

52 ـ **منوعات ابن الخطيب**، الحسن محمد السائح، وزارة الأوقاف، الرباط، 1978.

53 ـ **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، محمد لسان الدين ابن الخطيب، تحق: د. محمد كمال شبانة، اللجنة المشتركة، المغرب، 1976.

54 ـ **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، إسماعيل بن الأحمر، تحق: د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، لبنان، 1967.

55 ـ **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، محمد لسان الدين ابن الخطيب

أ ـ تحق: د. أحمد مختار العبادي، دار الكاتب العربي، مصر، 1989.

ب ـ تحق: د. السعدية فاغية، المطبعة الحديثة، المغرب، 1989.

56 ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**

أ ـ أحمد المقري، تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب، بيروت.

ب ـ تحق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

رابعاً ـ الدوريات:

1 ـ **جوانب من الفكر السياسي للسان الدين ابن الخطيب**، د. وداد القاضي، مجلة الفكر العربي، ع23، س3، 1985.

2 ـ **ابن الخطيب السلماني**، عبد الكبير الفهري الفاسي، دعوة الحق، ع7، س2، 1959.

3 ـ **ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي**، د. محمد زنيبر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع2، س1977.

4 ـ **رتيمة المودع وتعلّة القلب المتصدع**، لسان الدين ابن الخطيب، تحق: د .محمد مسعود جبران، مجلة كلية الآداب، اللسان المبين، جامعة الفاتح، ع 3، س 2006.

5 ـ **كتب تراجم الرجال بالأندلس نظرات في الضبط والتحقيق**، د. عبد الله المرابط الترغي، ندورة التراث المغربي والأندلسي ـ التوثيق والقراءة، 1991.

6 ـ **لسان الدين وكتاباته التاريخية**، د. أحمد مختار العبادي، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع2، س1985.

7 ـ **المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب** (713/776هـ)، د. محمد كمال شبانة، دعوة الحق، ع8، س9، 1966.

8 ـ **مجلة كلية الآداب بتطوان** (جامعة سيدي محمد بن عبد الله)، عدد خاص بندوة سبتة التاريخ والتراث، ع3، س3، 1989.

9 ـ **ندوة التراث المغربي والأندلسي ـ التوثيق والقراءة**، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، 4 ندوات، 1991.

10 ـ **نص أندلسي جديد «استنزال اللطف الموجود من أسر الوجود»**، محمد لسان الدين بن الخطيب، تحق: د. محمد مسعود جبران، ع21، س2004.

الملحق

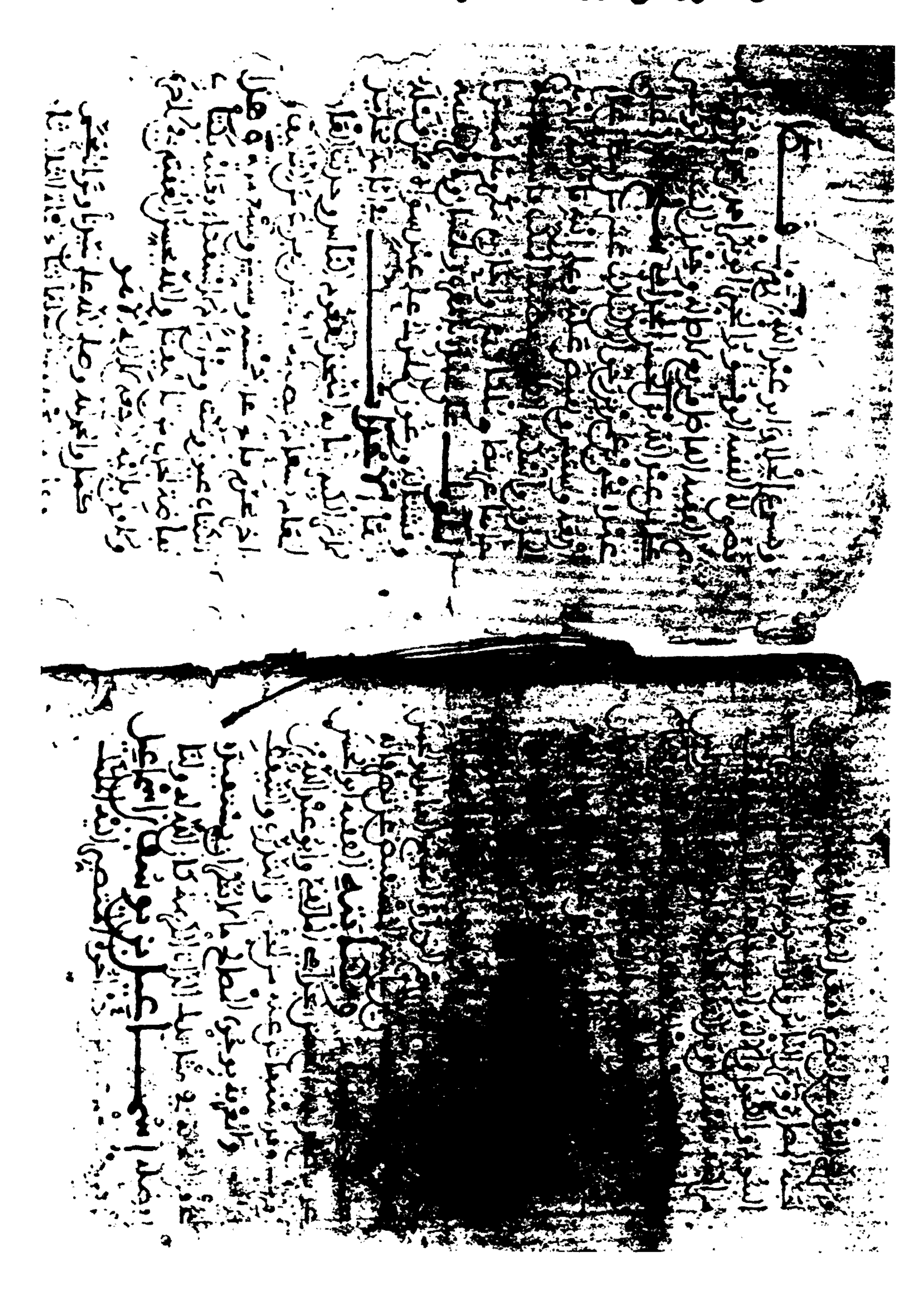
1 ـ أوراق مصورة من المخطوطة (ق) خزانة القرويين

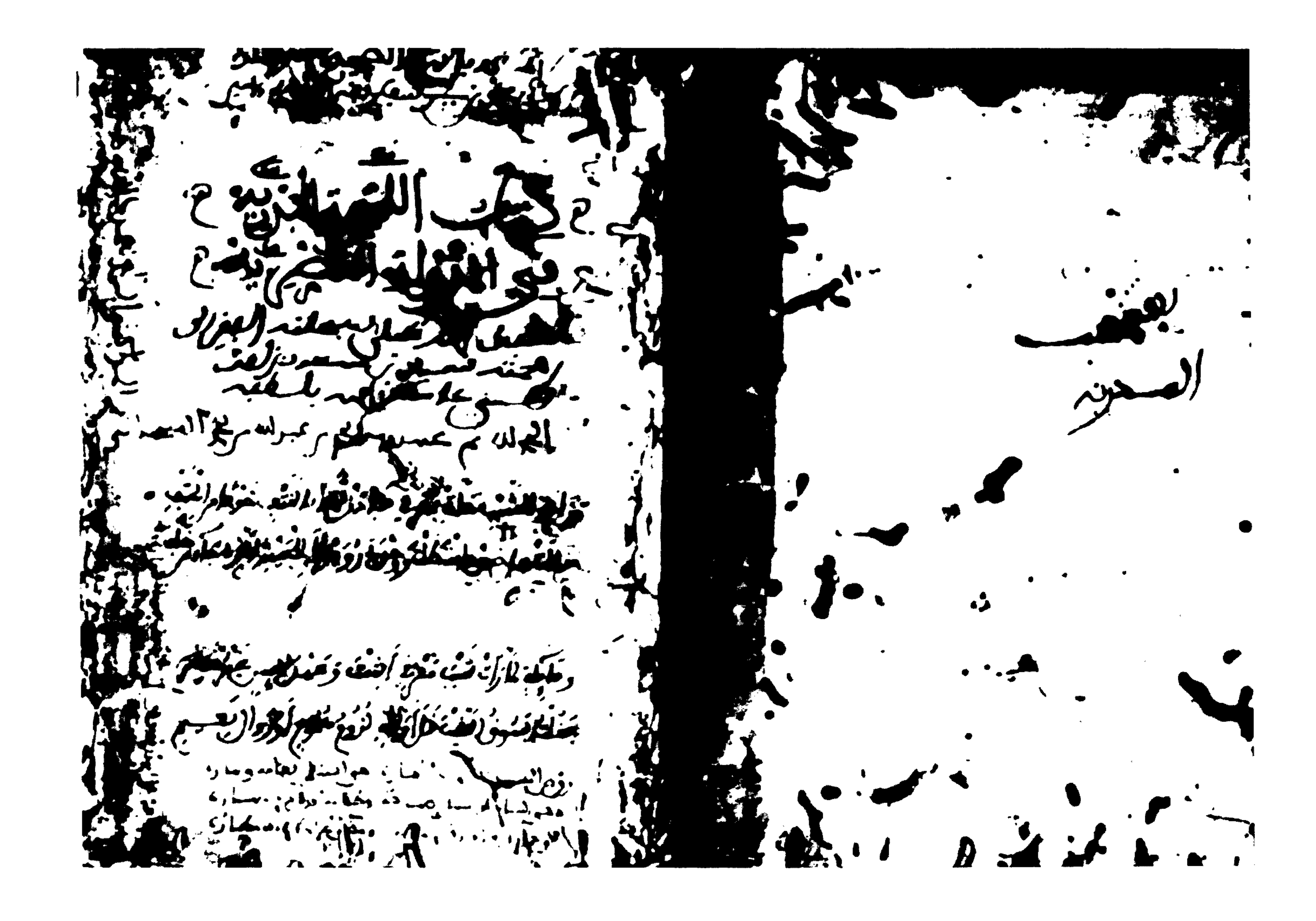
2 ـ أوراق مصوّرة من المخطوطة (ط) الخزانة العامة بالرباط

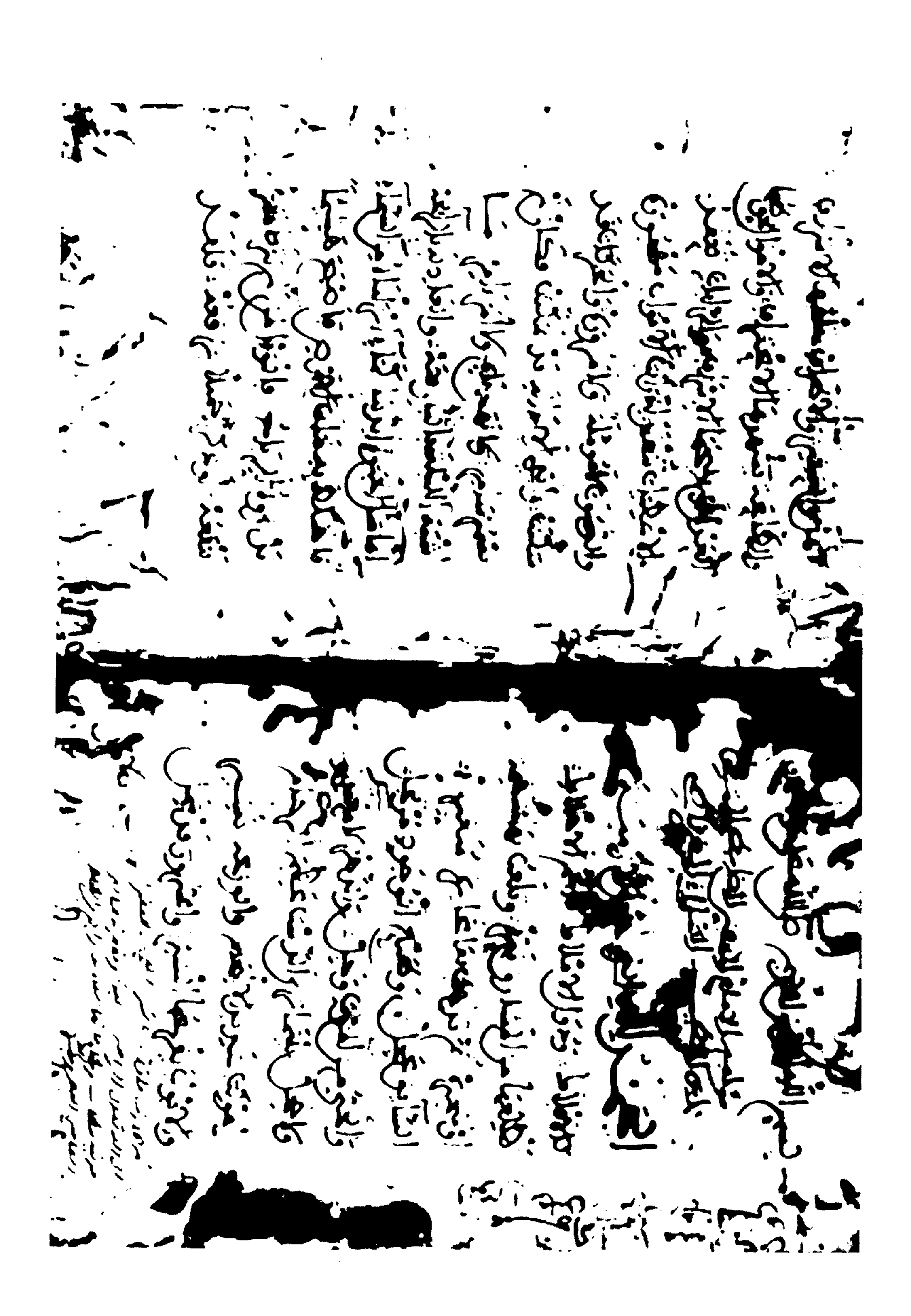
3 ـ أسماء ملوك بني نصر وسلاطينها بغرناطة إلى عهد المؤلف ابن الخطيب

4 ـ صور من قصر الحمراء بغرناطة مقر حكام الدولة النصرية أو دولة بني الأحمر، وجنّة العريف حيث تولّى ابن الخطيب منصب ذي الوزارتين وغيره من المناصب. ولست أشك في أن عبقرية المكان ـ كما تجلوه الصور ـ كان عاملاً مهماً في عبقريته المتميّزة الخالدة.

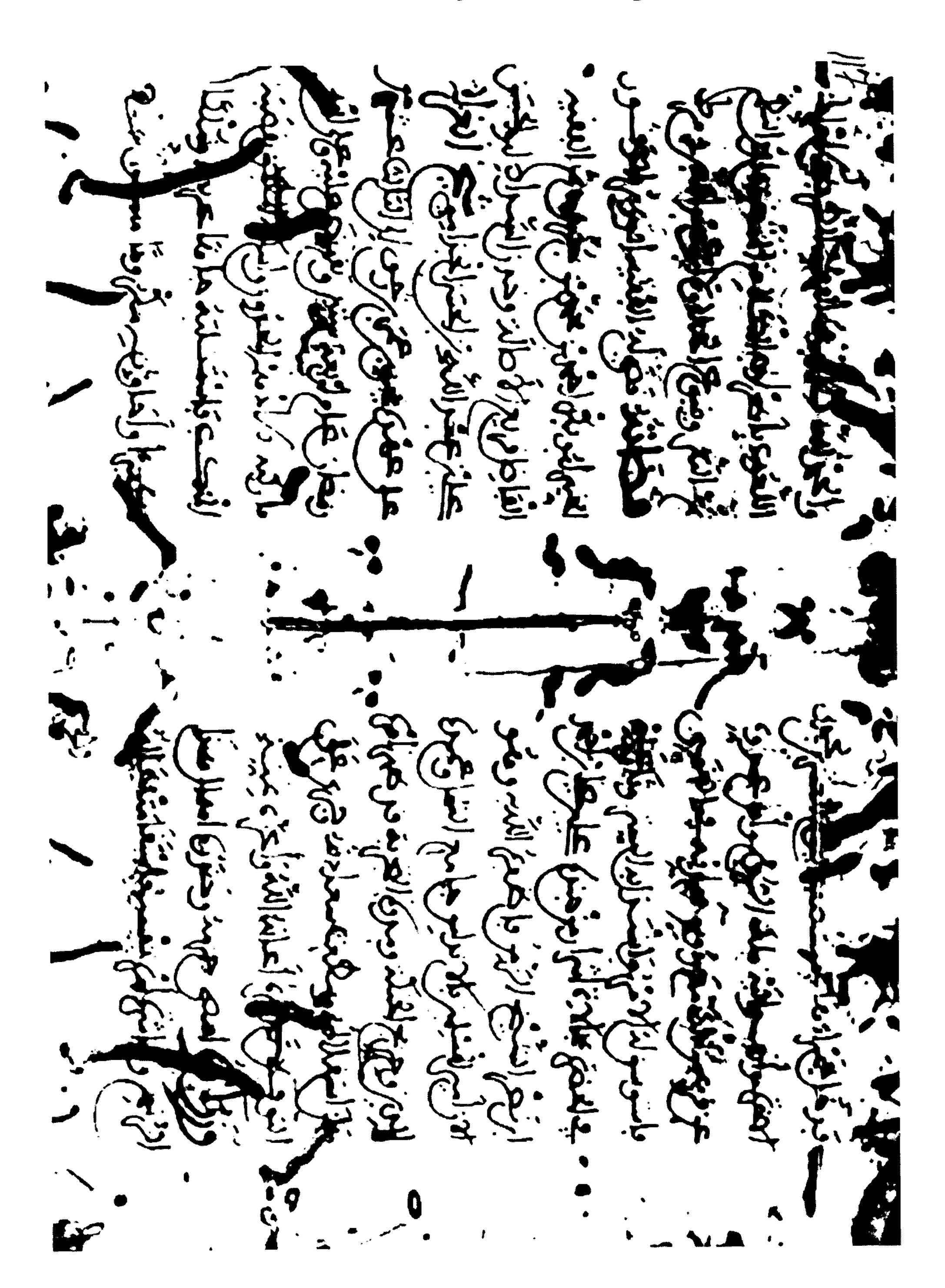
(1) ـ ملحق صور من أوراق المخطوط (ق)

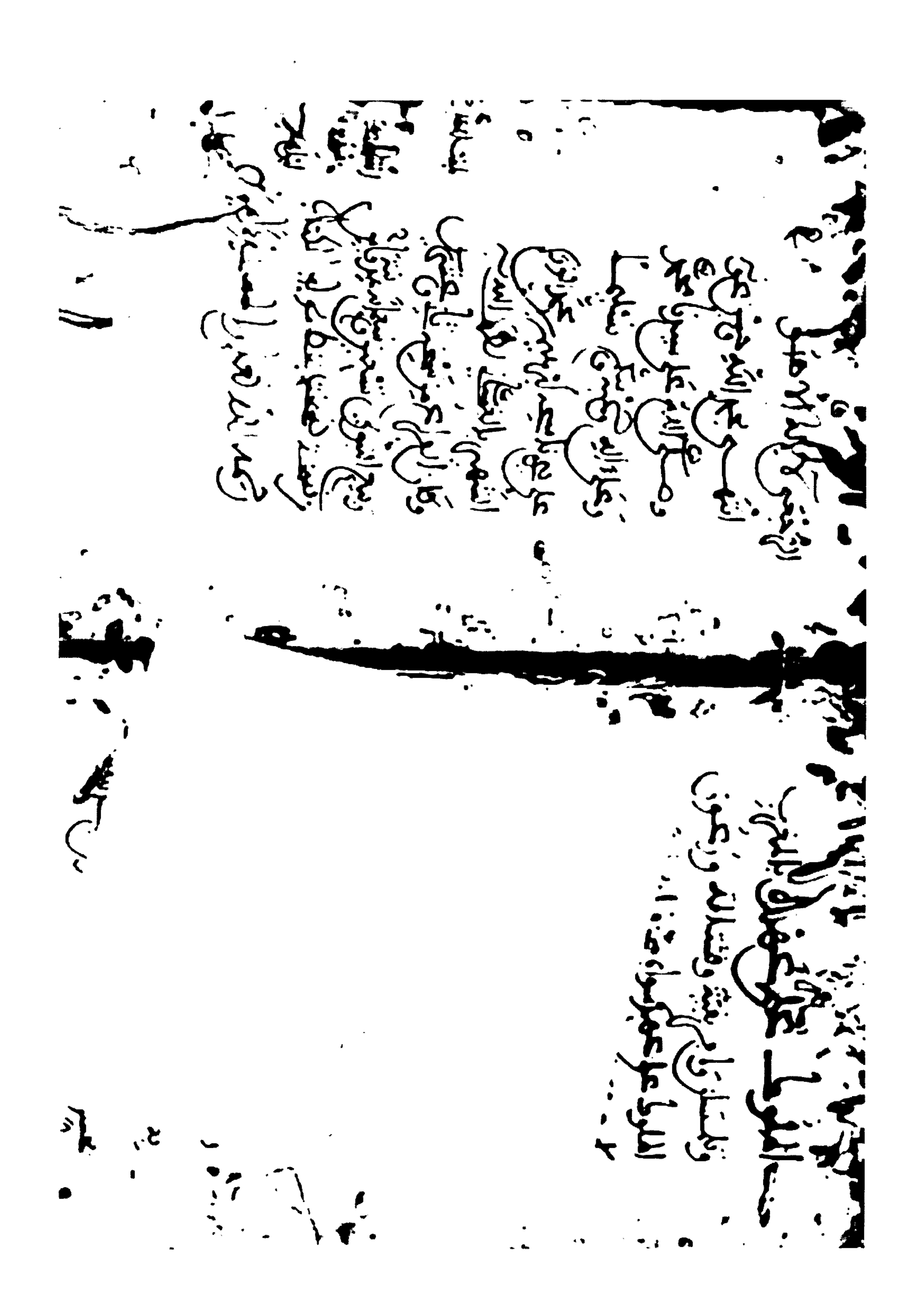






(2) ـ ملحق صور من أوراق المخطوط (ط)





(3) ـ ملوك غرناطة وسلاطينها إلى عهد ابن الخطيب

1 ـ محمد الأول بن يوسف بن الأحمر، (635/ 1238 ـ 671/ 1272)

2 ـ محمد الثاني الفقيه، (671/ 1272 ـ 701/ 1302)

3 ـ أبو عبد الله محمد الثالث المخلوع، (701/ 1302 ـ 708/ 1309)

4 ـ نصر أبو الجيوش (708/ 1309 ـ 713/ 1314)

5 ـ أبو الوليد إسماعيل الأول (713/ 1314 ـ 725/ 1325)

6 ـ أبو عبد الله محمد الرابع (725/ 1325 ـ 733/ 1333)

7 ـ أبو الحجاج يوسف الأول، (733/ 1333 ـ 755/ 1354)

8 ـ محمد الخامس (المرّة الأولى)، (755/ 1345 ـ 760/ 1359)

9 ـ إسماعيل الثاني، (760/ 1359 ـ 761/ 1360)

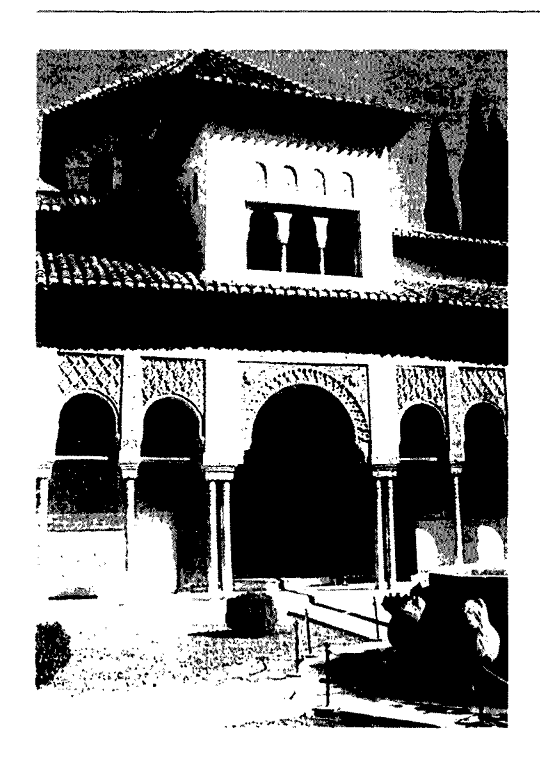
10 ـ أبو عبد الله محمد السادس، (761/ 1360 ـ 763/ 1362)

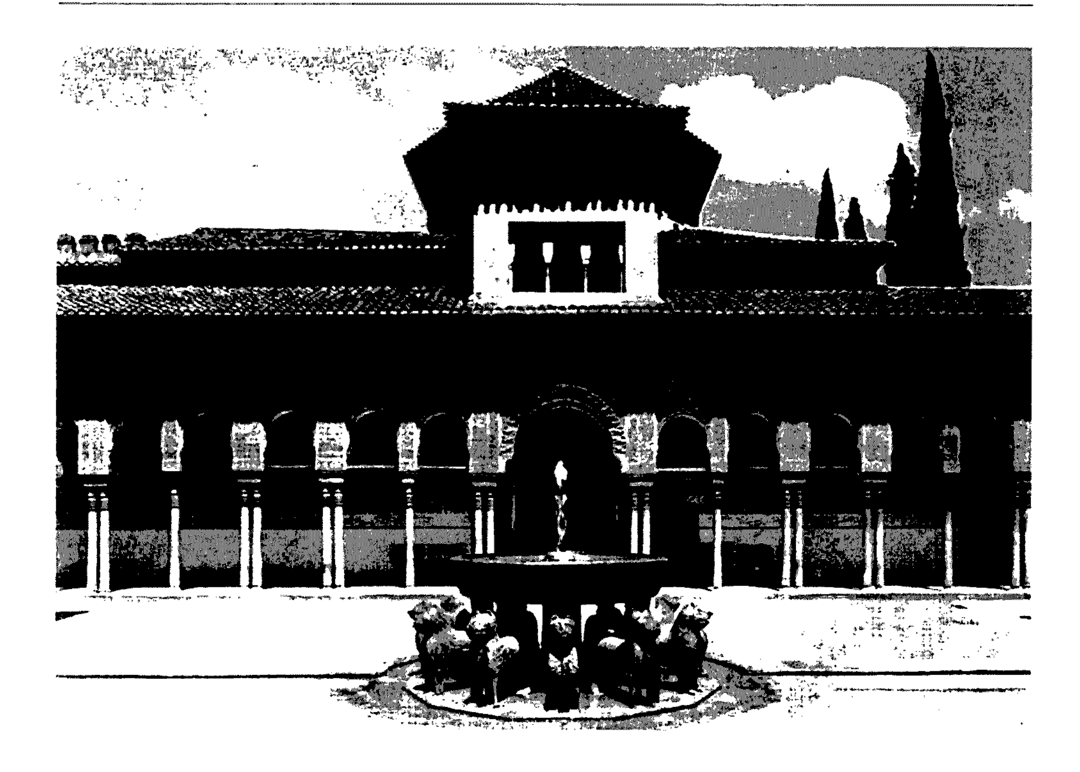
11 ـ محمد الخامس (المرّة الثانية)، (763/ 1362 ـ 793/ 1394)

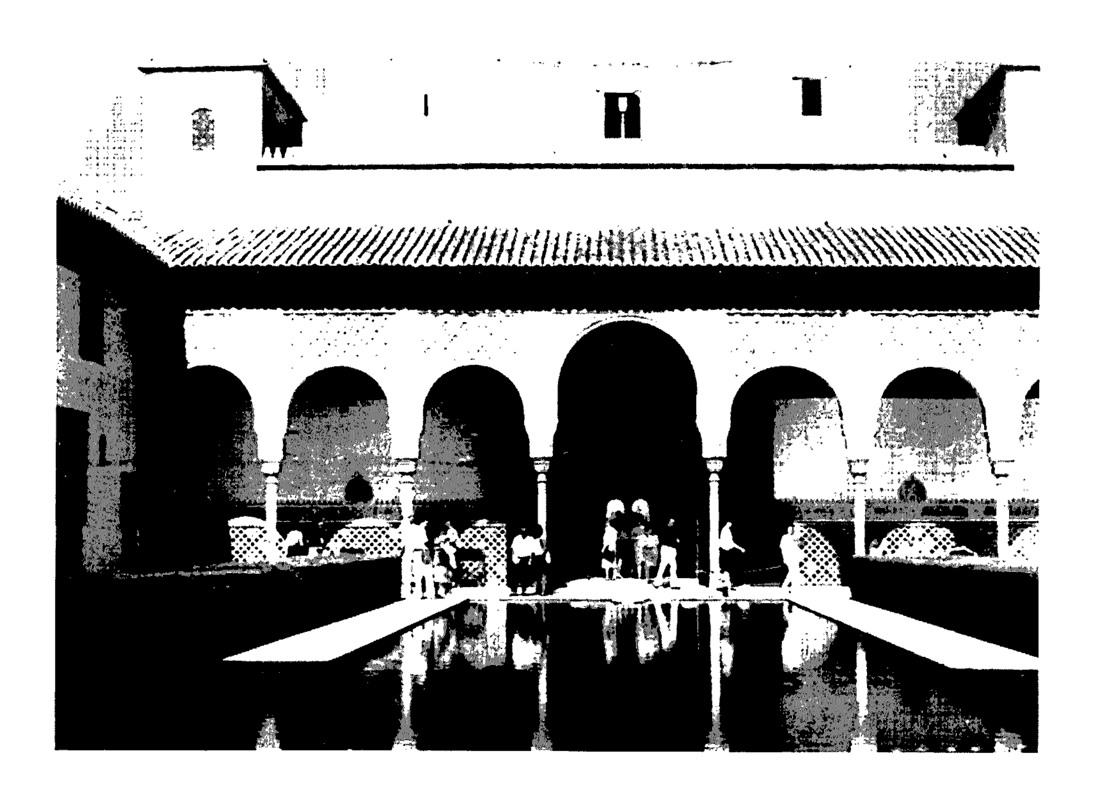
(4) ـ ملحق الصور

أ ـ قصر الحمراء بغرناطة

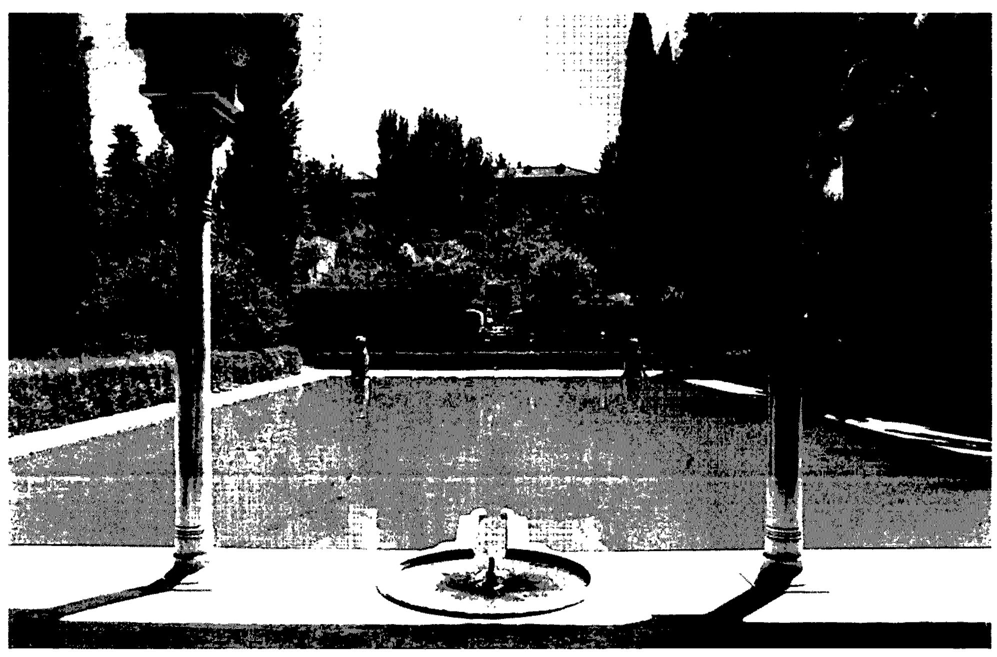
ب ـ جنّة العريف بغرناطة













المحتويات

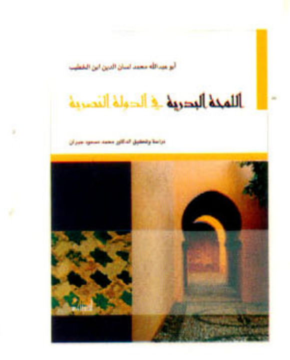


تحقيقات

- ديوان الجوالات لمالك بن المرحَّل،
  بيروت - لبنان: دار المدار الإسلامي، 2004.
- سبك المقال لفك العقال، تأليف عبد الواحد بن الطوّاح.
  بيروت - لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.
  ط2، جمعية الدعوة الإسلامية، 2007.
- إيضاح المبهم من لامية العجم، تأليف أبو جمعة سعيد الماغوسي.
  بيروت - لبنان: دار المدار الإسلامي، 2009.

قيد الإعداد

- أعلام الحركة الفكرية والأدبية في الغرب الإسلامي (العصر الحديث).
- ارتسامات الأسفار (كتاب في فن الرحلة).
- لمحات من الحياة الفكرية في نيجيريا.
- أعلام الإسلام (العصر الحديث).
- الحركة الأدبية والفكرية في ليبيا (معالم وأعلام).
- تراجم الأعلام في طرابلس الغرب.
- أصول البحث والتحقيق.
- الأدب الليبي الحديث.
- أسماء الله الحُسنى لمحمد غالب المصراتي (تحقيق).
- جَهْد المقل (مقطعات وقصائد شعرية)...



اللمحة البدرية في الدولة النصرية

يعكف الدكتور محمد مسعود جبران منذ مدّة طويلة على دراسة الأدب الأندلسي، وذلك ضمن مساقين مختلفين:

الأول، تقديم دراسات تتّسم بالرّصانة والعمق والتوثيق العلمي.

الثاني، العمل على تحقيق نصوص مجهولة ومهمّة، ويعتبر الحصول عليها أيضاً مهمّة مستحيلة، ما بالك بتحقيقها ودراستها؟

ولا يَخفى على القارئ اللبيب، والمتابع، وخصوصاً في السنوات الأخيرة، نُدْرَة الدراسات والدارسين والمتخصصين في حقلَي الدراسات الأندلسية عموماً، والمغاربية خصوصاً، ناهيك عن لامبالاة الجامعات، ومراكز البحث العلمي بهذا الجانب، الأمر الذي انعكس سلباً على نوع ومستوى وقيمة هذه الدراسات المقدَّمة ضمن تلك المختبرات. ويُعدّ كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية من تأليف محمد لسان الدين ابن الخطيب من أهم المصادر وأوثقها في التأريخ لحياة الدولة النصرية، منذ نشأتها إلى آخر حياة هذا الوزير المؤرخ، واعتمد المؤلف في كتابه هذا منهجاً موثوقاً به، يقوم على وثائق ومستندات معتمدة، كما عاد في كتابته إلى شواهد مكتوبة وأخرى منحوتة وإلى روايات شفهية من الخاصة والعامة، وباعتباره أيضاً شاهد عيان مثقفاً ووزيراً. تأتي أهمية تحقيق هذا الأثر الفريد في اعتماده على مخطوطين قديمين: أندلسي ومغربي لم يُعرفا من لَدُن الباحثين والمحقّقين والدارسين السابقين، ولم يُهتَد إليهما من قبل.

الأول: مخطوط أندلسي، فرغ من نسخه وتداوله قبل وفاته بسبع سنوات.

الثاني: مخطوط فاسي مغربي، نسخ في مدينة فاس بعد قرنين كاملين من كتابة المخطوط السابق.

ومعنى ذلك، أن هذين المخطوطين المعتمدين في تحقيق الكتاب، معدودان، بلا ريب، من النسخ الأمهات.

إن دار المدار الإسلامي لتأمل في تقديم نص أدبي، تاريخي، يمثّل من حيث القيمة التاريخية، النسخة الأم، فضلاً عن تقديم سيرة تتناول حياة المؤلف، وتحصيله العلمي، وآثاره العلمية، وكذلك التركيز على أهمية الكتاب فضلاً عن التوثيق المنهجي، ونأمل جميعاً أن يتحقق الهدف المنشود والمأمول وذلك خدمة للباحثين والدارسين للتراث العربي والإسلامي والأندلسي.

موضوع الكتاب **تاريخ إسلامي**

ISBN 9959-29-433-3

9 789959 294333

موقعنا على الإنترنت
www.oeabooks.com